

اقتصاد بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأجنبية في القرنين 17 و18م.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD في التاريخ تخصص تاريخ حديث

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالب:

أ.د. محمد بن جبور

زكرياء خلف الله

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. بن عمر حمدادو	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1، أحمد بن بلة	رئيسا
أ.د. محمد بن جبور	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1، أحمد بن بلة	مشرفا ومقررا
أ.د. محمد مكحلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د. جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2، محمد بوضياف	عضوا مناقشا
د. صورية حصام	أستاذة محاضرة -أ-	جامعة وهران 1، أحمد بن بلة	عضوا مناقشا

بسم الله الرحمن
الرحيم

إهداء

إلى من قاد قلوب البشرية وعقولهم إلى مرفأ الآمان، إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

إلى من أحمل إسمه بكل فخر واعتزاز، والذي العزيز قادة ولد الحاج عبد القادر، حفظه الله ومتعته بالصحة والعافية.

إلى حلوة اللبن التي ما خالط لبنها يوما سكر المصالح.

إلى ذات الصدر الحنون الذي كان لي ظليلا باردا في هجير الحياة.

إلى من أفقد حرارة تصفيقها فرحا بإنجازي في هذه اللحظة، بسبب المرض.

أمي نبع الحنان زرقاوي مليكة.

إلى جميع إخوتي وأخواتي.

إلى كل من علمني حرفا.

إلى كل الأحبة والأصدقاء.

أهدي هذا العمل المتواضع.

تشكرات

أتوجه إلى المولى عزّ ملكه وجلّ شأنه بالحمد والشكر على ما
أولانا من توفيق وسداد ويسر، فبنعمته عزّ وجلّ تتم
الصالحات... عليه أتوكل وإليه أنيب، وعليه قصد السبيل.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف أ.د.
بن جبور محمد، الذي منحني من وقته الثمين إرشادا وتوجيها
ونصحا، حفاظا على أمانة العمل...، فجزاه الله عني خير الجزاء.

أشكر أستاذتي الفاضلة أ.د. العقون أم الخير، رئيسة مشروع
الدكتوراه على ما بذلته ولا تزال تبذله من مرافقة وحرس شديد،
وعلى توجيهاتها ونصائحها التي لم تبخل بها علينا.

الشكر موصول إلى كل أساتذة قسم التاريخ وعلم الآثار بكلية
العلوم الإنسانية لجامعة وهران 1، أحمد بن بلة، دون أن ننسى
السادة الأساتذة الذين شرفونا بقراءة هذه الدراسة.

قائمة المختصرات

-1 المختصرات باللغة العربية:

- ج.: جزء.
- دت.: دون تاريخ نشر.
- ص.: صفحة.
- ط.: طبعة.
- ع.: عدد.
- مج.: مجلد.

-2 المختصرات باللغة الأجنبية:

- **A.I.E.O.:** Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.
- **B.C.A.I.:** Bulletin Critique des Annales Islamologique.
- **C.N.E.H.:** Centre National D'Etudes Historiques.
- **C.N.R.S:** Centre National de Recherche Scientifique.
- **Ed.:**Edition.
- **Ibid.:**Ibidem.
- **N.:**Numéro.
- **Op-Cit.:** Opus Citateur.
- **P.:** Page.
- **R.A.:** Revue Africaine.
- **R.H.M.:** Revue d'Histoire Maghrébine.
- **R.T.:** Revue Tunisienne.
- **T.:** Tome.
- **Trad.:**Traduit.
- **Vol.:** Volume

المقدمة

المقدمة

يعتبر البحث في التاريخ المحلي، من الحلقات الجزئية المكملّة للرؤية التاريخية، خاصة إذا ارتبط الموضوع بمسائل كان لها الأثر الكبير في الأحداث المصيرية، من هذا المنطلق ارتأينا البحث في موضوع بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني في شقه الإقتصادي، الذي لا يزال يستقطب اهتمام الباحثين والدارسين، على خلاف المواضيع السياسية والعسكرية التي هيمنت على حقل الدراسات، إذ يمكن تفسير ذلك في الدور البارز الذي لعبته البحرية الجزائرية وقتذاك، وما نجم عنه من صدام مع الدول الأوروبية، وعليه لا تزال الدراسات الاقتصادية تستدعي المزيد من الأبحاث التي تعمق الفهم وتزيل الغموض عن بعض القضايا الخفية التي لها علاقة بهذا الجانب.

دواعي اختيار الموضوع

إن الواقع الإقتصادي من تاريخ الجزائر العثمانية، كانت له آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على الأحداث السياسية، والنظم الإدارية، وكذا الوضعية الاجتماعية، حيث لا يمكن التعرض لهذه الجوانب كلها إلا بعد دراسته، من هذا المنطلق ارتأينا الخوض في موضوع: "اقتصاد بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأجنبية في القرنين 17 و18م"، وهو كما يبدو من الوهلة الأولى موضوعا صعبا، لما يتطلبه من جهد ووقت، ومصادر متنوعة، من مواد أرشيفية، ومصادر محلية وأجنبية.

رغم أهمية الموضوع إلا أن الدراسات حوله لا تزال عزيزة ونادرة، فالمتصفح على سبيل المثال للبوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات (P.N.S.T)، يجد أنّ جلّ الأطاريح المهمة بتاريخ الجزائر الحديث، عالجت في إطار النطاق العسكري، الاجتماعي، والثقافي، وإن كان لهذا التوجه ما يبرره من حيث وفرة المصادر والمراجع، في حين لا يجد الباحث إلا بضع دراسات تناولت الحياة الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري، إما ضمنا أو جزئيا.

والولوج في هذا الموضوع يعدّ في حد ذاته مغامرة يحتاج سالكها إلى جرأة كبيرة، وجهد مضنٍ للخروج منه ببعض النتائج، فأَي جهد بحثي يبذل في هذا الإتجاه سوف يُسهم في فتح نافذة إضافية لتاريخ الجزائر الحديث.

طرح الإشكالية

وبناء على ما تقدم نرى بأن موضوع اقتصاد بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأجنبية في القرنين 17 و18م، من المواضيع الهامة والجديرة بالدراسة، رغم ما يكتنفها من صعوبات، فحسب الباحث أن يقدم محاولة ويفتح المجال لدراسات أخرى تستوفيه وتستكمل مختلف جوانب النقص فيه، وقد حاولنا قدر الإمكان تغطية مختلف جوانب الحياة

الإقتصادية في بايلك الغرب الجزائري، وفق ما توفر لنا من مادة تاريخية، سواء كانت محلية أو أجنبية، ليتسنى لنا معرفة جانب مهم من تاريخ الجزائر الحديث، وقد عملنا من خلال هذه الأطروحة على الإجابة على الإشكالية التالية:

فيما تمثلت النشاطات التي كانت ترسم ملامح الحياة الإقتصادية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م؟ والتي تتفرع عنها بعض التساؤلات هي كالآتي:

إلى أي مدى تأثرت الحياة الإقتصادية بمختلف الظروف التي عرفها البايك؟

وكيف كانت مساهمة العناصر المحلية والوافدة في مختلف الأنشطة الإقتصادية؟

خطة البحث

وانطلاقاً من هذه الإشكالية وما تفرع عنها من تساؤلات جزئية، ارتأينا وضع خطة بحث للإجابة عليها، وتغطية مختلف جوانب الموضوع، حيث استقرّ بنا الأمر إلى تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول، وكل فصل يحتوي مجموعة من المباحث.

فالمقدمة هي عبارة عن دليل كشف وخريطة ناطقة لإرشاد القارئ إلى الوقوف على أبرز محطّات الأطروحة، وتبيان أهم العناصر التي يتركب منها البحث، وتوحي بفكرة مقتضبة عن الهيكل العام للدراسة وسياسة الصياغة وسبك التحرير، مع توضيح الأهداف.

أما الفصل التمهيدي فكان بعنوان: "بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي"، وهو عبارة عن فصل تمهيدي اعتبرناه ضروريا لإبراز الوضع الإداري العام لبايك الغرب، وتحديد التشكيلة الجغرافية والإدارية له، مع ذكر مسهب لعلاقته بالسلطة المركزية وأهم بياته، فبدون هذا التعريف المبرز تبقى خلفيات كثير من الأحداث والقضايا الواردة في فصول هذه الدراسة غير واضحة.

والواقع أن أهمية هذا الفصل تكمن في كونه يشكل جزءاً من صلب البحث للعلاقة الموجودة بين الوزن التاريخي للبايك الغربي، وماضيه الحافل بالأحداث من جهة، والتطورات التي شهدتها لاحقاً من جهة أخرى، لاسيما الحملات الصليبية الإسبانية على وهران والمرسى الكبير، والتي كان لها تأثير كبير على الحياة الإقتصادية بالإقليم.

وبخصوص الفصل الأول فقد خصصناه للإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري، حيث تطرقنا من خلاله إلى إبراز طبيعة ملكية الأرض في بايلك الغرب، ومدى تحكم هاته الأخيرة في نوعية ووفرة الإنتاج الزراعي والحيواني بالبايك، موضحين العلاقة الموجودة بين الريف والمدينة والعلاقة التكاملية بينهما.

أما الفصل الثاني فكان حول الحرف والحرفيين في بايلك الغرب الجزائري، وذلك لأن الإقليم كان يزخر بإمكانيات صناعية كبيرة جدا تؤهله لممارسة مختلف الصنائع والحرف، وعلى رأس هذه الإمكانيات الثروة الحيوانية والثروة الغابية، بالإضافة إلى الإمكانيات الأخرى التي يزخر بها باطن الأرض وسطحها، فجاء المبحث الأول حول تعريف الحرفة، والمبحث الثاني خصصناه لثنائية المدينة والريف، حيث أبرزنا العلاقة التكاملية بينهما، والمبحث الثالث ذكرنا فيه أهم الحرف التي عرفها البايك خلال الفترة الزمنية المراد دراستها، بتقديم معلومات وشروحات مستفيضة عن كل حرفة، أما المبحث الرابع فخصصناه لنمط الإنتاج السائد في الجزائر، ثم ختمنا الفصل بأسباب انكماش الصناعات الحرفية.

ثم الفصل الثالث والذي يمكن اعتباره أهم فصل في هذه الأطروحة، فكان حول النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري، ومن بين جملة ما تطرقنا إليه التجارة الداخلية للبايلك، التي عرفت ظروفًا خاصة بحكم السيطرة الإسبانية على وهران إحدى أهم مدن هذا الإقليم، ومن جهة أخرى مجاورته للمغرب الأقصى المتصارع مع العثمانيين، هذه الظروف كان لها الأثر الكبير في تبلور الحياة التجارية التي ركزنا فيها على الداخلية منها لأهميتها البالغة، ذلك أن الاتصال كان قائمًا عن طريق الأسواق بمختلف أنواعها والتي ظلت عنوانًا لنشاطها الحرفي حيث تنوعت مرافقها واختلفت العملات المتداولة بها، والتي سمحت بتطوير الحياة التجارية في الريف والمدينة معتمدة على مختلف الطرق والمسالك، التي كانت وسيلة حيوية في العملية.

أما المبحث الثاني فكان حول التجارة الخارجية، وقد ركزنا على الطرق والمسالك التي كانت تجمع البايك بفضائه الخارجي، كما تطرقنا لمختلف الموانئ التي كان يزخر بها الإقليم، مع تحديد أهم البلدان التي عرفت مبادلات تجارية مع البايك.

أما الفصل الرابع والأخير فقد حمل عنوان: "النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري"، وذلك لمعرفة طبيعة النظام المالي الذي تميز به الحكم العثماني في الجزائر، وفي بايلك الغرب بشكل خاص، في مجال الضرائب، العملات، والمعاملات الاقتصادية، كان من الضروري التطرق لهذا الفصل لأخذ فكرة واقعية عن الإجراءات المالية والتنظيمية التي تحكممت في مختلف شرائح المجتمع، والتي تعكس لنا الواقع الاجتماعي للبايلك، وتعطينا صورة واضحة عن النظام الجبائي وطرق استخلاص الضرائب.

ثم كانت خاتمة هذه الأطروحة التي تضمنت أهم النتائج والخلاصات التي توصلنا إليها، وآفاق هذا الموضوع، بالإضافة إلى مجموعة من الملاحق الوظيفية الهامة والتي لها علاقة مباشرة بفصول الدراسة، حيث كانت ملاحق متنوعة في شكل خرائط، صور أو رسوم توضيحية، ووثائق.

المنهج المتبع في كتابة البحث:

تداخلت عدة عوامل في وضع مقارنة تاريخية لمعالجة هذا الموضوع، وعلى رأسها عامل المادة المصدرية وما توفر لنا منها، بالإضافة إلى المراجع والدراسات السابقة، فإننا وبعد عملية جمع وتصنيف المادة، قمنا بتقسيم ما جمعته على خطة البحث، وشرعت في عملية التحرير معتمداً المنهج التاريخي الوصفي تارة، بحكم كثرة المصادر الجغرافية وكتب الرحالة التي تقدم في غالبها أوصافاً، والمنهج التحليلي والنقدي، حيث عالجت مختلف المسائل التاريخية المتعلقة بالبحث بنقد موضوعي متجرد، باحثاً عن الأسباب والخلفيات، كما وظفت المنهج المقارن، لأن طبيعة الموضوع تفرض ذلك، حيث شرحت بإسهاب أوجه الاختلاف والتشابه التي تظمنها المصادر المحلية والأجنبية، كما استعنت بالمنهج الإحصائي والإستقصائي، خاصة في ما تعلق بالنشاط الزراعي والتجاري، وذلك بتوظيف مجموعة من الجداول والإحصائيات، وكذلك الخرائط التي وردت في الملاحق، كما اعتمدت على مختلف العلوم المساعدة لعلم التاريخ، وعلى رأسها الجغرافيا، التي كانت مفتاحاً لفهم العوامل الطبيعية المتحركة في مختلف الأنشطة الاقتصادية، وكذلك علم الأنثروبولوجيا الذي مكّنني من فهم العادات والتقاليد والمعارف المختلفة لدى سكان الأرياف.

نقد المصادر والمراجع:

الوثائق الرسمية:

تشكل في معظمها من وثائق الأرشيف المنتشرة داخل الجزائر أو خارجها، وهي عبارة عن سجلات وأوراق، كتبت عليها أوامر أصدرها حكام الجزائر أو الموظفون السامون في الإيالة، إلى جانب مراسلات لوكلاء الجزائر في الخارج، وهنا نشير بأنه لا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر الحديث الإستغناء عن هذه الوثائق، باعتبار أنها تحتوي في طياتها مادة خام، رغم صعوبة استخلاص المعلومات منها لتداخلها.

سجلات المحاكم الشرعية:

تشكل من عقود شرعية وقضائية، تتمحور حول الملكيات والمعاملات كالبيع والشراء، وعقود الزواج، الطلاق، الميراث، الأوقاف، الهبة، الشفعة...، تجدر بنا الإشارة في هذا السياق أن الكثير من الحكام والموظفين السامين، أوقفوا ممتلكاتهم من بيوت، حوانيت ومقاهي...، للإنفاق على الجنود، وصيانة الأبراج والحصون.

سجلات البايلك:

تحتوي بدورها على معلومات حول الأملاك المحبوسة ومداخيلها، إلى جانب معلومات عن التركات ونصيب بيت المال فيها، فهي تعطينا لمحة عن النظام المالي الذي خصصنا له فصلا كاملا.

المخطوطات:

مخطوط قلعة بني راشد، الذي يقع في سبع صفحات متتالية بمعدل ثلاث وعشرين سطرا في كل صفحة، يعالج جوانب تاريخية مهمة تضمنت معلومات مستفيضة عن منطقة القلعة، خاصة ما يتعلق بالشق الإقتصادي، كأهم أسواقها، ومنتجاتها، وأهم المبادلات التجارية، وكذلك الصناعات بمختلف أنواعها.

مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر، عمل على تحقيقه الدكتور ناصر الدين سعيدوني باحث مختص في التاريخ الحديث، المخطوط يتعرض بإسهاب للتعاملات التجارية، وعليه ساعدنا كثيرا في استخلاص فكرة متكاملة عن أنواع الحرف المتداولة والخدمات المتوفرة، إذ يعرفنا بالخصوص على المتعاملين بالسوق، كما يعطينا لمحة عن الواقع الإقتصادي الذي عرفته الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وبالتالي فهو مصدر أساسي لا يمكن الإستغناء عنه.

المصادر المحلية:

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لصاحبه أبي راس الناصر، تكمن أهمية هذا المصدر في كونه يعطي صورة واضحة المعالم عن واقع الفترة الأخيرة من العهد العثماني بالجزائر، وبالأخص ما تعلق بالتواجد الاسباني بالناحية الغربية، كما أفادنا كثيرا في معرفة تفاصيل فتح وهران الثاني سنة 1792م، وحال العلماء آنذاك وما لقيه الباي محمد الكبير إثر ذلك من ثناء، وما ناله من شهرة لدى مختلف شرائح المجتمع الجزائري، ولهذا كان هذا المؤلف من المصادر الأساسية التي خدمت الموضوع كثيرا وفي جل فتراته تقريبا.

الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية، هذا المخطوط هو من نواذر ما ألفه أبو راس الناصر، كونه بمثابة شرح نثري لقصيدة نظمها المؤلف بمناسبة فتح وهران الثاني ساهمت في رسم صورة واضحة المعالم عن هذا الحدث العظيم، الذي عرفه بايلك الغرب الجزائري.

الرحلة القمرية في السيرة المحمدية لابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمان، وقد احتوت على جزأين لا يزال الجزء الثاني مفقودا رغم أهميته في ذكر وقائع فتح وهران الثاني، ورغم أن صاحب المخطوط كان كاتباً للباي محمد الكبير، ومادحا له ومخلداً

المقدمة

لمآثره، إلا أنه لا يخلو من حقائق تاريخية هامة لم توفرها بقية المصادر الأخرى، حيث احتوى معلومات مفيدة خدمت موضوع بحثنا إلى حد كبير.

الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة لصاحبه محمد بن رقية التلمساني، أفادنا من خلال حديثه عن الحملات الأوروبية على الجزائر، حسب تسلسلها الزمني منذ قدوم عروج وخير الدين إلى فترة الداوي محمد عثمان باشا، بالإضافة إلى حديثه عن الظروف التي انضمت فيها الجزائر إلى الباب العالي.

ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد مولى مجاجة، لصاحبه أبي محمد المشرفي، وهو من المخطوطات الأساسية التي زودت البحث بمادة علمية مهمة لكونه اشتمل على ذكر العديد من الأسر العلمية التي توارثت العلم والمعرفة بالمنطقة الغربية، وفي مقدمتها أسرة المشارف، كما اتضحت أهميته في تقديمه لمعلومات هامة عن حياة عبد القادر المشرفي، ونسبه، ومكانته العلمية بين فقهاء عصره.

الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لابن سحنون الراشدي احمد بن محمد علي، الذي كان من مقربي الباي محمد الكبير، ورغم أن الكتاب عمل أدبي بالدرجة الأولى، إذ يشرح قصيدة مادحة ومخلدة لسيرة الباي، إلا أن أهميته التاريخية لا يمكن تجاوزها، فقد استفدنا منه كثيرا في التعرف على الحياة الاقتصادية في بايلك الغرب، وكذلك مسألة الجهاد ضد الاسبان.

رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لأحمد بن هطال التلمساني، أحد كتّاب الباي محمد الكبير، تكمن أهمية المصدر في كونه نقل إلينا صورة عن حال العلاقة بين الحكام والرعية، كما أفادنا بحديثه عن مراحل رحلة الباي وغزواته للقبائل الصحراوية البعيدة عن السلطة، لإرغامها على دفع الضرائب، وقد تحصلنا من خلال هذا المصدر على لمحة عن النظام المالي والضريبي للسلطة العثمانية في البايك الغربي.

دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، لصاحبه محمد بن يوسف الزباني والذي أفادنا بالتعرف أكثر على الظروف التي عاشتها هذه المدينة، خاصة ما تعلق منها بالفترة الأخيرة من الحكم العثماني، كظهور ثورة درقاوة التي تحدث عنها بالتفصيل، ورغم أنه هو الآخر كان مقربا من الحكام، إلا أنه كان يعطي مواقف، وأحكاما، وآراء، حول السلطة الحاكمة وقتذاك.

فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، لمحمد أبي راس الناصر، وهو مصدر مهم لما ورد بين طياته من معلومات مستفيضة أفادت البحث كثيرا، حيث عرّف المؤلف بنفسه، ورحلاته، واتصالاته، وإجازاته، وشيوخه، وتلاميذه، كما يعطينا صورة واضحة المعالم عن مازونة ومعسكر، اللتين درس بهما.

طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، للأغا بن عودة المزارعي، هذا الأخير الذي عايش كثيرا من الأحداث التي عرفتھا الإيالة خلال الخمسين سنة الأخيرة من عمرھا، وتكمن أهمية هذا المصدر في كونه اطلعنا على سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر، وخاصة بايات الإقليم الغربي المتأخرين بدءً بالباي حسن، وأهم ما ميز فترة حكمه، وفي خضم ذلك ذكر أحداثا سياسية كثيرة لها علاقة بتاريخ بايلك الغرب، كثورة درقاوة، والتيجانية، وسياسة البايات ضد الثوار وأتباعهم.

بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبنّي عامر، لعبد القادر المشرفي، مصدر مهم جدا في معرفة تفاصيل الجهاد ضد الإسبان، كما أعطانا لمحة عن بعض الأسواق التي كانت تعقد بوهران.

أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر الوهراني، وهو من أهم المصادر التي عالجت تاريخ بايات وهران، وساعدتنا على التعريف بهم والترجمة لهم، كما فصلت الحديث خصوصا عن ثورة درقاوة، ولذلك جاء الكتاب مصدرا فريدا في بابہ لعدم توفر هذه المعلومات في مصادر أخرى.

مذكرات الحاج احمد الشريف الزّهار نقيب أشراف الجزائر، وهو مصدر عايش صاحبه كثيرا من الأحداث التي عرفتھا الإيالة خلال خمسين سنة من عمرھا، وتكمن أهميتها في كونها أطلعتنا على جوانب متعددة من السياسة التي انتهجها العثمانيون كالجهد ضد الاسبان والتداول على السلطة، بالإضافة الى حديثه عن ثورة درقاوة والتيجانية، كما ساهم في رسم صورة واضحة المعالم لطريقة أداء مراسيم تسليم الدنوش الأصغر والأكبر، والتي تطلبها الفصل الخاص بالنظام المالي والضريبي.

المرآة لحمدان خوجة، تكمن أهمية هذا المصدر في أنه سلط الأضواء على بايلك الغرب، ويعطينا حقائق تاريخية كثيرة عن بايات هذا الاقليم، ورسم لنا صورة عن مختلف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمقاطعة.

والى غير ذلك من المصادر التي يقصر عنها العد، فقد بات لزاما علينا الاستعانة ببعض المصادر التاريخية كالدبياج المذهب في معرفة اعيان المذهب لابراهيم بن علي بن فرحون، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، وأخرى في الجغرافيا لتخريج بعض الأماكن الواردة ضمن هذا العمل، واعتمدنا أساسا على وصف افريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الافريقي.

كما وضمنا أيضا مصادر أخرى باللغة الأجنبية، نقلت اليها كثيرا من الحقائق حول الحياة الإقتصادية، واشتملت على تفصيلات هامة ودقيقة، ومن بينها نذكر:

تقرير أرمبورو Aramburu، الذي عُين حاكما على وهران والمرسى الكبير عام 1738م، وهو تقرير مفصل اشتمل على 61 صفحة مخطوطة، عمل على خدمتها محمد القورصو وميكيل دي إيبالزا Mikel de Epalza، عام 1978م، تكمن أهمية التقرير في كونه كتب بأمر ملكي، وهو الملك فيليب الخامس، أفادنا التقرير كثيرا في ضبط الحدود الجغرافية لبابلك الغرب الذي خصصنا له مبحثا في الفصل التمهيدي.

L'industrie du tapis à la Kalaa des Beni Rached Oran, Lucienne Eugénie Louis Bonnet.

يعتبر مصدرا مهما في معرفة تاريخ منطقة بني راشد، بل هو أهم كتاب عرفنا بالتفصيل عن مختلف الصناعات النسيجية التي تميزت بها القلعة، ونخص بالذكر الزرابي التي كانت لها شهرة عالمية.

كتاب تاريخ مملكة الجزائر للدبلوماسي الفرنسي دو تاسي،

Laugier De Tassy, 1992, Histoire du Royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, de ces forces de Terre et de Mer, de ses Revenus, Police, Justice, Politique et Commerce.

تعتبر كتاباته من بين الكتابات الفرنسية القليلة التي تتسم بالموضوعية نوعا ما؛ حيث نجد في طيات مؤلفه انتقادا لما كتبه الرهبان والآباء الكاثوليكون، الذين قاموا بنشر أحكام حول الجزائر وسكانها لا تخرج عن صفات الازدراء والحط من قيمة الإنسان، وأفادتنا كتاباته في تفنيد ما ذكره رجال الدين وفي التعرف على صورة الجزائر من مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية وخاصة الاقتصادية التي هي موضوع دراستنا.

كتاب تونس والجزائر في القرن الثامن عشر ميلادي للدبلوماسي الفرنسي دو بارادي،

Venture de Paradis, 1983, **Tunis et Alger aux XVIII^e siècle (Mémoires et Observations).**

يعتبر من بين أبرز مصادر تاريخ الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي، لما يحتويه من معلومات قيّمة في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والدينية، وخاصة الاقتصادية بتناوله مختلف الجوانب التي تمس هذا الجانب من زراعة، التجارة، والنظام الضريبي.

Marabouts et khouans لصاحبه رين لويس Rinn louis، الذي نقل إلينا صورة عن المرابطين التابعين للطرق الدينية المختلفة، اضافة الى ما أورده كل من depent octave

وXavier Coppolani من وصف دقيق لوضعية الطرق الصوفية، وعلاقتها بالسلطة في الكتاب الموسوم ب:

Les confréries religieuses musulmanes

وفي موضوع متصل نذكر عمل البير دوفو Albert Devoulx، الذي نشر عام 1852م تحت عنوان:

Tachrifat recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger.

ومن المصادر المعتمد عليها أيضا كتاب Histoire de royaume d'Alger لمؤلفه لوجي دوتاسي Laugier de Tassy، الذي زار الجزائر مع مطلع القرن الثامن عشر ميلادي، ونقل إلينا صورة عنها لاسيما فيما تعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة الى عمل الدكتور شو dr.Shaw، الذي كان في الجزائر في العقد الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي وألف كتابا سماه voyage dans la régence d'Alger.

و ان كانت هذه المصادر لم تعالج موضوع اقتصاد بايلك الغرب، بشكل مباشر فانها احتوت على معطيات أساسية وحقائق لم توفرها بقية المصادر الأخرى، وتمثلت أساسا في رسم صورة واضحة المعالم عن الإقليم.

الصعوبات

ومن هذا المنطلق يجد الباحث أن الموضوع ليس من المراكب السهلة، بل تحيط به الصعاب ويكتنفه الإحراج، فصعوبة الحصول على المخطوطات المتوفرة لدى بعض الأسر الممتنعة أتعبنا كثيرا، ما حتم علينا إجراء خرجات ميدانية داخل البلاد وحتى خارجها حيث استفدنا من تربص قصير المدى بدولة تركيا، كما تأثرنا بغلق المكتبات والجامعات مدة ما يقارب السنتين بعد استفحال جائحة كورونا، والتي عانى منها العالم بأسره، ورغم كل هذه العراقيل، فقد بذلنا جهودنا، وحاولنا معتمدين على الله تعالى، في صياغة البحث في اطار المنهجية العلمية، وتدوين ما توصلنا إليه بفكرنا دون التأثير بالمشاعر والاعتبارات العاطفية، وبعيدا عن طغيان الأهواء على العقل والمنطق والأحداث التاريخية، اذ يجب على الباحث التسلح بالجرأة، والوقوف على الحياد، وسرد الوقائع التاريخية بكل موضوعية.

ولا يسعني في خاتمة هذه المقدمة، إلا التوجه بجزيل الشكر والإمتنان لأعضاء لجنة المناقشة، والتي تجشمت عناء قراءتها وتصحيحها وإثرائها، إلا متمثلا بما اعتذر به ابن خلدون في مقدمة مقدمته، حين قال: "وأنا من بعدها موقن بالقصور، بين أهل العصور، معترف بالعجز عن المضاء، وفي مثل هذا القضاء، راغب من أهل اليد البيضاء، والمعارف

المقدمة

المتسعة الفضاء، في النظر بعين الإنتقاد لا بعين الإرتضاء، والتغمد لما يعثرون عليه بالإصلاح والاعضاء، فبضاعتي بين أهل العلم مزجاة، والإعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الإخوان مرتجاة، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل".

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

المبحث الأول: أصل التسمية والإطار الجغرافي.

المبحث الثاني: إدارة البايلك وتنظيم المجتمع.

المبحث الثالث: حواضر بايلك الغرب.

المبحث الرابع: بايات الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م.

المبحث الخامس: التركيبة القبلية للبايلك الغربي ودورها في تدعيم السلطة المركزية.

المبحث السادس: النفوذ الإسباني في بايلك الغرب: وهران والمرسى الكبير.

المبحث الأول: أصل التسمية والإطار الجغرافي.

كان لفظ البايك يستخدم للدلالة على نوع من الإيقاع الخاص بقدماء ضباط الإنكشارية المتقاعدين، ثم استخدم في الجزائر للدلالة على المقاطعات التي تؤخذ منها الضرائب، ثم أصبح يستخدم للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد¹، يعود أصل المصطلح إلى كلمة بلك أو بيلك²، التي تعني في اللغة العثمانية الإمارة أو اللواء.

ظهر البايك كنظام إداري في بلاد الأناضول خلال القرن 11م، وساد في الإيالات العثمانية بالمغرب الإسلامي منذ القرن 16م³، حيث أصبحت الكلمة تعني كل ما هو ملك للسلطة المحلية، فيقال طريق البايك أو أرض البايك⁴، أي كل شيء عمومي تابع للسلطة في مجموع القطر الجزائري⁵.

بايلك الغرب هو ما يعادل بالتقريب القطاع الوهراني حالياً⁶، إذ كانت رقعة تمتد من الحدود التي تفصله عن دار السلطان وعن بايلك التيطري، وبالتقريب من غرب المدينة شرقاً حتى الحدود المغربية غرباً، ومن سواحل البحر المتوسط شمالاً إلى نواحي البيض جنوباً⁷، وقد ذكر أبو راس الناصري، أن مدينة وجدة هي الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب⁸.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص241.

² -Mohammed Ben Cheneb, Mots Turks et Persans conservés dans le parler Algériens, Ancienne maison Bastide-Jourdan Juler Carbonel, Alger, 1922, p19.

³ - كمال فيلاي، البيلك نظام حكم في الجزائر العثمانية، من خلال كتاب ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، دار الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014، ص199.

⁴ - فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا- الدوش- البايك كنماذج، مجلة مدارات تاريخية، م1، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، أبريل 2019، الجزائر، ص132.

⁵ - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، الجزائر، دار القصة للنشر، ط1، 2009، ص418.

⁶ -Tinthon Robert, L'Oranie sa Géographie, son Histoire, ses Centre Vitaux, Oran, Fouqué, 1952, p35.

⁷ -صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط3، 2011، ص292.

⁸ - أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم وتعليق، المهدي بوعبدلي، م.و.ف.م، الجزائر، 2007، ص21.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

ويقدم تقرير أرمبورو¹، الحدود على النحو التالي: "من دار السلطان شرقا وبالتقريب من نهر الشلف، حتى وادي ملوية على الحدود المغربية غربا، والبحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا²، وبذلك يمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة ثمانين مرحلة، ومن الشمال إلى الجنوب بنحو خمسة وعشرين مرحلة"³.

المبحث الثاني: إدارة البايك وتنظيم المجتمع.

يعود تاريخ ظهور بايلك الغرب إلى النصف الأول من القرن 16م، وذلك خلال حكم حسن بن خير الدين (1540-1552م)، حيث قسمت البلاد إلى 04 مقاطعات، وفي 1563م، أصبحت مازونة عاصمة للبايلك⁴، تولى الحكم فيها الباي ابن خديجة الذي عينه حسن آغا على الناحية الغربية سنة 1563م، وبذلك يعتبر الباي الأول نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري بالبايلك.

ويؤكد الآغا بن عودة المزارى، تشكيل العثمانيين في الجزائر لبايلك الغرب بعد دار السلطان، ويذكر أنه كانت له عاصمتان؛ مازونة وتلمسان، فكان يسمى ببايلك مازونة⁵ وفي 1686م، جُمع القسمان لتكون قلعة بني راشد أول عاصمة له، ثم نقلت إلى معسكر، وصارت وهران بعد الفتح الأول (1708-1732م)، ثم صارت مستغانم، ثم حولت إلى معسكر، لتستقر بوهران بعد الفتح الثاني، وبقيت كذلك إلى حين دخول الفرنسيين⁶.

¹ - وثيقة أرشيفية يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر، كتبها يوسف باسيليوي دي أرومبورو، بأمر من الملك فيليب الخامس، عُيّن حاكما لوهران والمرسى الكبير عام 1738م، خلفا للماركيز دي فيلا إرياس، يحتوي التقرير على 61 صفحة مخطوطة مرفقة بخريطة للغرب الجزائري رسمت بتاريخ 1741م، أنظر:

Aramburu, Oran et l'ouest Algérie au 18 ème siècle, d'après le rapport d'Aramburu, présentation et traduction de Mohamed ElKorso, Alger, Mikel de Epalza, Bibliothèque national, 1978, p166.

² -Ib.id, p9.

³ -Dr Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduite l'anglais par j.mac Carthy, Tunisie, édition Bouslama, 1830, p21.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981، ص16.

⁵ - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، 2007، ص148.

⁶ - الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر إسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص271.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

وقد تحكمت ظروف في هذا التقلب بين المقرات المختلفة، حيث نقلت العاصمة إلى معسكر عام 1701م، حتى تتوسط المنطقة، لينقلها الباي بوشلاغم إلى وهران عام 1708م، بعد نجاح حملة قادها بهدف فتحها وتحريرها من الاحتلال الإسباني، وبعد عودة الإسبان من جديد إلى وهران عام 1732م، انتقل الباي إلى مستغانم لتضل بها العاصمة حتى 1737م، وهي السنة التي توفي خلالها، لتعود العاصمة إلى معسكر حتى تحرير وهران الثاني عام 1792م، من قبل الباي محمد الكبير الذي اتخذها عاصمة لحكمه، وقد ظلت كذلك حتى عرفت الجزئر مرحلة جديدة مع الاحتلال الفرنسي.

اتسمت السلطة العثمانية بهذا البايك بصبغة حربية نظرا لأسباب ثلاثة؛ أولا: توتر العلاقات بينها وبين المغرب الشريف السعدي، ثانيا: احتلال الإسبان لوهران والمرسى الكبير، وثالثا: الحركات المناوئة التي كانت تمثلها بعض الطرق الصوفية وكذا القبائل المحلية ضد السلطة المركزية¹.

أ- طبيعة التنظيم الإداري العثماني وعلاقته بالسكان:

يمكن القول أن النظام الإداري العثماني في الجزائر تأسس على ثنائية المدينة والريف، بحيث يتكون كل بايلك من مدن (الفضاء الحضري) وفحوص مدن، أو أوطان في السهول، قيادات في الجبال والمناطق الوعرة (الفضاء الريفي)، وهي التقسيمات التي تتلخص من الجانب الاجتماعي فيما يلي: الخلافة التي تجمع القيادات، القيادات التي تجمع عدة قبائل، القبيلة تجمع عدة خيم، والخيمة تجمع عدة عوائل.

تنسم الإدارة المحلية للبايلك بالبساطة، ودقة التنظيم وهو ما يجعلها تتماشى والظروف السياسية، وتتناسب مع الوضع الاجتماعي، والواقع المعاشي للسكان، ويتضح ذلك من خلال التعرض للجهاز الإداري للبايلك، وعرض صلاحيات موظفيه، والمهام المنوطة

¹ - كمال بن صحرابي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار لجامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2012/2013، ص20.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

بهم، ويتمثل الهدف المتوخى من هذا التنظيم في ضمان الأمن والاستقرار في البلد، وتوفير مصادر دخل للخرينة العمومية من خلال جباية الضرائب¹.

ب- ديوان البايك:

يتألف ديوان البايك المحلي من مجموعة من الموظفين، يمثلون موظفي دار السلطان التابعين للداي من حيث الصلاحيات التي يتمتعون بها، فإدارة البايك هي عبارة عن نموذج مصغر لدار السلطان².

الباي: يمثل أعلى سلطة في البايك، يُعين من قبل السلطة المركزية، ويكون عادة من الموظفين الكبار بدار السلطان، أو من الذين شغلوا منصب خليفة باي سابق، أو منصب قايد، كالباي محمد الكبير الذي كان قايد على فليقة، وكانت قيادتها هي الأهم على مستوى بايلك الغرب³، ومن يتولى قيادة فليقة وتلمسان فإنه مخول له أن يتولى بايا إذا كانت له إعانة من دار السلطان⁴.

مهام الباي:

تسيير شؤون البايك، الإشراف على العمليات العسكرية به، وكذا تحصيل الضرائب، كما يسهر على توفير الأمن، وله الحق المطلق في إصدار العقوبات، ومصادرة أملاك القبائل المستوطنة بالمقاطعة⁵، كان للباي موظفين إداريين يساعده في إدارة البايك، بناءً على المهام المنوطة بهم، إذ يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف⁶:

¹ - بودربالة نور الدين، العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م: مقارنة اجتماعية وسياسية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم الثالث، تخصص الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، قسم العلوم الإنسانية بجامعة مصطفى اسطembولي معسكر، 2019، ص18.

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2009/2008، ص11.

³ -Gorguou, Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir, Revue Africaine, Vol N01, 1856, p408.

⁴ -الأغا بن عودة المازاري، المصدر السابق، ج1، ص275.

⁵ -Thomas Show, Voyage dans la Régence d'Alger, Marlin, Paris, 1830, p130.

⁶ -أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1246-926/1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2010، ص48.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

الموظفون السامون: يقصد بهم الموظفين الذين لهم صلة مباشرة بالباي، يشكلون ديوان الباي.

الخليفة: للباي خليفتان، خليفة الشرق مهمته تسيير شؤون الرعية نيابة عن الباي، ويجمع ما فرض عليهم من ضرائب موسمية، ويحمل الدنوش¹، مرتين في السنة إلى الداى خلال فصلي الربيع والخريف².

خليفة الكرسي: هو بمثابة آغة البايك، لكونه ينوب عن الباي في قاعدته بالجلوس على الكرسي حين يغيب سواء في محلات لجمع الإتاوات أو في حال تقديم الدنوش إلى الداى³.

الخزندار: وهو المسؤول على كل الخدمات المالية، يسمى أيضا بالباش خزناسي، وهو الذي يشرف على مصادر دخل بايلك الغرب، وتسديد مختلف أوجه الإنفاق به، ومراقبة جمع وتسليم الضرائب أو الجباية⁴، رغم أهمية هذا المنصب فقد أسند إلى غرباء مثل الأسير تيدنا⁵.

الكاتبان: يتم تعيينهما من طرف الباي وهما:

كاتب السر الكبير (باش دفتر): ويسمى أيضا رئيس الكتاب.

كاتب السر الصغير: مهمته كتابة الرسائل التي يبعث بها الباي إلى الداى، وإلى القادة المرابطين بنواحي وهران وغيرهم⁶.

¹ - تعريف ضريبة الدنوش، أنظر الفصل الرابع.

² - Walsin Esterhazy, la Domination Turque dans l'ancienne Régence d'Alger, Librairie de charles Gosselin, Paris, 1840, p240.

³ - Ibid, p246.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص20.

⁵ - شغل الأسير تيدنا منصب خزندار عند الباي محمد الكبير لمدة ثلاث سنوات 1780-1783م، وهو صاحب المذكرات المشهورة باسمه، التي قام الباحث عميرايو أحميدة بترجمتها من الفرنسية إلى العربية، أنظر: عميرايو أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني "مذكرات تيدنا أنموذجا"، دار الهدى، الجزائر، 2009.

⁶ - جميلة مشرفي، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، تخصص تاريخ الحوض الغربي للمتوسط: تاريخ وحضارة، 2018، ص18.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

شيخ البلد: يتكفل بشؤون سكان المدينة، ويصبح المسؤول عنها في غياب الباي لكونه ينوب عنه، ونظرا لأهمية منصبه أوكلت إليه مسألة الإشراف على الجند حيث يتكفل بأجورهم ومؤونتهم، كما توكل إليه بعض المسائل الحساسة كسرية العقوبات حيث تُحبس النساء في بيته، وتعاقبن سرّيا خاصة منهن اللّائي تنحدرن من عائلات معروفة وترتكبن مخالفات¹.

آغا الدائرة: هو أحد قادة المخزن، من مهامه الإشراف على فرسان البايك، له رايات خاصة، يستشير به الباي في شؤون الرعية، قد يُكلّف أحيانا بحملات صغيرة ضد القبائل المتهمّة، هذا إضافة إلى مهام أكثر خطورة، حيث يتحول إلى عين السلطان على الباي، بل ومُنْفذ لأمره بعزل الباي والحلول محله في انتظار التحاق الباي الجديد²، وفي هذا الصدد يذكر لنا ناصر الدين سعيدوني في مؤلفه الجزائر في التاريخ: "أن آغا الدائرة كان يتلقّى أوامره مباشرة من الداوي، ويقوم بعزل أو إعدام أو تعيين البايات الجدد عندما تُصدر له الأوامر بذلك، كما كانت تخضع لأوامره فرسان المخزن، وهذا ما مكنه من التصرف في الأرياف، ومراقبة البايات في تعاملهم مع السلطة المركزية³، ونشير إلى أن منصب الآغا كان يُشترى بمبالغ باهضة⁴.

قائد المدينة: صاحب مكانة مرموقة خاصة على مستوى الحواضر، ويظهر ذلك من أن قائد مدينة تلمسان كان يعين من طرف الداوي شخصيا، ويكون هؤلاء القياد من أصل تركي، لكن وظيفتهم غير وراثية، تحرسهم الفرق الإنكشارية التي تسكن الثكنة وتحمل الأسلحة الثقيلة⁵.

¹-Laugier De Tassy, Histoire de Royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date, p236.

²- صالح عباد، المرجع السابق، ص296.

³- ناصر الدين سعيدوني، ورقات الجزائرية، المرجع السابق، ص243.

⁴- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 20-21.

⁵- توفيق دحماني، "دراسة اجتماعية لتيهت في أواخر العهد العثماني"، دفاتر السياسة والقانون، ع07، جوان 2012، ص153.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

باش المكايلية: رئيس حرس الباي الخاص، يحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة¹، وكان للباي 15 مكايليا يحملون البنادق، مهمتهم حراسة خزائن الباي بالتعاون مع الشواش المكلفين بحراسة خيمته².

الباش سراج: أو الباش سايس، هو المسؤول عن اصطبلات الباي وحيواناته، بحمايتها والإعتناء بها، وهو القائم بتجهيز حصان الباي عند السفر، كما يُعد قائد عمال الحضائر، ويمسك لجام حصان الباي حين يمتطيه³.

الموظفون بالأرياف:

الآغا: اختلف في أصل هذه الكلمة، ف قيل تركية من المصدر (آغمق) ومعناه الكبر والتقدم في السن، وقيل أيضا أنها فارسية (أقا)، وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الذي يُؤذن له بدخول غرف النساء، وقيل هي كلمة مغولية معناها الكبير والشريف، استعملت كلمة آغا عند العثمانيين بمنزلة "خواجا" و"أفندي"، ويُلقب بها كبير الخدم والأخ الأكبر وكبير البيت ورؤساء الإنكشارية، أما عن آغا العرب فهو قائد فرق الإنكشارية⁴.

مهام الأغوات وأوصافهم: هم بمثابة الوزراء، كان للباي الغرب وزيران؛ الأول يسمى قائد آغا، وهو من كبار أعيان الدواير، تحت إمرته دائرة من الأعراش هي: الزمالة، الغرابية، مجاهر، فليته، رعية خليفة الشرق، اليعقوبية، وحميان، تكمن مهام الأغوات في النظر في شكايات العرب وادعاءاتهم، ويعتمد الباي عليهما في المشورة وفض النزاعات، تجدر الإشارة هنا وحسب المزارى، أنه كان للباي حسن ثلاث أغوات من الدواير وثلاث آخرين من الزمالة، أما أسترهازي فنذكر أن للباي حسن أربعة أغوات، إثنان من قبيلة

¹ يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص50.

² -Esterhazy, Op.cit, p236.

³ - Ibid, p246.

⁴ - مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص173.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

الدواير وهما؛ مصطفى بن اسماعيل، وعبد الله بن الشريف، ومن الزمالة؛ المرسل، وعدة ولد قدور، بحيث يتولى هؤلاء الأغوات مهامهم بنظام التناوب¹.

القايد: يعينه الباي أو آغا الناحية التي ينتمي إليها، ليشرف على مجموعة من الدواير تعرف بالوطن، وهذا المنصب له أهمية كبيرة تتضح من خلال المهام التي توكل إلى صاحبه وهي الإشراف على كل شيوخ القبائل، السهر على أمن المسالك والطرق، جمع الإتاوات ومراقبة الأسواق، الفصل في الخلافات، توزيع الأراضي الفلاحية التي يصطلح عليها بأراضي العرش على العائلات والسهر على تنفيذ القوانين وتبليغ تدابير السلطة².

الأوطان التي يرأسها القايد هي مقاطعات شاسعة ذات طابع ريفي، وإدارتهم لها تمنحهم سلطة واسعة، ولذلك يرتدون البرانيس الحمراء دلالة على الجاه والمكانة المرموقة³، ولكي يؤدوا مهامهم على أكمل وجه عهدت إليهم السلطة بقوة عسكرية تعرف بالقوم أو المكاحلية أو الزمالة "امتاع القايد"⁴.

المبحث الثالث: حواضر بايلك الغرب.

مازونة:

تقع مازونة في منطقة جبال الظهرة، حيث تشرف من الجنوب الغربي على سهول وادي رهيو ومن الجنوب الشرقي على سهول شلف، ذكر كربخال أن بطليموس قد حدد موقعها الفلكي عند 16 درجة من خطوط الطول، و23 درجة و40 دقيقة من خطوط العرض⁵.

¹ - بوبرالة نور الدين، المرجع السابق، ص21.

² - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص93.

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص243.

⁴ - توفيق دحماني، النظام الضريبي بباليك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003/2004، ص41.

⁵ - بومدين دباب، بايلك الغرب خلال القرن 18 دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس، 2016-2017، ص73.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

تضاربت الآراء حول أصل تسمية المدينة بـمازونة، ويعتبر مولاي بلحميسي من أبرز من اهتموا بتاريخها لكونه من أبنائها نشأ وترعرع فيها، حيث أشار إلى عدة فرضيات من بينها أن كلمة مازونة مصطلح بربري يعني أرض الرجال الأقوياء، أو أنها اشتقت من اسم ماسونا، وهو اسم لمدينة رومانية منقسمة إلى نصفين، ويعتقد آخرون أن أصل التسمية يعود إلى ملك يدعى ماسينا¹.

كما يشير يوسف الزياتي في كتابه دليل الحيران، أن أصل الكلمة يعود إلى قبيلة بربرية زناتية استوطنت المنطقة، وكان إسم جدهم مازون، على إثر هذا سميت بـمازونة نسبة له².

وهي مدينة عريقة تعتبر قاعدة تاريخية هامة في قلب جبال الظهرة، كانت ملتقى لعناصر مختلفة وحضارات متعددة، وصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة، وسميت بأسماء الأحكام المكونة، لقد امتدت بتاريخها إلى جذور الحضارات القديمة فكانت منارة العلم ومنهل الحضارة³.

أسست عام 567هـ/1172م، على يد بني منديل أمراء مغراوة الذين اتخذوها قاعدة لإمارتهم، وقد اختلف في تسميتها، ف قيل هي اسم لقبيلة (ماسون) (Mazoun)، وقيل أن اسمها مشتق من (مزنة) (Mazna)، أو (مزونة) (Mazouna).

مازونة مدينة هامة بين مستغانم وتنس على مرحلة واحدة من شلف⁴، ذكر ابن بطوطة⁵ المدينة في معرض حديثه عن المدن التي مرَّ بها في رحلته، لكن من غير وصف أو

¹ - بن مخلوف رضا، الحياة الاجتماعية والإقتصادية في بايلك الغرب تلمسان أنموذجا، كوهينور للنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2024، ص62.

² - محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص77.

³ - جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاعي حضاري، منشورات جمعية الظهرة، دت، ص10.

⁴ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص25.

⁵ - هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله ابن بطوطة، رحلة مؤرخ ولد ونشأ بطنجة سنة 703هـ/1304م، وخرج منها سنة 725هـ، فطاف بلاد المغرب، مصر، الشام، الحجاز، العراق، فارس، اليمن، البحرين، تركستان وما وراء النهر، الهند، الصين، الجاوة، بلاد التتر، وأواسط أفريقيا، أملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي، بمدينة فاس سنة 779هـ/1377م، ينظر:

الزركلي خير الدين، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص236.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

تفصيل إذ يقول: "...ثم خرجنا عنها بعد عشر مراحل إلى مدينة تنس، ثم إلى مازونة، ثم إلى مستغانم، ثم إلى تلمسان، فقصدت العباد وزرت الشيخ أبا مدين، ثم خرجت عنها على طريق ندرومة... وبتُّ بزواية الشيخ ابراهيم"¹.

كما ذكرها العبدري² في رحلته بقوله "...ثم رحلنا على طريقنا الأولى إلى مليانة فتيامنا منها على طريق مازونة، مثوى خطوب الزمن، ومناخ ركاب الحدثان، وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بحرف واد منقطع شبه قلعة، ولكنها واهية حساً ومعنى وليس بها ما يتعرض لذكره البتة"³.

أما حسن الوزان⁴ الفاسي المشهور في الكتابات اللاتينية بليون الإفريقي، فيصف المدينة في بداية القرن السادس عشر، ومن جملة وصفه يذكر الآثار الكثيرة المحيطة بالمدينة، والتي يرجع بناؤها إلى العهد الروماني⁵.

ورغم أن هذه الآثار العمرانية، لا تشير لأي اسم قد يحيلنا إلى تاريخ التأسيس، أو إسم المؤسس، أو إسم المدينة عند الرومان، إلا أن كثرة الكتابات الواردة على ألواح الرخام

¹ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، ص190.

² هو محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري، رحالة وفقه مالكي، يقال له الحاحي والحيحي نسبة إلى بلاد حاحة البربرية، على بعد 60 كيلومتر من الصويرة المغربية على الساحل الأطلسي، ولد ونشأ بها وتعلم حتى صار قاضيا على مراکش، ثم استقر بحاحة وتوفي بها، وقبره معروف ومزار يطلق عليه اسم سيدي أبو البركات، وكان شاعرا فحلا وأديبا نقّادا، وهو صاحب الرحلة العبدرية، قام بها في 25 ذي القعدة 688هـ، توفي سنة 700هـ/1300م، ينظر:

الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص32.

³ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق وتعليق محمد الفاسي، إصدارات وزارة الدولة المكلفة بشؤون الثقافة والتعليم الأهلي، الرباط، 1968، ص278.

⁴ ليون الإفريقي أو الحسن بن محمد الوزان، الغرناطي مولداً، الفاسي نشأة، الزياني نسباً، والوزان نسبة إلى أحد أجداده الذي كان يعمل موظفاً في مصلحة الموازين العامة، ولد في حدود سنة 893هـ/1488م، كانت أسرته في غرناطة ثم هاجرت إلى فاس، إثر سقوطها في يد الإسبان سنة 897هـ/1492م، تلقى العلم على يد مشايخ جامع القرويين بفاس، حيث درس على علمائها العلوم النقلية والعقلية المنتشرة في عصره، من أهم الرحلات التي قام بها رحلاته إلى بلاد المغرب الإسلامي، وبلاد السودان ما بين (914هـ-1508م/920هـ-1515م)، ثم قام برحلات أخرى إلى المشرق ما بين (921هـ-1516م/926هـ-1519م)، حيث وصل إلى بلاد الحجاز وأدى بها فريضة الحج، ثم توجه إلى القسطنطينية ليتحول منها إلى مصر عبر بلاد الشام، ثم سافر إلى تونس سنة 926هـ/1519م، ثم أبحر عائداً إلى المغرب الأقصى، لكنه وقع في أسر قرصنة صقلية قرب جزيرة جربة، وقدم كهدية إلى البابا ليون العاشر الذي كان مهتماً بالعلوم والآداب، وهو من شجعه على اعتناق المسيحية، ينظر:

الطاهر خالد، مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد04، 2017، ص ص 51-52.

⁵ الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص36.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

تكاد تؤكد أن الرومان وإن لم يكونوا أول من أسس هذه المدينة، فإنهم سكنوها وعمروها وتركوا آثارا تدل -بما لا يدع مجالا للشك- على سكونهم للمدينة.

إذ يقول عنها الوزان: "...مدينة أزلية بناها الأفارقة -حسب قول بعضهم- على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة، تحيط بها أسوار متينة، لكن دورها قبيحة فقيرة، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى..."¹

كما يذكرها صاحب الروض المعطار ابن عبد المنعم الحميري²، إذ يعرفها كما يلي: "مازونة بالمغرب ويقصد بلاد المغرب الإسلامي، بالقرب من مستغانم، وهي على بعد ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين، وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر، بضروب من الفواكه والألبان والسمن، والعسل بها كثير، وهي من أحسن البلاد صفة، وأكثرها فواكهًا وخصبًا"³.

مازونة على العهد العثماني:

بدخول العثمانيين إلى الجزائر، وضمها إلى سلطانهم، عرفت مازونة نقلة نوعية لم تشهدها من قبل، فقد جعلوها عاصمة لأحد أهم البايكات الذي نظموا من خلاله إدارتهم للإيالة⁴، إذ اختارها حسن بن خير الدين، الذي حكم البلاد نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر، عاصمة لبايلك الغرب، وقاعدة خلفية لحماية مستغانم وقلعة بني راشد اللتين كانتا مهددتين بالتوسع الإسباني انطلاقا من وهران.

كما كانت مستقرا للباي بن خديجة أول بايات الغرب، بعد عودة حسن بن خير الدين من حملته على الغرب سنة 1563م.

¹ -الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص36.

² -هو أبو محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور أبو عبد الله الحميري، عالم بالبلدان والسير والأخبار، أندلسي من أهل سبتة، له الروض المعطار في أخبار الأقطار، توفي سنة 900هـ/1495م، ينظر:

الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص53.

³ -الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980م، ص521.

⁴ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011، ص292.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

وقد كان أول اتصال بين الحكام الجدد للجزائر ومازونة، وفي عهد علج علي الذي عزم منذ بداية ولايته على هزيمة إسبان وهران، فأرسل جيشا كبيرا إلى المدينة، وبعث جزءا من محلاته الخاصة للمشاركة في الغزو إذ أنزلها بمازونة ومستغانم¹.

معسكر:

تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر على السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس الخصب، بالقسم الغربي لجبال بني شقران، وتحتل كل من هضبة المامونية وسهل غريس المنخفض، حتى المناطق المتاخمة لجبال سعيدة جنوبا، والتي هي جزء من الأطلس التلي، وترتفع عن سطح البحر بحوالي 585 متراً، تمرّ بوسطها أودية هامة مثل وادي تودمان، وادي عين السلطان، الذي يعتبر الممول الرئيسي للمدينة بالماء الشروب، ووادي الحمام، تبعد عن ساحل البحر حوالي 50 كلم، بالتحديد عند مصب وادي المقطع².

معسكر على العهد العثماني:

أدرك العثمانيون منذ وقت مبكر الأهمية الإستراتيجية لمنطقة معسكر حاضرة وبادية، حيث قام عروج بتعيين أخيه إسحاق واليا على قلعة هواره، كما أعلن سكان معسكر ولاءهم للعثمانيين عن طريق شيخ المدينة الكبير سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، دفين منطقة مليانة، الذي أعلن عن ولائه لعروج، خلال التقائه به في كريشتل قرب وهران.

وقد أدرك سكان منطقة معسكر نبل القضية التي حملها العثمانيون على عاتقهم عندما درأ عنهم هؤلاء الوافدون الاعتداءات المتكررة للإسبان، وعملاتهم من بني زيان، خاصة أبا حمو الثالث، أو من بعض القبائل التي باعت نمتها ودينها للأجانب، حيث شارك في

¹ -Ernest Mercier, Histoire de L'Afrique septentrionale depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française 1830, ed, Ernest Leroux, Paris, t3, p106.

² - بن العياوي علي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2013، ص20.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

الحملة الإسبانية على قلعة بني راشد القائد العيادي سنة 924هـ/1518م، وهي الحملة التي قتل فيها أول عامل عثماني عينه عروج على قلعة هواراة التي تسمى القلعة حالياً، وهو اسحاق ابن يعقوب أخ عروج وخير الدين، وقاموا خلالها بتخريب المدينة، وهدم العمارة ونهب الأموال، وقتل الرجال بعدما أعطوهم الأمان¹.

ولمّا كانت الأوضاع السياسية في بايلك الغرب غير مستقرة نتيجة استمرار التهديدات الإسبانية بوهران، فإن السلطة العثمانية أدركت منذ مطلع القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، أهمية مدينة معسكر الإستراتيجية، بموقعها المحصن بجبال بني شقران، وبسهل غريس، الذي يشكل ظهيرها الإقتصادي، والذي يمدّها بجميع حاجياتها من المؤونة، والخيول، وكأنهم أدركوا أن سياسة البلد تكمن في جغرافيته، كما اهتدى إليها منذ عهود بعيدة المؤرخ الروماني استرابون، عندما ربط بين قوة روما، وظهورها، واتساعها وبين دور التضاريس والمناخ، وتأثيرها على تلك القوة.

ولعل الباي مصطفى بوشلاغم، أراد الإستفادة من جغرافية المنطقة ومن طباع سكانها، إذ كانوا ذوي عصبية خاصة وأخص بالذكر قبائل بني شقران، والحشم، فقام بتحويل عاصمة البايك من مازونة إلى القلعة ثم معسكر سنة 1701م، لتكون قاعدة لمقاطعته وذلك لتوسطها بين مازونة وتلمسان، ولمراقبة الغزاة الإسبان بوهران، والتحكم في قبيلة الحشم التي استعصت على السلطة العثمانية.

ظلت مدينة معسكر عاصمة لبايك الغرب على مدى قرابة القرن من الزمن، وتداول عليها تسعة بايات، أبدوا كلهم عناية بالجهاد لاستكمال تحرير الجزائر من بقايا الإسبان بوهران ولعل موقعها وطبيعة سكانها جعلت العثمانيين يتخذونها رباطاً لتحرير وهران، وكان لهم ذلك سنة 1792م².

¹ - عليو محمد، الحياة الإقتصادية والإجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين 1701-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر مصطفى اسطمبولي، 2008، ص32.

² - عليو محمد، المرجع السابق، صص34،33.

تلمسان على العهد العثماني:

تقع مدينة تلمسان بالقرب من البحر المتوسط في أقصى الشمال الغربي، وجنوب غربي وهران، وتحيط بها من الجنوب جبال الأطلس¹، حددها القلقشندي بين خط طول 14 درجة و40 دقيقة، وخط عرض 33 درجة و12 دقيقة²، حيث ترتفع على سطح البحر بحوالي 306 متر³.

أما بالنسبة لتسميتها بتلمسان فقد اختلف الكثير حولها، فحسب المؤرخين لم تعرف تسمية واحدة فقط، بل نعتت بعدة أسماء مثل: بوماريا، أغادير، تاقرارت، حيث أن لفظ بوماريا أطلقه الرومان على المنطقة ومعناه مدينة البساتين والفواكه.

يذكر بعض المؤرخين أن تلمسان بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، تكونت من مدينتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة، إذ يقصد بالقديمة أغادير، وهي تسمية بربرية تعني جدار قديم أو المدينة المحصنة، أما الحديثة فهي تاقرارت التي أسسها يوسف بن تاشفين بمعسكره الذي يحاصر أغادير⁴.

مدينة تلمسان، هي إحدى الحواضر الرئيسية في بايلك الغرب الجزائري، كانت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، عاصمة للمقاطعة، ومقرا لحكومة بني عبد الوادي، كما أنها كانت مقرا رسميا لدولة عبد المومن الموحي.

وفي بداية العصر الحديث، ومع تغلغل الإسبان في الغرب الجزائري باحتلال المرسى الكبير سنة 1505م، ووهران سنة 1509م فقدت تلمسان أهميتها، وما زادها تقهقرا هو انضوائها تحت لواء الحماية الإسبانية سنة 1512م، بقبول من ملوكها بني زيان، الذين رضوا بدفع الجزية السنوية للإسبان المتمركزين بوهران، ومن ثمة وقع الإنفصام بين

¹ - كارل موريس شريل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1998، ص130.

² - أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1915، ص150.

³ - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص110.

⁴ - بن مخلوف رضا، المرجع السابق، ص72.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

الحاكم الزياني والمجتمع التلمساني، مما أتاح الفرصة لعروج بالتدخل بطلب من التلمسانيين أنفسهم¹.

مستغانم على العهد العثماني:

إن الطبيعة منحت مستغانم موقعا من الدرجة الأولى، فهي تقع في منطقة محمية من البحر الأبيض المتوسط من الجهة الغربية، يخرقها وادي عين الصفراء ونهر شلف الذي يصب في البحر شرق المدينة، تحيط بها بساتين وأحواز خصبة من كل جانب².

كانت للمدينة أهمية كبيرة كونها تشرف على تمرکز وتجمع تجارة كل من سهلي شلف ومينا، إضافة إلى موقعها الإستراتيجي³، تعتبر مركزا ثقافيا من الطراز الأول، ومن الناحية الاقتصادية، لعبت دورا بارزا خاصة أثناء الإحتلال الإسباني لوهراڤ والمرسى الكبير، إذ عرف ميناء مستغانم حركة نشيطة لكونه منفذا على الخارج لمدن، معسكر ومازونة وغيرها من مناطق بايلك الغرب.

كان للأندلسيين دور كبير في انتعاش المدينة ونموها الإقتصادي والديموغرافي، وكذلك تواجد الإحتلال الإسباني بوهراڤ جعلها قاعدة خلفية لمراقبة تحركاته، ما يفسره اختيارها كعاصمة لبايلك الغرب من طرف الباي مصطفى بوشلاغم من سنة 1732م إلى 1738م، أي تاريخ انتقال العاصمة إلى معسكر⁴.

المبحث الرابع: بايات الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م.

تعاقب على بايلك الغرب العديد من البايات، ومن ضمن هؤلاء اشتهرت عائلتان اثنتان هما: عائلة بوشلاغم المسراتية وعائلة محمد بن عثمان الكبير⁵.

¹ بن عتو بالبروات، أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 1، 2009، ص74

² - Thomas, Shaw, Op.Cit, p236.

³ -Moulay, Belhamissi, Histoire de Mostaganem, centre national des études historiques, Alger, 1976, p34.

⁴ -Moulay, Belhamissi, Op.Cit, p34.

⁵ - بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، 2016-2017، ص 54.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

ويمكن ذكر بايات الغرب الجزائري، حسب الفترة الزمنية المحددة أعلاه، كالآتي:

الباي شعبان الزناقي:

كان مقره بـمازونة، في حدود سنة 1090هـ/1679م، وقد غزا وهران في فترات مختلفة، وله مع الاسبان عدة حروب، إلا أنَّ الاسبان كان لهم الغلبة عليه بفضل جواسيسهم وحلفائهم كبني عامر وقيزة وغمرة وكريشئل، توفي سنة 1098هـ/1687م، ومثَّل الاسبان بجثته بقطع رأسه وتعليقه على الباب، وتمكَّن المسلمون من استرجاع الجثة دون الرأس، ودفن خارج وهران، وهناك من يقول أنَّ رفاتهُ حُمِلت إلى الجزائر¹.

الباي مصطفى بوشلاغم:

هو مصطفى بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي المعروف ببوشلاغم ثم الهواري، تولى بايا على مازونة وتلمسان، وقد استطاع توحيد بايلك الغرب سنة 1098هـ/1686م، وقام بنقل مقر البايك من مازونة وتلمسان إلى القلعة، ثم إلى معسكر التي اختارها لموقعها الذي يتوسط مازونة وتلمسان²، من أهم إنجازاته فتح وهران الأول، صبيحة يوم الجمعة 26 شوال 1119هـ/02 جانفي 1708م، لينقل مقر حكمه من معسكر إلى وهران³، لكن تمكَّن الاسبان من استرجاعها عام 1143هـ/1732م، وأرغم على الخروج منها والاستقرار بمستغانم⁴.

¹ - مسلم بن عبد القادر، خاتمة تاريخ بايات وهران المتأخرة أو أنيس الغريب والمسافر، تج. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 14-15.
² - الأغا بن عودة المزاربي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تج. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج.1، ص 275.
³ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية، تق. تج. محمد بن عبد الكريم الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 30.
⁴ - عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الدولة الجزائرية وثورة أول نوفمبر 1994، الجزائر، 2007، ص 222.

الباي يوسف المسراتي:

بعد وفاة الباي بوشلاغم تولى الأمر بعده ابنه يوسف المسراتي سنة (1737-1738م)، حيث أعاد مقر البايك إلى معسكر، لم يتصف بقوة وشجاعة والده، ما دفع كراغلة تلمسان على التمرد عليه سنة 1738م¹.

مكث في الحكم سنة واحدة، وتوفي متأثراً بالطاعون سنة 1147هـ/1738م²، خلال هذه المدة استمر محي الدين المسراتي خليفة مصطفى بوشلاغم، في إدارة شؤون البايك إلى أن عمل على تعيين ابنه مصطفى الأحمر³.

الباي مصطفى الأحمر:

مكث مصطفى الأحمر في الحكم مدة عشر سنوات بين (1738-1748م)، أبقى مقر البايك في معسكر حيث أحاطها بالحصون والأسوار، مات مسموماً من طرف عائلة زوجته ونقلت جثته من معسكر إلى مستغانم ليدفن بقبة بوشلاغم، حيث كانت لها أوقاف هامة تتمثل في منازل وحدائق وحوانيت يشرف عليها إمام يسير شؤونها، مداخلها مخصصة لفائدة أوقاف الحرمين الشريفين⁴.

الباي قائد الذهب المعروف بباي المحال:

لقب بقائد الذهب، لكثرة سخائه وإكرامه على الرعية، كما يقال له باي المحال⁵، أي كان قائداً على المحال، بعد تحالف عصمان حاكم تلمسان آنذاك مع المحال ضد الباي وإعلان العصيان، فر هذا الأخير إلى وهران واستقر بها، إلى أن لحقه المحال بنجعهم

¹ - Walsin, Esterhazy, Op.Cit, p175.

² - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 222.

³ - Walsin, Esterhazy, Op.Cit, p175.

⁴ - Walsin, Esterhazy, Op.Cit, p176.

⁵ - محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص 194.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

فرارا من عصمان، ولما حصل بينه وبينهم الصلح رجعوا إلى مواطنهم بين واد مينا والشلف¹، دامت ولايته نحو ست سنوات، ومعه انتهت فترة حكم الأسرة المسراتية².

الباي ابراهيم المجاجي:

بقي في الحكم تسعة أعوام إلى أن قتل ليأتي بعده الباي عثمان الملقب بعصمان.

الباي عثمان بن الحاج ابراهيم الملقب بعصمان :

كان حاكما على تلمسان وثار عليه سكانها مع الباي يوسف المسراتي، تولى في المرة الثانية الحكم على جميع المقاطعة الغربية وانتقم لنفسه من التلمسانيين وقبائل المحال أشد انتقام، استمر في الحكم مدة تسعة عشرة عاما، من بين إنجازاته العمرانية بناءه الجامع الكبير بمعسكر سنة توليه الحكم، وقام بعدة غارات على وهران لكنها لم تكلل بالنصر³.

الباي حسن:

استمر حكمه ثلاث سنوات (1771-1773م)، غادر إلى اسطنبول بعد أن امتعض من طريقة استقباله في دار السلطان أثناء إيصاله الدنوش.

الباي أبو إسحاق إبراهيم الملياني:

تولى الحكم ما بين 1774-1783م، واشتهر بحبه للعلماء وطلبة العلم وتكريمه لهم، حيث رتب العلماء حسب رتبهم العلمية وكان يكثر من مجالستهم والمذاكرة معهم، أما عن آثاره المعمارية فقد بنى برج العسكر بمعسكر⁴، استمر في الحكم قرابة العشر سنوات، وتوفي بمعسكر عام 1783م، ودفن بالقبة التي بناها الباي عصمان للشيخ عبد القادر الجيلاني قرب الجامع الكبير.

¹ - بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص 281.

² - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 222.

³ - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 195.

⁴ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 57.

الباي حاج خليل:

حكم ما بين 1783-1784م¹، عرف بكرهه للعلماء ومقته لهم²، عرفت فترة حكمه تمرد سكان تلمسان بقيادة الشريف الدرقاوي، حيث تنقل الباي إلى عين المكان لوضع حد لهذا التمرد، وأثناء تأديته لهذه المهمة وافته المنية، ودفن بقبة سيدي السنوسي سنة 1784م³.

الباي محمد بن عثمان الكبير:

يلقب بمحمد الأكل⁴، ينحدر من أسرة كردية؛ فقد كان والده حاكما لمليانة ثم بايا على بايلك التيطري إلى أن قتل في حروبه مع العرب المشهورين بالنوائل⁵.

ولد الباي محمد الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، ولا يمكننا تحديد ولادته بدقة إلا أن الخزنادار تيدنا، قدر عمر الباي محمد عند أول لقاء جمعه به في قصره، عام 1779م، بين أربعين وخمس وأربعين سنة أي ولد بين 1734 و1739م⁶.

اتفقت المصادر المحلية والأجنبية على الصفات الحميدة للباي محمد الكبير، فقد كان محبا للعلماء والأدباء، متضلعا في العلوم العربية، ومتوسعا في علوم الدين⁷، وكان سخيا وكريما مع رعيته، وكذلك حازما وشجاعا.

¹ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 222.

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 58.

³ Faure, Biguet, Op.Cit, p409.

⁴ - بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير-باي وهران 1779-1797"، عصور، ع. 3، جوان 2003، ص 158.

⁵ - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تق. تح. المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 133.

⁶ - تيدنا دوفانت أسير فرنسي في الجزائر العثمانية بين 1779-1782م، اشتراه في بداية الأمر أحد اليهود المستقرين بمدينة الجزائر، ولما كان لا يعرف سوى الكتابة، باعه لوكيل الباي محمد الكبير، لينقله إلى معسكر حيث استقبله الباي بقصره، وأوكله منصب خزندار، أي أمين المال، للمزيد من المعلومات ينظر مذكرات تيدنا.

⁷ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 140-142.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

حكم الباي محمد بن عثمان الكبير في الفترة ما بين (1788-1799م)¹، قام خلالها بفتح وهران سنة 1792م²، واسترجاعها من أيدي الأسبان³.

المبحث الخامس: التركيبة القبلية للبايلك الغربي ودورها في تدعيم السلطة المركزية.

تقسمت القبائل في بايلك الغرب الجزائري، قبل فتح وهران الثاني، بين الولاء للإسبان أو للعثمانيين، فالقبائل الموالية للإسبان يطلق عليهم تسمية المغاطيس أو المغطسون، فهؤلاء كانوا يأتون بدوابهم إلى الدواوير على صفة الحضر البائعين للعطرية ومعهم من الجلود الفلالية، فإذا وجدوا خبرا جلبوه للنصارى، وإذا وجدوا الفرصة في الصغير أو الكبير إلا وجعلوا الجلود على فمه حتى لا يتكلم وحملوه على دوابهم ومشوا به ليلا إلى وهران فيبيعونه للإسبان وينتفعون بثمنه⁴، ومنهم: بنو عامر، كرشتل، شافع، حميان، أولاد عبد الله، أولاد علي القبيل، غمرة، قيزة، وكلها تنتمي لقبيلتين كبيرتين هما: بني راشد وبني عامر⁵، أما بخصوص القبائل الخاضعة للسلطة العثمانية أو الموالية لها فمنها: البرجية، مجاهر، الغرابية، سجرارة، بنو شقران، الزمالة، الدواير، واليعقوبية⁶.

وبعد تحرير وهران الثاني، يمكن تقسيم القبائل إلى الأصناف الآتية:

أ- قبائل المخزن:

هي جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة السلطة التركية مكتسبة بذلك كيانا

¹ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 222.

² - كان لعلماء وطلبة معسكر دور في هذا الفتح، فقد كان عددهم يزيد على الخمسمائة. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تق. وتح. محمد بن عبد الكريم الجزائري، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص ص 19-20.

³ - أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 63.

⁴ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تق. وتح. محمد بن عبد الكريم، منشورات مكتبة دار الحياة، دت، ص 13.

⁵ - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 80.

⁶ - سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص 81.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

مستقلا متميزا¹؛ فقد شملت الخدمات التي كانت تقدمها الفلاحة خماسين أو تربية خيول البايك، أو حراسة مطامير البايك، أو كفرقة عسكرية في جيش المخزن، لذلك فهذه القبائل تنقسم إلى قسمين: قبائل أهل المخزن المسلحين، وقبائل أهل المخزن غير المسلحين²، كما كان لهذه القبائل دور كبير في ترسيخ الحكم العثماني في إيالة الجزائر³، فبفضلهم استطاع العثمانيون أن يفرضوا سيطرتهم ويمدوا نفوذهم على جهات مختلفة من الإيالة الجزائرية، إذ اعتمد عليهم في مهام مختلفة كجباية الضرائب من الأرياف، وحفظ الأمن، وحراسة الطرق، ومعاينة الجناة، وإخضاع الثائرين، وعليه فقبائل المخزن هي فعلا حلقة وصل بين الرعية والحكام ورابطة متينة شددت المحكوم إلى الحاكم⁴.

وبخصوص التقسيم الجغرافي، فمخزن وهران ينقسم إلى قسمين: المخزن الغربي الذي يضم: الدواير، الزمالة، الغرابية، البرجية، بنو شقران، شارب الريح، سجرارة، بني غدو، الحشم، وعبيد الشراقة، أمّا المخزن الغربي فيشمل: المكاحلية، أولاد أحمد، أولاد بوغرارة، عكرمة، أولاد سلامة، أولاد عباس، وأولاد خويدم⁵.

ب-قبائل الرعية:

تشمل القبائل الخاضعة مباشرة للبايلك وتقيم في القرى والدواوير، وتقتن في الجبال الملائمة للزراعة أو في الهضاب الداخلية، موزعة بين سبدو، تليلات، سعيدة، فرندة، تيارت، ومازونة، وقد شكّلت موردا أساسيا لخزينة البايك أمام نقص وغياب

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 207.

² -سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببابلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر (1832-1847) مقارنة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية (أغاليك مجاهر، قيادة فليته، أغاليك الشرق أنموذجا)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2010-2011، ص ص 165-169.

³ -WalsinEsterhazy, notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Perrier, Oran. 1849, p 9.

⁴ -ناصر الدين سعيدوني، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، مجلة الأصالة، ع. 32، 1976، ص ص 46-53.

⁵ -بودريالة نور الدين، العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م مقارنة اجتماعية وسياسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، 2018-2019، ص 80.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

مداخل البحر¹، كما أنَّها تساهم بخدمات إلزامية (التويزة) لصالح الدولة وموظفيها وأعيانها وهي ملزمة بتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري المركزي من شيوخ القبائل وقادة العشائر².

ج-القبائل الحليفة:

وهي القبائل التي كانت في علاقة مع الحكام الإداريين عن طريق شيوخها الذين كانوا يتحكمون بالقرى أو الدواوير، معتمدة في ذلك على النفوذ الديني والروحي لرجال الطرق الصوفية والزوايا وعائلات المرابطين، وهذا ما نجده في قبائل أولاد سيدي الشيخ التي كانت حليفة ومقربة من البايك³.

د-القبائل المستقلة (المتنعة):

وهي القبائل التي كانت تقطن الجبال الوعرة، المتنعة عن الحكام⁴، أغلبها تطلب الترحال مثل: الأحرار، بني مناد، والمهايا⁵؛ فعلى سبيل المثال قبائل ريغة الواقعة بضواحي مليانة، كانت في حرب دائمة مع السلطة العثمانية بسبب رفض هذه الأخيرة دفع ما عليها من ضرائب، وهذا ما جعل السلطة المركزية لا تتردد في استعمال القوة ضد هذه القبائل وذلك بمصادرة أملاكهم وتشريد سكانهم⁶.

¹-دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والمعاصر، جامعة الجيلالي الياصب- سيدي بلعباس، 2016-2017، ص 58.

²-ناصر الدين سعيدوني، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي)"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م، ص ص 62-63.

³-دباب بومدين، المرجع السابق، ص 60.

⁴-ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 42.

⁵-دباب بومدين، المرجع السابق، ص ص 60-61.

⁶-سميرة طالبي معمر، المرجع السابق، ص ص 101-102.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

المبحث السادس: النفوذ الإسباني في بايلك الغرب: وهران والمرسى الكبير.

بعد سقوط الأندلس، سنة 897هـ/1492م، عمل الأسبان على طرد المسلمين بل وملاحقتهم إلى المغرب الإسلامي، بهدف إبعاد خطرهم من جهة، والسيطرة على هذه المناطق من جهة أخرى.

قامت إسبانيا باحتلال المرسى الكبير سنة 1505م¹، بتمويل من الكاردينال خيمينيس دي سيسنيروس Ximénez de Césneros، في وقت كانت خزينة إسبانيا تعاني من عجز مالي بسبب حروب الوراثة في أوروبا².

وقد تعددت الدوافع التي جعلت إسبانيا تسعى إلى السيطرة على هاتين المنطقتين لما لهما من أهمية؛ فهناك العوامل السياسية والاقتصادية المتمثلة في إنشاء إمبراطورية، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، لذلك عملت على احتلال سواحل المغرب الإسلامي، لما تتميز به هذه المناطق من خصائص لكونها الأقرب جغرافيا من إسبانيا؛ فهيمنة هذه الأخيرة على المرسى الكبير ثم وهران سنة 1509م، سيمكنها من تأمين تجارتها في البحر الأبيض المتوسط والسيطرة على مسار السفن العابرة عبر مضيق جبل طارق، باعتباره المنفذ الرئيسي الذي يربط المحيط الأطلسي بفرعه المتوسط، هذا وبالإضافة إلى دور الدافع العسكري الذي يتجلى في الاستحواذ على السواحل لإيقاف الهجمات الإسلامية على الشواطئ الإسبانية التي أرهقت إقتصاد إسبانيا³.

قاد الحملة الإسبانية على المرسى الكبير دون ريمون دو قوردو؛

Don Raymond de Cordoue، مشكلة من 5000 رجل، تحت إمرة دون ديبغو فرنانديز دو قوردو Don Diego Fernandez de Cordoue، والتي انطلقت من ملقا،

¹ جون بول وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر. تع. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 26.

² نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 16/10م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص ص 18-19.

³ صبرينة الواعر، "الغزو الإسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير أنموذجا 1505-1792"، مجلة البحوث التاريخية، ع 1، مارس 2022، مج 4، ص ص 38-39.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

يوم 29 أوت 1505م، لكن قوة الرياح أجبرتها على الرسو في ألمرية، ولم تصل إلى المرسى الكبير حتى يوم 11 سبتمبر¹، وكان هذا التأخير لصالح للإسبان، لأنّ المسلمين الذين جاءوا تلبية لداعي الجهاد عندما بلغهم نبأ إقلاع الأسطول الاسباني، قد ملوا الانتظار وقلّت لديهم المؤن؛ فرجع أغلبهم إلى ديارهم، تاركين في المرسى الكبير عددا قليلا منهم لا يتجاوز 400 رجل² من أجل المراقبة والاستطلاع، وعندما وصل الأسطول الإسباني، وقعت معركة دامت ثلاثة أيام استشهد خلالها قائد الحامية، ولم تستطع تلك الحامية الدفاع ممّا سهّل على الغزاة النزول إلى البر³؛ فما كان على السكان سوى مغادرة المدينة، طبقا لأوامر القائد العام للحملة، بحيث لم يسمح لهم بأخذ سوى ما يستطيعون حمله فقط تاركين وراءهم أموالهم ودوابهم وأسلحتهم، وهذا ما حدث بالفعل حيث غادر سكان المرسى الكبير، يوم 14 سبتمبر، ولم يبق منهم أحد بعد منتصف النهار⁴، ليشرع الاسبان في تحويل المسجد إلى كنيسة "القديس ميكائيل" وفي أعمال النهب رغم الأوامر التي تلقوها من القائد العام بعدم تحطيم شيء في المدينة أو الحفر فيها لجعلها كقاعدة لعمليات عسكرية مقبلة⁵.

وعندما تمكّن الكاردينال الإسباني خيمينيس من تجهيز حملته المكونة من 15000 مقاتل، أبحرت من ميناء قرطاجنة، يوم 16 ماي 1509م، يقودها بيدرو نافارو Pedro Navarro، ونزلت بالمرسى يوم 17 ماي بكل سرعة ودون أي مانع، ثمّ توجهوا إلى وهران⁶، وقد حاول المسلمون الدفاع عنها لكن الاسبان تمكنوا من الدخول إليها من أحد

¹-A. Berbrugger,"prise de Mers-El-Kebir", revue afrivaine, A. jordanelibrairie-éditeur, 1865, v9, p339.

²-Ibid, p339.

³-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.، ص ص 96-98.

⁴-صبرينة الواعر، المرجع السابق، ص 45.

⁵-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 98.

⁶-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 110-111.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعه السياسي.

الأبواب بفضل مساعدة أحد اليهود لهم المسمى ستورا: بن كبيسة و بن زهوة، إذ كافئوه بعد ذلك بجعله يقبض الضرائب، وبقي بهذا المنصب في بنيه وأحفاده¹.

وللإشارة فقد كانت وهران تحت السلطة الاسمية للدولة الزيانية، ومع استيلاء الاسبان عليها، أعلن الحاكم الزياني في تلمسان أبي حمو الثالث وكذلك قبيلة بني عامر الخضوع للحكم الإسباني².

¹-صبرينة الواعر، المرجع السابق، ص 48.
²-نفسه، ص 48.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: أنواع الأراضي الزراعية:

- أ- أراضي البايك.
- ب- أراضي القبائل.
- ت- أراضي العزل.

المبحث الثاني: الثروة الزراعية.

- أ- الفلاحة في بايلك الغرب: مميزات وخصائص.
- ب- أهم السهول في بايلك الغرب.
- ت- أساليب الإستغلال الزراعي.
- ث- أسباب انكماش النشاط الزراعي.
- ج- الوسائل التي كان يعتمد عليها الفلاح.
- ح- سياسة السلطة العثمانية الهادفة إلى التحكم في زراعة الحبوب وتوجيهها إلى التصدير.

المبحث الثالث: الثروة الحيوانية.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: أنواع الأراضي الزراعية:

تميز بايلك الغرب باحتضان مجتمعين مختلفين كان لهما الأثر الكبير في التركيبة الاجتماعية، الأول زراعي والثاني رعوي، تقاسما الحيز المكاني وقد تميزت المجتمعات الزراعية بثلاث خصائص هي: الارتباط القوي بالأرض، التنمية، الترابط بين أفراد المجتمع، بينما كانت المجتمعات الرعوية مختلفة؛ فارتباطها قائم على صلة الدم أكثر من قيامه على أراضي العرش التي تقيم عليها، وملكية الأرض هي جماعية، بينما يكون حق الاستغلال دوريا في شكل عائلي لمدة خمس أو عشر سنوات، وهكذا الملكية قابلة للتحويل لكن دون تصريف المُنتَفِع فيها بالبيع أو التوريث (أراضي عروشية).

في عام 1882م، كانت تقديرات الفرنسيين تشير إلى أن مساحة إقليم وهران يتراوح بين 11 و12 مليون هكتار، حظيت النسبة الأقل بالزراعة 3.820 هكتار وهي تشمل التل وجزءاً ضئيلاً من الهضاب¹.

إن طبيعة الوضع الاجتماعي كانت إقطاعية تقودها السلطة العثمانية والإقطاعية القبلية المحلية²، فالباي كان تاجرا في مقاطعته إذ يأخذ رسماً من التجار مقداره 5% من السلع، ويبيع هذه البضائع إلى السكان نقداً أو مقابل حبوب أو مواشي كالأبقار والأغنام³، ومن هذا المنطلق فقد قسمت ملكية الأراضي إلى عدة أنواع هي :

¹ -كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2012، ص 186.

² -عبد المالك خلف التميمي، ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قُبَيْل الاستعمار الغربي، المجلة التاريخية المغربية، ع 29-30، 1980، ص 111.

³ -حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص 59.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

أ- أراضي البايك:

وهي الأراضي الخصبة المحيطة بالحوضر الكبرى لبايك الغرب، حيث توجد الحاميات العسكرية؛ كانت تعرف عادة باسم المشاتي¹؛ استقرت عليها قبائل المخزن وباشرت فيها نشاطها الزراعي بعد طرد القبائل المعادية للعثمانيين أو المتعاملة مع الاسبان كبني عامر وفليته، على أن الشيء الذي يُمكن استنتاجه أن هذا النوع من الأراضي لا يُباع ولا يُشترى، وكل ما في الأمر أن قبائل المخزن تقوم باستغلالها مقابل تأدية خدمة معينة متفق عليها ضمناً بين أفراد العشيرة ورجال البايك، وتتلخص هذه الخدمة في أن الفرد المنتمي إلى قبائل المخزن والذي له حق الانتفاع بالأرض يجب أن يكون قادراً على تأدية واجبه العسكري، ويضمن له مقابل ذلك حق انتقال الأرض إلى ابنه الأكبر أو من يكون على رأس أسرته من الإخوة والأبناء الآخرين في حال وفاته².

وقد نتج عن هذا النوع من الملكية، أن تحولت مساحات شاسعة من أراضي البايك المخصصة لقبائل المخزن إلى ملكيات خاصة عندما تمكنت بعض العائلات المنتمية إلى المخزن من الاستحواذ على الجزء الأكبر من المشاتي التي كانت تعيش عليها وأصبح في استطاعة هاته الأسر أن تمارس حق الملكية، بآتم معنى الكلمة من ميراث وبيع وشراء وغير ذلك، ويظهر هذا التأثير السلبي في أن 78% من سهول بايلك الغرب، ظلت سيئة التصرف تغطي معظم جهاتها الحشائش البرية والأشجار غير المنتجة، لأن النشاط الحربي لفرسان المخزن شكل عائقاً أمام تطور الانتاج وتحسين طرق استغلال الأرض³.

ومما يُلاحظ أنَّ هذا النوع من الأراضي استغل كذلك من طرف بعض السكان بحصولهم على خمس الانتاج، كما عرف بايلك الغرب ظاهرة السُّخرة؛ فبعد تحرير وهران الأول سنة 1708م، استولى الباي مصطفى بوشلاغم على قطعة أرض وغرس فيها أشجار الزيتون وأنشأ فيها بركة ماء لسقي القمح والشعير، كما أنشأ الباي شعبان مزرعة في أراضي

¹ - ناصر الدين سعيدوني، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عنها، المجلة التاريخية المغربية، ع-08، 07، 1977، ص69.

² -BACHE, (E.L), «la propriété arabe en Algérie avant 1830», in R.A.C, T 3, 1860, PP, 698-699.

³ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 60-70.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

أولاد علي وفرع الهبرة في إقليم سيرات، وأنشأ لها نظام ري وظلت هذه المزرعة تنتج لحساب البايات الذين خلفوه وشغل فيها العبيد والزنوج، ونفس الشيء بالنسبة للباي إسحاق إبراهيم الذي أقام بمعسكر وأصبح مالكا بلاد الباي يُقال لها (الجليدة) أراضي شاسعة في سهل غريس إلى ضفاف وادي الشلف¹.

ب- أراضي القبائل:

كانت قبائل بايلك الغرب تملك قطعاً من الأراضي تمارس فيها نشاطها الزراعي بشكل مشترك من زراعة ورعي، وتختلف ممارسة الملكية وأنشطتها الاقتصادية من قبيلة لأخرى حسب البيئة الجغرافية ومدى خصوبة الأرض، هذا النوع من الأراضي لم يكن بعيداً عن السلطة حيث أن هذه القبائل عليها أن تدفع ضريبة للباي.

إنّ الإنتاج في هذا النوع من الملكية له وظيفة تتعدى حاجات القبيلة الاقتصادية، حيث أنّه يُساهم إلى حد كبير في تدعيم مكانة القبيلة وشيخها سياسياً واجتماعياً وكذلك حربياً، لكن رغم ذلك يبقى الباي من حقه فرض ضرائب على المحاصيل والماشية والأرض والسوق ويستخدم في بعض الأحيان قوة الجيش الإنكشاري لجبايتها².

ت- أراضي العزل:

هي الأراضي التي يصادرها أو يشتريها الباي من القبائل، ويتنازل عنها لصالح كبار موظفيه، وعادة كانت تمنح للقبائل التي ترضى بتقديم الولاء والجند والضرائب للباي، إضافة إلى جزء من المحاصيل التي تنتجها أراضيها، وكانت تتصف بصغر مساحتها ووقوع أغلبها في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان أو بجوار الحواضر، حيث يكثر الاقبال على امتلاكها من طرف موظفي البايك، واشتهرت منها ملكيات بمسرغين، والدار البيضاء بالقرب من وهران³.

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 390.

² - عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص 113.

³ - نفسه، ص 51.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

إنَّ هذا النوع من الملكيات غير مستقر، لأن هذه الأراضي تتوقف على مدى تحقيق الأغراض التي من أجلها مُنِحَتْ وبدون ذلك تُسَحَبُ مباشرة من أولئك الذين مُنِحَتْ لهم لتنتقل إلى أشخاص آخرين وهذا الوضع يؤدي إلى تنافس حاد ليس في مصلحة المجتمع لكنه يساهم في تغذية الصراع بين المُسْتَغْلِينَ والمُسْتَغْلِينَ من السكان¹.

المبحث الثاني: الثروة الزراعية.

أ- الفلاحة في بايلك الغرب: مميزات وخصائص (طبيعة التربة والتساقط):

إنَّ طبيعة الجزائر تمتاز بالتنوع، فَجَزُؤُها الشمالي به تربة سوداء وجهات أخرى حمراء وهي تربة خصبة مشبعة بالنيترات، كما يتلقى هذا الجزء كميات أوفر من الأمطار ما بين شهري نوفمبر وأبريل، وبالخصوص بين نوفمبر وديسمبر، إذ تصل كمية الأمطار السنوية ما بين 24 و 28 بوصة، ما ساهم في تطور زراعة الحبوب وعلى رأسها القمح الصلب ذو الشهرة الواسعة²؛ فكانت السهول الشمالية تنتج أنواع مختلفة من المحاصيل الفلاحية كسهل غريس، وسهل مستغانم، وفي السهول المحاذية للأودية كواد الشلف، التافنة، الهبرة³، أمَّا المنطقة الداخلية السهلية حيث المناخ شبه القاري فالتربة أقل خصوبة، أكثر نباتها الاستبس والحلفاء، فسادت بها تربية قطعان المواشي وحياة الترحال، والمنطقة الجنوبية ذات التربة الفقيرة بسبب الرمال التي تغطي جزءا كبيرا منها؛ فالحياة بها كانت ترتبط بمصادر المياه، وحيثما توجد الينابيع تكون الحياة، مشكلة أفضل المناطق لظهور الواحات المغطاة بأشجار النخيل التي تزرع تحت ظلالها أنواع من الحبوب⁴.

كان بايلك الغرب يشتمل على عدد من السهول مثل سهل غريس الخصب، الذي كان ينتج كميات كبيرة من الحبوب؛ ويعتبر القمح المنتج الرئيسي في كامل الغرب الجزائري

¹ - عبد اللطيف بن أشنهو، تكوين التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين 1830-1962، تر: مجموعة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص ص 26-28.

² - ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر 1816-1824، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 29.

³ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 151.

⁴ - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 124.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

إضافة إلى الخضر والفواكه والمواشي وغيرها¹، وكان سهل تلمسان يحتوي على حدائق خضراء ذات أشجار كثيرة الثمار تسقى بالمياه حيث ذكر ديفونتان، أنه لم يشاهد في حياته بلدا مَرَويا مثل تلمسان، وأرضه المحروثة التي تتوازي بها البساتين وحقول الحبوب وأشجار الزيتون الممتدة على أطراف المدينة والقرى المجاورة، مثل عين الحوت، والحناية، وكانت جميع هذه الأماكن باستثناء سيدي بومدين من أملاك الكراغلة².

إضافة إلى سهلي غريس وتلمسان، كانت هناك سهول أخرى تحتوي على العديد من المزروعات مثل سهول مستغانم التي يصفها "روزيت"، بأنها قد سقيت بعيون المياه الغزيرة والآبار والأحواض والنواعير الهوائية، وبها حدائق الكروم والأشجار، وبها علامات الزراعات الثرية والمكثفة³، وسهل هبرة ومليانة وتنس ووهران، فهذا الأخير لم يكن مستغلا بصفة جيدة قبل فتح وهران، بسبب الأوضاع الأمنية غير المشجعة، لكن بعد فتح وهران النهائي سنة 1792م، أصبحت القبائل المخزنية من دواير وزمالة وغيرها، هي صاحبة الأرض لا سيما سهل الظهرة الواقع قرب وهران والذي منحه لهم حسن باشا⁴.

لقد كان الانتاج الزراعي في بايلك الغرب الجزائري يتم في مواسم دون الأخرى، وذلك لقلة الوسائل الضرورية، ولندرة طرق ووسائل الري وانحصارها في أماكن دون غيرها مثل تلمسان، ندرومة، مستغانم، سيق، ومليانة، حيث توجد بعض السدود التي أنشأها السكان أو التي بناها العبيد لصالح الباي، أو لفائدة تجار المدن كما هو الحال بالنسبة لسدود غليزان على وادي مينه، وكذلك سيق منطقة وادي المبطوح.

كما تميز بايلك الغرب الجزائري بالمزروعات ذات الطابع التجاري، حيث نجد القطن والكتان والأرز والتبغ؛ فكان الأرز مثلا يُنتج بنواحي مليانة المُتاخمة لوادي الشلف، وجهات

¹ - أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب: راجح اسطنبولي، المنصف عاشور، مراد تفاعي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 187.

² - Desfontaines (L, R), fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783 à 1786, librairie de Gide, paris, 1838, p164.

³ - ROZET(M), voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique, 3 Volume, Arthus Bertrand, paris, 1833, p197.

⁴ - ROBERT, tintouin, colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1830 a 1885, Librairie Fouqué, Oran, 1947, pp89-90.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

مستغانم، حيث كان يُزرع في شهر ماي وتُجنى ثماره في شهر أوت¹، ويضاف إلى ذلك انتاج العسل والشمع، التي كانت تشتهر به الأقاليم الجبلية ببائلك الغرب الممتدة من رأس فالكون إلى الحدود المغربية، فقد كان سكان البايك يستهلكون جزءاً منه والبقية تُباع لوكلاء البايك²؛ إضافة إلى القطن والتين (الكرموس)، أما عن تخزين هذه الغلال وحفظها لمدة أطول؛ فكان يتم في مخابئ خاصة عُرفت بـ "المطامير"، التي كانت منتشرة بكثرة في سهول وهران³.

جدول يوضح مساهمة الأحرار وأولاد خليف في الانتاج الفلاحي عام 1802⁴:

القبيلة	إنتاج القمح بالقنطار	إنتاج الشعير بالقنطار
سيدي خالد الشراقة	1600	3100
أولاد الزاوي	1200	2400
أولاد بوعفيف	150	250
الكعابرة	650	1300
الشاوية	350	650
أولاد بلحسين	420	800
أولاد زيان الشراقة	200	400
أولاد زيان الغرابية	650	1300
أولاد دحو	400	800
الدهالسة	550	1100
المرابطين الغرابية	120	500
أولاد عزيز	1300	2500
أولاد بوزيان	1400	2700

¹ - VENTURE, de paradis, Tunis et Alger au 18eme siècle, mémoires et observations rassembles et présentes par Joseph coédition sindibad, paris, 1983, p127.

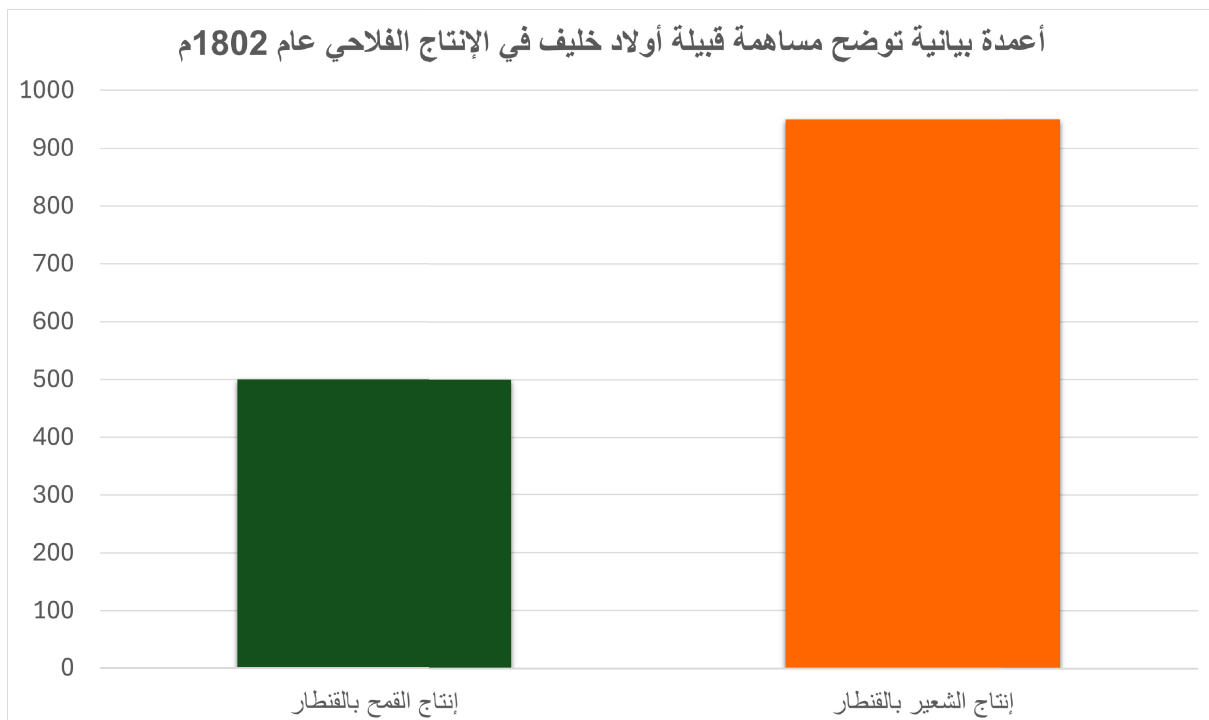
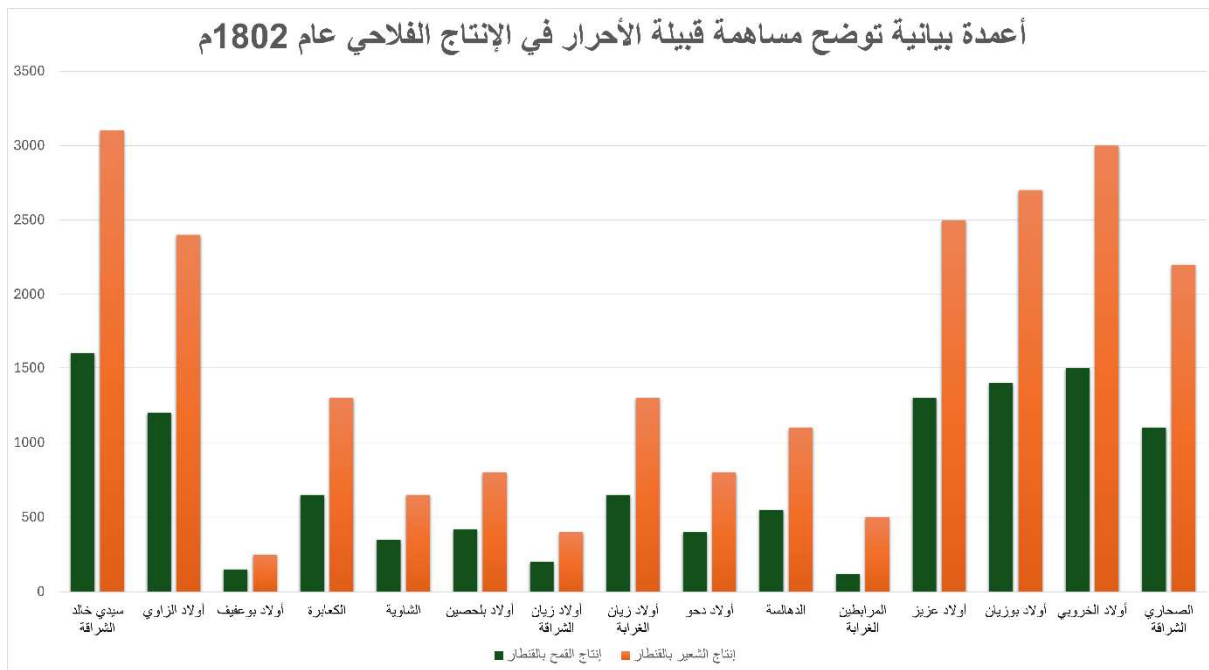
² - BERNARD, caporal, Oran capitale du beylik de l'ouest 1792-1831, Edition alpha, Alger, 2012, pp198-199.

³ - ROZET(M), op.cit, p 284.

⁴ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 198.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

أولاد الخروبي	1500	3000
الصحاري الشراقة	1100	2200
أولاد خليف	500	950
المجموع	12220	23950
-		



الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

ب- أهم سهول بايلك الغرب:

احتضن الريف في بايلك الغرب مُجْتَمَعَيْن مُخْتَلَفَيْن أَثَرًا على التركيبة الاجتماعية بشكل واضح، مجتمعا زراعيًا وآخر رعويًا عاشا جنبًا إلى جنب، وقد تميزت المجتمعات الزراعية بثلاث خصائص: الارتباط القوي بالأرض، التنمية، الارتباط بين أفراد المجتمع، بينما كانت المجتمعات الرعوية مختلفة؛ فارتباطها قائم على الدم أكثر منه على أراضي العرش التي تقيم عليها، وملكية الأرض هذه جماعية، بينما يكون حق الاستغلال دوريا في شكل عائلي لمدة خمس سنوات أو عشر. وبذلك تكون الملكية قابلة للتحويل لكن المنتفع لا يمكنه لا البيع ولا التوريث¹.

في سنة 1882م، قَدَّرَ أحد الفرنسيين² مساحة إقليم وهران وهو الآن بما يتراوح بين 11 و 12 مليون هكتار وتأسف لأنَّ أقل من ثلثها فقط هو الصالح للزراعة (3.820 مليون هكتار)، ولاحظ أنَّ هذه المساحة الصالحة للزراعة تشمل التل وجزءًا ضئيلا من الهضاب العليا، وإذا كانت سهول التل قد عرفت زراعة غنية أيام الرومان أو حتى خلال العصر الوسيط؛ فإنَّها تحولت إلى مناطق يسودها اقتصاد يقوم على تربية المواشي وبعض زراعات الحبوب، وفي القرن 18م، لم تعد أهلة إلا بعدد قليل من السكان الذين يقيمون تحت الخيام كراعة المناطق السَّهْبِيَّة³.

اشتمل بايلك الغرب على سهول خصبة نذكر منها:

سهل غريس:

سمي بغريس لكثرة الغروس به، ولأنَّه مغروس بكثير من الأشجار ذوات الأثمار، وهو سهل رائع يمثِّل بلاد الحشم، وقد كان فيه قرابة 60 قرية تمتد من جبل كرسوت قرب واد التاغية حتى منطقة سيق⁴، وكان هذا السهل المصدر الرئيسي للقمح في البايك، إضافة

¹ - Marc Cote, Op.cit, p 50.

² - Victor-Eugene Ardouin Du Mazât. Etat des algériennes. L'Algérie politique et économique à travers la province d'Oran. Lettres sur l'insurrection dans le Sud Oranais, Paris, Imprimerie Lambert, 1882, p187.

³ - Joan Despois, La répartition de la population en Algérie Annales. Economies Sociétés, Civilisations, 15^e année, X 5, 1960, P 925.

⁴ - E. Lespinas, Op.cit, p 141.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

إلى الخضر والفواكه والمواشي، وأرض غريس أصلح للزراعة منها للرعي، لذلك كانت قبائله تجد صعوبة في رعي مواشيها؛ فَتَنَقَّلُ إلى سهل سيق مباشرة بعد موسم الحرث ولا تعود إلا بعد الحصاد، ويزرع نصف سهل غريس قمحا وشعيرا، ويظل الدوم بين السنايل على مد البصر، ورغم أن هذا السهل لا يحتوي على المستنقعات، ما جعله صحيا وأكثر خصوبة من السهول الأخرى¹.

سهول تلمسان:

معروفة بجودة أراضيها وخصوبتها، ومنها ما هو قريب من المدينة كالحرطون الواقع في جنوبها والمنية الواقعة في شمالها، وقد قيل عنهما قديما: (الحرطون والمنية نصف الدنيا) ويضاف إلى هذين السهلين البسائط والرُّبى الواقعة على ضفتي وادي الصفصيف شرقا، والبسائط أمامه، والمنصورة الواقعة في غربها، إذ هي لا تقل عنهما من حيث جودة الأرض وخصبها، وأمّا السيول والبسائط البعيدة عن المدينة نسبيا؛ فأشهرها سهل الحنايا الواقع في شمالها، وسهل زناتة الواقع في شمالها الغربي، وكلاهما يمتاز بخصوبة الأرض ووفرة الإنتاج، ويُضافُ إلى ما ذُكِرَ بسائط بني وعزان شرقا وبني مستار غربا².

سهول وهران:

لم تكن لتستغل قبل فتح وهران بسبب الاحتلال الإسباني، ولذلك ظلت أراضيها بورًا غير مستغل إلا قليلا حتى سنة 1792م، حيث تولت قبائل الدواير والزمالة وغيرهما استغلال هذه الأراضي، خاصة سهل الوفرة الواقع قرب وهران بعد أن حصلت عليه كامتياز منحها إياه الداوي حسن، كما وجدت في البايك سهول كثيرة أخرى منها سهول مستغانم، مليانة، تنس، سيق، والسرسو.

¹ - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 169-170.

² - الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 31.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

ت-أساليب الاستغلال الزراعي:

شركة المزارعة أو ما اصطلح عليها بالخماسة:

هي أن يتولى المزارعون تعمير الأرض بخدماتها مقابل الحصول على خمس غلتها بينما تعود الأخماس الأربعة الباقية إلى المالك، ومكونات هذه الشركة خمسة: أرض وآلة وزريعة (بذور) وماشية وعمال، ومن هنا كان الخماس شخصا قادرا على ممارسة الفعل الزراعي، لكنه لا يملك من الإمكانيات شيئا والتسمية مشتقة من القدر المخصص له بعد جمع الغلة وهو الخمس، ولذلك عمل البايك والملاك العقاريون الكبار والعائلات المرابطية القوية على تشغيل مجموعات من الفلاحين بنظام الخماسة، حيث يأتي الخماس بعمله وصناعته، ويأتي صاحب الأرض¹ بالبذور، والأدوات كالمحاريث والفؤوس، ومدواب العمل من خيل وبغال وحمير، بينما يقوم الخماس بكل أعمال الحرث والحصاد وما يرتبط بها من أعمال أخرى كالدرس ونقل القش وتنقية الأرض من الحشائش الضارة، أي لرعاية المحصول حتى يحين وقت حصاده.

ولمساعدة الخماس على تسيير شؤون عائلته تعطى له سلفة تسمى الصارمية، على أن يسدها من نصيبه مباشرة بعد جمع الغلة، حيث يتفق الفلاح الثري مع من هو أبسط منه حول العمل عنده؛ فيدفع عنه ديونه أو يُقَدِّم له مسبقات تسد حاجته، ويُسَكِّنه عنده صحبة عائلته، ثم يعطيه بقرة أو اثنتين على أن يسلم له كميات من الزبدة في نهاية كل فصل؛ فإن عجز عن ذلك زادت ديونه.

ث- أسباب انكماش النشاط الزراعي في بايلك الغرب:

النظام الضريبي:

لقد شكَّلت مداخل الضرائب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلاديين، المورد الرئيسي لبايك الغرب، خاصة بعد تراجع مداخل البحر؛ وتختلف في نوعيتها وقيمتها لذلك عالجتها بعض المصادر باعتبارها رسوما أو ضرائب مباشرة وغير مباشرة، أو ما عالجها البعض الآخر بوصفها ضرائب شرعية وغير شرعية، أو ما حصرها البعض الآخر في

¹ - يتكفل شاوش البايك بهذا حين يكون المالك هو البايك.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

ضرائب قارة ثابتة وضرائب غير ثابتة¹، ولكن مادام الهدف هو إعطاء فكرة عن مصادر دخل البايك وتأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكانه الذين انقسموا في دفعها الى صنفين :

أولاً: ضرائب تدفعها القبائل الخاضعة للأسبان :

لقد قسم سكان بايلك الغرب قبل إلى قسمين: القسم الصغير تابع للأسبان والقسم الأكبر تابع للعثمانيين، وقد أُجبرَ القسم التابع للأسبان على دفع الضرائب طيلة وجود الأسبان بالمنطقة، وكان لليهود دور كبير في هذه العملية؛ فقد كانت لهم صولة عظيمة على بني عامر لكونهم المكلفون بالجباية من قبل الاسبان دون غيرهم، وهذا ما يؤكد المشرقي قائلاً: "... فكان اليهودي يخرج بمحلته لقبض الضريبة فيضرب خبائه بوسط دواوير بني عامر من أولاد عبد الله وغيرهم ثم يتصرف فيهم تصرف الملك في رعيته بما شاء أمراً وناهياً، فيصفد هذا في الأغلال ويضع على رجلي هذا الأكبال، ويجلد هذا ويخلي سبيل هذا، إلى غير ذلك دون متعرض له..."².

وبمرور الزمن تطورت الأوضاع؛ فأصبح الاسبان وحدهم يتولون جباية الضرائب وذلك بسبب منافسة اليهود لهم، ومن أهم ما كان يجتبيه الاسبان من ضرائب من الرعية الخاضعين لهم مايلي :

الرومية: كان السكان يدفعون كل سنة ضريبة إلزامية للإسبان تسمى الرومية، وهي عبارة عن كميات من القمح قدرت باثنين من الدوبلات عن كل خيمة، ولم تكن محددة وإنما تخضع لكمية المحاصيل وعدد الخيام أو القبيلة وبالمقابل تنال هذه الأخيرة الأمان لمدة سنة، وعادة ماكان يتفق في طريقة دفعها بين الاسبان وشيوخ القبائل بواسطة اتفاقيات³.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص85.

² - Marcel Bodin, «notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader el mecherfi», in R. A, n°LXV, 1924, pp216-217.

³ - Cazenave(j), «les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville 1509-1792», in R.A , n°71, 1930, p 271.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

لقد كان شيوخ القبائل يحرصون على جمع الضرائب من سكان الدواوير، ويتقاضون مقابل ذلك مبالغ مالية تتراوح ما بين 60 الى 100 بياستر من طرف الاسبان نظير خدماتهم، ضِفَ إلى ذلك كان بإمكان شيخ القبيلة أن يقدم أبنائه وذويه كرهائن للإسبان في حالة عدم تمكنه من جمع الضريبة من دواويره، على أن يعيش هؤلاء الأبناء في مدينة وهران على حساب الخزينة الاسبانية، وعندما يتم تخليص الضريبة يعود الأبناء إلى دوارهم الأصلي ويتسلم شيخ القبيلة وصل الدفع¹.

الغرامة: إنَّ القبائل الموالية للإسبان وهم بنو عامر، أولاد عبد الله، أولاد موسى، وقد أطلق عليهم تسمية "المغاطيس"، كان شأنهم مع الأسبان جلب الأخبار لهم وذكر في شأنهم المشرفي قائلا: "قاصدا منهم بالذات أهل كريشتل أنَّهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم وباعوه للأسبان غفلة منه وانتفعوا بثمنه... وكانوا يبيعون القمح والشعير في وهران بالثمن الجاري لتزويد السكان والجيش، وفرض الاسبان عليهم رسما يدعى "الثن" ويُسميه الرعية "الغرامة" كما كانوا يبيعون المواشي ويطلب منهم دفع البعض منها كضريبة.

المغانم: إنَّ المناطق غير الخاضعة للسلطة الاسبانية في بايلك الغرب الجزائري، كانت تُشَنَّ عليها حملات عسكرية إسبانية، تعود منها بغنائم تتمثل في قطعان الماشية، والأسرى الذين كانوا يُباعون جهارا في مدينة وهران "التجارة الأدمية" المعروفة بـ "تجارة الرقيق"، على أن يستفيد من مداخلهم الموظفون والجنود الاسبان، وكذلك الخزينة الاسبانية، غير أنَّ هذه الحملات الاسبانية غالبا ماكانت تُصطدم بالمحلات العثمانية في فترة جباية الضرائب².

ثانيا: الضرائب العثمانية:

لقد كانت موارد الجباية في بايلك الغرب، كغيرها في بقية البايلاكات تتكون من ضرائب ورسوم؛ فالبعض منها شرعية ثابتة، والأخرى مُستَحْدَثة، وهناك الظرفية، لكن مهما اختلف النوع؛ فالتأثير واحد على مختلف مجالات الحياة في بايلك الغرب الجزائري، غير أنَّ

¹ - الآغا بن عودة المزارعي، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الاسلامي، دن، دت، ص ص 218-219.

² - André Nouschi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 essai d'histoire économique et sociale, P.U.F, paris, 1961, p 18.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

الشيء الثابت هو أنَّ هذه الضرائب لم يكن يخضع لها كل السكان في مكان واحد؛ وكانت متفاوتة بين سكان المدن والأرياف وحتى بين القبائل، ما يؤكد الباحث المختص في التاريخ الحديث ناصر الدين سعيدوني، بأنَّ ثقل الضرائب كان يتوقف على مساهمة سكان الأرياف، أمَّا سكان المدن لا يدفعون إلاَّ مبالغ زهيدة مقارنة مع المساهمات المفروضة على شيوخ القبائل والقياد من طرف رجال المخزن وجنود المحلة عند مرورهم أو اتصالهم بسكان الأرياف¹.

الضرائب على أراضي الملك أو الأراضي الملكية:

انتشرت بكثرة في بايلك الغرب حيث كان يستغلها سكان المدن وموظفي البايك، خاصة في أحواز تلمسان، معسكر، مستغانم، مازونة، ووهران وسميت عادة بأراضي الخواص، التي تنتقل إلى الأشخاص عن طريق البيع أو الإرث، كما كان للمرابطين مساحات شاسعة من هذا النوع من الأراضي؛ وهذا مانجده مثلا في جنوب سهل غليزان، حيث كان ثلاثة مرابطين يستغلون لوحدهم 63 ألف هكتار على الضفة اليسرى لوادي مينة موزعة على النحو الآتي: 50 ألف هكتار لأحفاد سيدي بوعمران مرابط قبيلة هواره التي أنشأت قلعة بني راشد والمدفون بجال بني شقران، و08 آلاف هكتار لأحفاد سيدي محمد بن قدار، و05 آلاف هكتار إلى ورثة سيدي أحمد بن يوسف، وقد كانت هذه الملكية مسجلة سنة 1713م، وسمِّح كذلك للحساسنة باستغلال جزء من هذه الأراضي المحبسة².

الضرائب على أراضي البايك:

إن أغلب أراضي البايك تعود أصولها إلى عمليات المصادرة من القبائل العاصية، لأنَّ شراء الأراضي من طرف العثمانيين أو حيازتها بسبب غياب الورثة الشرعيين أمر نادر الحدوث؛ فأراضي بايلك الغرب كانت عبارة عن قطع متناثرة في وسط أراضي العروش والمساحات الخاصة وتقدر مساحاتها بمئات الهكتارات³.

¹ - Nacereddine Saidouni, la vie rurale dans l'algérois de 1791 a 1830, thèse pour le doctorat d'état –lettres et Sciences humaines, université d'Aix Marseille, 1988, p 254.

² - Robert Tinthoin, «la plaine de relizane avant l'irrigation», in B.S.G.A.O, n°73, 1950, p 100.

³ - Claude Bontems, op.cit., p 37.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

جدول مُقارن لمردود الضرائب الزراعية لكل من بايلك السلطان والتيبيري مقارنة بالمردود الضريبي لبايلك الشرق والغرب¹:

نوع العملة	المردود الضريبي لبايلك الغرب وهران	المردود الضريبي لبايلك الشرق قسنطينة	المردود الضريبي لبايلك التيطري	المردود الضريبي لدار السلطان	المصدر المعتمد في تقدير الضرائب الزراعية للجزائر العثمانية
ريال بوجو	إلى 08888 18888	الدكتور شاو	02888	02888	إلى 08888 088888
18888	20888	220888	202888	قمرش قوي	فانتور دوبارادي
شالر	02888	0888	2888	01888	دولار إسباني
28888	08888	008888	008888	ريال بوجو	الشریف الزهار
02008	20028	221088	221088	فرنك	مذكرة عن الجزائر 0028
كلوزال	088888	018888	082122	188888	فرنك
028200	00922	00011	011022	ريال بوجو	جانتني دوبرسي
ليكان	200188	200888	101888	298888	فرنك
90888	20888	228888	020888	فرنك	البارون جوشرو
روزي	00820.2	000000	222082.1	فرنك	فرنك
فال باريزو	221888	221888	118888	218888	فرنك
أستري	021888	021888	28888	218888	فرنك

¹ - سعيدوني ناصر الدين، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص ص 183-184.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

دنوش الخلفاء والهدايا¹:

يدفع في شهر ماي: 14 ألف بياستر، ومثلها في سبتمبر.	<i>Venture de</i> (فونتير دو باردي <i>Paradis</i>): 1203هـ / 1788م.
كانت هدايا خليفة باي وهران في 18 شوال 1226هـ / 1811م، هي 36 : بوجو (64.80 فرنكا) و15 خروفاً، وإبريق من العسل، وزوج من الجوارب الحريرية، وزوج من الأحذية، وجرتان من الزبدة، ثم بعد ثلاث أيام يدفع 125 ريالاً (115 فرنك) وغيرها.	(<i>Tacherifat</i>) دفتر التشريفات : العهد العثماني
دنوش سداسية تتألف من الأموال، والخيول، والمنسوجات الصوفية، والبرانس، والزبدة، والعسل، والشمع، والجمال، والبغال، وهو ما يقدر بـ70 ألف بوجو. إضافة إلى المبالغ الناتجة عن جمارك وهران وأرزيو.	(<i>G. Boyer</i>) الجنرال بواييه: 19 13هـ / م
دنوش صغرى تقدر بـ100 ألف ريال بوجو، وعدد من العبيد والإماء، والحياك، والبرانس البيضاء والسوداء، والجلود الحمراء لصنع الطماق وهي الجزمات التي كان يستعملها الصبايحية الأتراك، والعرب في رسوم على الخيل، ويدعى هذا بالجلد الفيلاي، والكساء، حياك رفيعة، وخيول قادة والأحصنة والبغال.	(<i>Esterhazy</i>) إسترهazy 19 م / 13هـ

نظام الخماسة:

لقد كانت أراضي البايك تُقْتَطَعُ للفلاحين والقبائل وبصفة خاصة قبائل المخزن، وضباط الجيش وكبار الموظفين، لمدة غير محددة مقابل مبلغ نقدي يضاف إلى الضرائب الشرعية، وكان هؤلاء الذين تفتتق لهم الأراضي يعتمدون في زراعتها على الخماسين مقابل 12 صاعاً من القمح، و12 صاعاً من الشعير²، وقد دعم العرف السائد في الريف آنذاك هذا التعامل.

إنَّ أكثر أملاك البايك استغلالات كانت من طرف قبائل المخزن من دواير وزمالة حيث استحوذوا على 78% من مجموع الأراضي الزراعية، ضِفَ إلى ذلك أنَّها كانت تدفع

¹ - توفيق رحمانى، الضرائب في الجزائر 1206-1282هـ/1792-1865م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2008، ص 247.

² - Ernest Mercier, op.cit, p 450.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

ضرائب عينية مثل الزبدة والتبن، ودفع ضريبة نقدية تُسمّى "حق الشبير" حيث قدرت بـ 0.50 فرنكا عن كل هكتار من الأراضي المحروثة، و0.25 فرنكا عن غير المحروثة¹.

كراء الأراضي الزراعية: لم يكن هذا النمط شائعاً في بايلك الغرب مقارنة مع بايلك الشرق، إلا لدى قبيلة أولاد قصير التي صودرت أراضيها كعقاب ضدها بسبب مهاجمتها خليفة باي الغرب إبراهيم الملياني، لما كان متجهاً إلى الجزائر حاملاً ضرائب البايك؛ فأمر الداوي كلا من باي التيطري وباي الغرب بالهجوم على تلك القبيلة من الشرق والغرب ومحاصرتها وطردها من أراضيها التي أصبحت تابعة للبايلك سنة 1774م، وفي سنة 1776م، قام الباي بتعيين بني زوج، والفرايلة، وأولاد فارس قبائل زمول، على إقليم أولاد قصير، لكن هذه الأخيرة تآقت إلى أراضيها فاضطر باي الغرب إلى إعادتها لهم مقابل دفع ضريبة الكراء².

ومما يلاحظ أنّ هذا الشكل من الاستغلال غير المباشر لأراضي الدولة قد خلق روابط ومصالح متبادلة بين المدينة والريف، ذلك أنّ طبقة الحضر بالمدينة هي التي كانت تقوم بدور الوساطة بين العاملين والدولة لأنّ كراء الأراضي عادة ماتحظى به هذه الطبقة الغنية.

الضرائب الإضافية: فرضت على الأراضي المستغلة من قبل القبائل المستقلة والرافضة للخدمة في محيط سلطة البايك.

مصادرة الأراضي الفلاحية : اتبعت السلطة الجزائرية في العهد العثماني الأخير، على عملية الحجز المستمر للأراضي الفلاحية مما زاد في رقعة أملاكها، بمواطن العشائر التي تم إخضاعها في الوقت الذي استقرت فيه الملكيات المشاعة، وبدأ قسم من الملكيات الخاصة بالفحوص يتحول إلى أوقاف أهلية³، وذلك بمتابعة القبائل التي ترفض دفع الضرائب أو ما عليها من مستحقات، وهو ما دفع السكان المتأخمين للحواضر بإتباع أسلوب تحبيس أراضيهم على المذهب الحنفي⁴، حتى أصبحت أراضي السلطة ببايك الغرب الجزائري

¹ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 95.

² - Xavier Yacono, les bureaux arabes..., op.cit, p 176.

³ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات...، المرجع السابق، ص 33.

⁴ - Raymond André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, SindBad, Paris, 1985, P36.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

تغطي نسبة 84 بالمئة من الأراضي عشية الاحتلال¹، وهذه العملية حافظت على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر على حاله دون أن يشهد أي تغيير، فتجنب بذلك نهضة أو تنمية داخلية.

الاحتكارات الفلاحية: لضمان مداخل قارة لخزينة الدولة، قامت باحتكار بعض السلع والمواد في عملية تصديرها وربطتها مباشرة بها، من خلال بيع تلك الاحتكارات أحيانا وإشرافها عليها في مرات أخرى، لذا كانت تلك السلع المحتكرة تحتاج إلى ترخيص من طرف الدولة، وظهر ذلك في تنازلها إلى أحد موظفيها مقابل دفع مبلغ مالي سنوي كضريبة²، وإتباع سياسة تصدير المنتجات الفلاحية نحو الخارج عن طريق الشركات الأوروبية واليهودية، حتى في الوقت الذي كانت فيه البلاد تمر بالمجاعات بسبب القحط الذي اضر بالعباد و الفلاحة مثل سنوات: 1800م، 1807م، 1816م، و1819م.

في عهد الداوي حسن الذي صَدَّر كميات كبيرة من القمح (1798-1791م)، والداوي مصطفى باشا (1789م)، عن طريق السماسرة اليهود (بكري وبوشناق)؛ ففي عام 1793م، تم شحن 100 سفينة من ميناء وهران بحمولة مقدرة ب 75000 قنطار قمح و600 قنطار شعير، وهو ما أدى إلى ظهور الثورات والحركات المناوئة التي تسببت في تدهور الوضع الأمني³.

ضعف الإمكانيات: خلال الفترة العثمانية في الجزائر كان النشاط الفلاحي ضعيفا جدا في جميع المستويات؛ فالفلاحون كانوا يستعملون أدوات بسيطة كمحراث إفريقيا الرومانية، الذي لم يخضع لأي تعديل، والمنجل الذي كان يعود إلى القرن الحادي عشر ميلادي، إضافة الى ذلك كانت طبيعة تربية المواشي تتم بطريقة بدائية⁴.

¹ - سعيدوني، دراسات ...، المرجع السابق، ص 33.

² - Emerit, "Les quartiers...", op.cit, p06.

³ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 34.

⁴ - فارس العيد، الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مجلة الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع5، جوان 2017، ص 147.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

جـ الوسائل التي كان يعتمد عليها الفلاح:

فيما يخص النشاط الزراعي السائد في المدن فإن العائلة هي التي تشكل الوحدة الإنتاجية والاستهلاكية في الوقت نفسه، حيث نجد بعض الأراضي المحيطة بالمدن التي تنتج الخضر والفواكه كما هو الحال في فحص مدينة وهران والأراضي المحيطة بها، التي تنتج الخضر والفواكه، لكن القاعدة العامة هي الإنتاج لإشباع حاجات أفراد العائلة، أمّا السوق فيأتي في المرتبة الثانية مرتبطة بتحقيق الفائض، والحصول على منتجات صناعية أو زراعية، ليست من اختصاص الفلاحين كنتيجة اختلال الظروف الطبيعية¹. ولقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة التربة على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية؛ فكانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية، حيث كانت الأراضي الفلاحية المحيطة بمعسكر، تنتج مختلف أنواع الخضر كالبصل والطماطم والفلفل والفواكه كالعنب، التين، والرمان... إلخ²، ورغم تنوع هذه المحاصيل إلا أنّ الفلاحة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلاديين، عانت من عدّة مشاكل وصعوبات أعاقَت تطورها وازدهارها، وتعود الصعوبات إلى الأساليب القديمة المتبعة، والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض مثل: المحراث الخشبي والمنجل البدائي³.

لم يكن الفلاح في بايلك الغرب يملك الكثير من الوسائل التي تساعد على أداء عمله؛ فالزراعة كانت في مرحلة الطفولة، والطبيعة هي التي تتكفل وحدها بالإنتاج⁴، وهو ما يعكس إلى حد بعيد حقيقة الظروف التي كان يعيشها الفلاح، والتي تتضح من خلال معرفة ما كان يملك من وسائل.

المحراث: كان يشكل العنصر الأساسي للعمل الزراعي، ويعطي مثالا عن القاعدة المادية الضعيفة التي يقوم عليها هذا النشاط، وهو محراث خشبي بسيط مكون من قطعتين قصيرتين مجتمعتين تكونان عادة من شجر البلوط أو الزيتون، ومزود في أسفله بسكة من

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 335.

² - أرزقي شويّتام، المجتمع الجزائري وفعالياته 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 217.

³ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص 337.

⁴ - Xavier Yacono, La Régence d'Alger en 1830 d'après des commissions de 1833-1834, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée. Ne 2, 1966, p 233.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

حديد أو من خشب الزان، فيها أوتاد صغيرة تساعد على قلب التربة¹، ويكفي لجوؤه إلى ثور أو بغل، وحين تكون الأرض صلبة يستعان بزويجة أي بثورين أو بغلين أو فرسين لجره؛ فيخدش الأرض خدشا غير عميق داخل التربة، غير أن هذا المحراث على ما فيه من النقائص له بعض الميزات الهامة؛ فقد كان سهل الإصلاح عند إصابته بعطب، وصار بفضل سكتة الطويلة قادرا على التوغل في الأماكن الضيقة، كافيا لحرث الأرض التي لا تقبل التوغل فيها لقلة عمق تربتها، وهو ما يساعد على نمو بعض الحشائش في التلال تسمح بثبوت التربة في المنحدرات، كما أن هذا الحرث السطحي لا يؤدي إلى إجهاد التربة مثلما صار يفعل المحراث الأوربي فيما بعد، وهو ما حتم الاعتماد على السماد وجعل استخدامه أمرا ضروريا للغاية.

المنجل: بسيط جدا، وكان يتلف السنابل أثناء عملية الحصاد، وفي 1893م، قارن لومباي، بين المنجل الذي استخدمه الفلاحون La Faucille وبين المنجل الكبير أو الحاصدة La Faux المستخدمة آنذاك في شمال فرنسا، واعتبر طريقة الفلاح الجزائري المعتمدة على الانحناء والاستقامة ثم الانحناء والاستقامة بلا توقف متعبة للغاية، وهي طريقة يفرضها استخدام المنجل، بينما يغنيه استخدام الحاصدة عن كل هذا العناء، فهي عبارة عن قضيب يوضع المنجل في طرفه المعقوف، ويكفي أن يضرب الفلاح السنابل -وهو قائم - لتحصد بشكل أحسن.

السماد: كان الفلاح يستخدم رماد الأعشاب المحروقة وفضالات الحيوانات كمواد لإثراء التربة، وحتى هذه الفضلات كانت مهمة غير مستعلة رغم أنها كانت تغطي الأرض بسبب كثرة أعداد الحيوانات².

السدود: عبارة عن حواجز بسيطة من الطين والأخشاب، لا تقوى على الحد من الفيضانات، ولا تساعد على تخزين المياه، ومنها السدود التي أقامتها القبائل، أو العبيد لصالح الباي على الأودية التالية:

¹ كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص 190.

² - نفسه، ص 191.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

➤ وادي مينا الذي تتجمع بعض مياهه في سد قرب غليزان، والذي صار فيما بعد قادرا على زرع 8000 هكتار.

➤ سد الشرفة الذي تتجمع فيه مياه وادي سيق.

➤ وادي الحمام الذي تصل مياهه إلى سد فرقوق.

➤ وادي الشلف الذي هو المجرى المائي الأكثر أهمية في تاريخ الإيالة الجزائرية، ولذلك يسميه السكان "سلطان الويدان" أي سلطان الأودية.

➤ وادي واصل الذي صارت عليه 06 سدود في 1852م، عند بني لنت، بني مايدة، ودوي حسن¹.

إنّ ضعف المستوى التقني في ريف بايلك الغرب، جعل تحقيق الثروة لا تنتج إلا عبر العمل البشري، فترويض الأرض واستعمال أساليب السقي وجمع المحاصيل وحراسة القطعان، كل ذلك كان يستلزم وجود عدد كبير من الفلاحين، وهو ما يُبرّر ارتفاع نسبة الولادات، حتى صارت الأسرة الكبيرة مثالا يحتذى به، وفي ذات الإطار يندرج تفضيل إنجاب الذكور الذين يفترض أنهم يساعدون على تنشيط العمل الزراعي لتوفير القوت وطرد شبح الجوع²، غير أنّ الفلاح في العهد العثماني استطاع -رغم هذه الأساليب البسيطة والوسائل البدائية- أن يتماشى مع ظروف الفلاحة وطبيعة البيئة؛ فخص الأراضي الفقيرة بزراعة الشعير واستعمل الأراضي الرطبة في زراعة البقول والذرة، وغرس الأشجار المثمرة³.

ح سياسة السلطة العثمانية الهادفة إلى التحكم في زراعة الحبوب وتوجيهها إلى التصدير:

حاول الحكام الاستيلاء على الأراضي المنتجة للحبوب، وتسخير الفلاحين لإنتاج كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية قصد تصديرها إلى الخارج، عن طريق وكلاء البايك

¹ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 193.

² - محمد الأمين بزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرن التاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1992، ص 23.

³ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 192.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

والمعاملين معهم من كبار التجار اليهود وبعض الشركات الأجنبية الاحتكارية مثل الشركة الفرنسية المعروفة بالشركة الافريقية ويست باري، والجدول الموالي يوضح ذلك¹:

تاريخ الوثيقة	تاريخ الشحن	من-إلى	لصالح	الشحنة	الكمية بالميزورة
1795/2/28	/	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح	7956
1795/3/23	/	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح	10740
1795/8/26	أفريل 1795	وهران- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح	3760
1795/8/26	ماي 1795	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	شعير	870
1795/8/26	جوان 1795	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح	8700
1795/8/26	جوان 1795	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح وشعير	6305
1795/8/26	جوان 1795	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح وشعير	5986 2634
1795/8/26	جويلية 1795	أرزيو- مرسيليا	الوكالة الافريقية	قمح وشعير	3545 4025

¹ - كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص 203.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

961	قمح	الوكالة	أرزيو-	جويلية 1795	1795/8/26
6611	وشعير	الافريقية	مرسيليا		
11141	قمح	الوكالة	ارزيو-	أفريل 1795	1795/8/26
	وشعير	الافريقية	مرسيليا		
4850	قمح	الوكالة	أرزيو-	أفريل 1795	1795/8/26
6228		الافريقية	مرسيليا		
	قمح	الوكالة	أرزيو-	/	1796/5/19
	وشعير	الافريقية	مرسيليا		

وقد دعت الحاجة الاقتصادية إلى انتهاج أسلوب الاحتكار ومحاولة خلق زراعة موجهة من طرف البايك، بعد أن تضاءلت مداخيل الجهاد البحري، وإقبال موظفي الدولة على استهلاك البضائع الأوروبية، ولهذا الغرض أنشئت مطامير البايك في مراكز الحاميات وأقيمت المطاحن الهوائية والمائية بالقرب من المدن، وخصص جزء من تحصينات مرسى الكبير بوهران لحفظ المواد الأولية كالزيت والزبدة والحبوب¹.

أدت هذه السياسة الرامية إلى احتكار الانتاج الفلاحي، إلى اضطراب الانتاج وانخفاض في أسعار المحاصيل الزراعية الأساسية كالحبوب التي كان يشتريها البايك من الفلاحين بسعر 8.80 قروش للصاع الواحد، ويعيد بيعها للمحتكرين ب 36.30 قرشا عام 1808م، ونتج عنها في فترات الجفاف حدوث مجاعات زادت من شقاء الفلاحين وبؤسهم، ودفعت الحكام في بعض الأحيان إلى استيراد كميات كبيرة من الحبوب بأسعار مرتفعة من الخارج لتغطية الاستهلاك الداخلي².

¹ - ناصر الدين سعيدي والمهدي البوعبدلي، الجزائر خلال العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 56.

² - نفسه، ص 56.

المبحث الثالث: الثروة الحيوانية

إنَّ وضعية الأراضي الزراعية في الجزائر خلال العهد العثماني، أصبحت تتَّصف بمظاهر الصراع الخفي، والاحتكاك المستمر بين أسلوبين من الإنتاج، ونمطين من المعيشة مختلفين أحدهما يرتكز على الارتباط بالأرض وحيازتها، والآخر يعزف عن خدمتها ويمتنع الرعي¹.

وكانت الأقاليم المحفوظة بطابعها الزراعي، المتمسكة بتقاليدها الفلاحية، تتمثل في فحوص المدن الكبرى، وسهل غريس، ومنطقة مينا²، والجدير بالملاحظة، أن العثمانيين قد عملوا جاهدين على الاحتفاظ بالأوضاع السائدة؛ فأبقوا في غالب الأحيان على ملاك الأراضي، وأقروا العشائر المتعاملة معهم على الأراضي التي استحوذوا عليها، بغية الحصول على تأييد شيوخ القبائل ومساندة رؤساء الزوايا لهم، ولم يهتموا بصفة خاصة، إلا بما تقدمه الأرض من إنتاج وما توفره من جبايات³.

إنَّ التطور الذي انتهت إليه وضعية الأرض من ناحية الإنتاج، لم يكن نتيجة لسياسة معينة من قبل الحكام العثمانيين، وإنما كان نتيجة تحول بطيء فرضته الأحوال الاقتصادية، وساهمت فيه الأوضاع الاجتماعية، وتسببت فيه حاجة الحكام إلى موارد البلاد، إثر تزايد الضغط الأوربي على السواحل، وانفتاح البلاد على التجارة الأوربية.

وقد نتج عن كثرة المطالب المالية، والجبايات على الأراضي الزراعية، وتعدد المغارم؛ إهمال الزراعة، وتحول قسم من السكان من الاشتغال بالفلاحة إلى مزاوله حرفة الرعي، وفي بعض الأحيان اضطر المزارعون إلى الثورة على الحكام، وقد انعكس هذا الوضع على الحياة السياسية، إذ أنَّ تحول السلطة إلى الدايات، أدى إلى تضرر الزراعة، وتحول كثير من الأراضي المنتجة للحبوب إلى ملكيات للبايلك، أو مزارع مشاعة بين أفراد القبائل الحليفة "قبائل المخزن"، أو العشائر الخاضعة "قبائل الرعية"، بعد أن انقطع سيل الهجرة الأندلسية.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية.....، المرجع السابق، ص 27.

² - نفسه، ص 27.

³ - نفسه، ص 28.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

وبظهور دايات أقوىاء أكفاء، استقر نظام الحكم، على توسع أراضي الدولة بمواطن العشائر التي تم إخضاعها، كما استقرت أوضاع الملكيات المشاعة، وبدأ قسم من الملكيات الخاصة يتحول، بفحوص المدن إلى أوقاف أهلية، يعود ربحها، بعد انقراض عقب محبسيها، على المؤسسات الدينية والمشاريع الخيرية، كما هو الحال بالقلعة¹.

أمّا عن الثروة الحيوانية ببایلک الغرب –الجانب الآخر من الميدان الزراعي- فكانت متوفرة ومنتشرة في كل نواحي البایلک خاصة في الهضاب العليا، وكانت تربية الماشية عموما في السهول الكبرى مثل أحواز وهران لدى قبائل المخزن، وفي سهول معسكر، ومكرة حيث توجد قبائل الرعية، وقد كانت تربية البقر تشكل المصدر الرئيسي لرأس مال السكان لأنهم في الغالب لا يستهلكون إلّا لحوم الأغنام، أمّا الأبقار فتباع في الأسواق إضافة إلى الماعز والنعام وغيرها، ومن جهة أخرى كان سكان بايلك الغرب يصطادون السمك بالقرب من سواحلهم لأنّ الاسماك بها كثيرة².

كما امتاز بايلك الغرب الجزائري بتربية الخيول والاعتناء بها وعرف بسلالة خيوله الجيدة، حيث نجد أنّ قبائل معسكر كانت تستكثر منها، وكذلك قبائل الشراقة والأنجاد واليعقوبية وغيرها، وكانت الإبل متوفرة في جنوب البایلک وتُسْتَعْمَل أوبارها لصناعة الملابس كالبرانس وصناعة الخيام، كما كان يوجد بالمنطقة الكثير من البغال والحمير والكثير من الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور³.

وبما أنّ الوضعية المعيشية لم تكن تعرف استقرارا بسبب الظروف الصحية والعوامل الطبيعية؛ فإنّ حرفة الرعي عرفت انتشارا كبيرا في أواخر القرن الثامن عشر، على حساب الزراعة؛ فعندما تضرب الأوبئة بقوة يتناقص عدد السكان وتقل قدرة الأحياء منهم على العمل، حتى إذا توفرت كميات من الإنتاج الزراعي بقسميه الفلاحي والحيواني، استحوذ عليها المحتكرون الأجانب وبأسعار زهيدة جدا، ليبيعوها لاحقا بأسعار خيالية يعجز البسطاء عن توفيرها، وقد اختفت من الأسواق، ونظرا لهذه الضغوط المتراكمة على الفلاح من وباء

¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية.....، المرجع السابق، ص36.

² - عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 144.

³ - عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص144.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

ومجاعة وديون، وانخفاض القدرة الشرائية ...، عزف عن ممارسة مهامه وتحول في بعض المناطق إلى حرفة الرعي، فصار يتنقل وراء قطعان المواشي من جهة إلى أخرى، وبذلك فقد خاصية الارتباط بالأرض، وهو أساس الفعل الزراعي، حتى إذا اضطر إليه لجأ إلى مناطق وعرة بعيدة عن يد البايك ليمارس زراعات بسيطة بهدف الحصول على القوت لسد الرمق ومغالبة المجاعة¹.

يُضاف إلى الثروة الحيوانية ما كانت تتوفر عليه السواحل الجزائرية من الأسماك والوهرانية على وجه الخصوص، التي لم يقبل على استهلاكها سكان المدن والجهات الساحلية، وبالتالي لم يتشجع الصيادون على توسيع نشاطهم الذي ظل مقتصرًا على صيد كميات صغيرة من السمك ومقادير متواضعة من المرجان، وقد أشارت المصادر أنَّ صيادي دلس كانوا يضطرون إلى كثير من الأحيان إلى رمي ما يصطادونه من السمك في البحر².

جدول يوضح مساهمة الأحرار وأولاد خليف في الانتاج الحيواني عام 1801³:

	القبيلة	الإبل	البقر	الغنم	الماعز	البغال	الخيول	الحمير	المجموع
الأحرار الشراقة	سيدي خالد الشراقة	2700	2030	87400	4500	7	448	811	97896
	أولاد الزواوي	1370	820	39400	4200	2	251	288	46295
	أولاد بوعفيف	380	120	9900	1050	/	77	80	11607
	الكعابرة	870	180	19300	1550	1	141	237	222282
	الشاوية	720	320	18900	1950	/	98	320	22308
	أولاد بلحصين	810	360	19200	1250	6	166	223	22015
	أولاد عزيز	1170	1170	24700	2900	6	211	274	30731
	أولاد زيان	950	300	17400	1450	/	241	100	20441

¹ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 215.

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعديلي، المرجع السابق، ص 61.

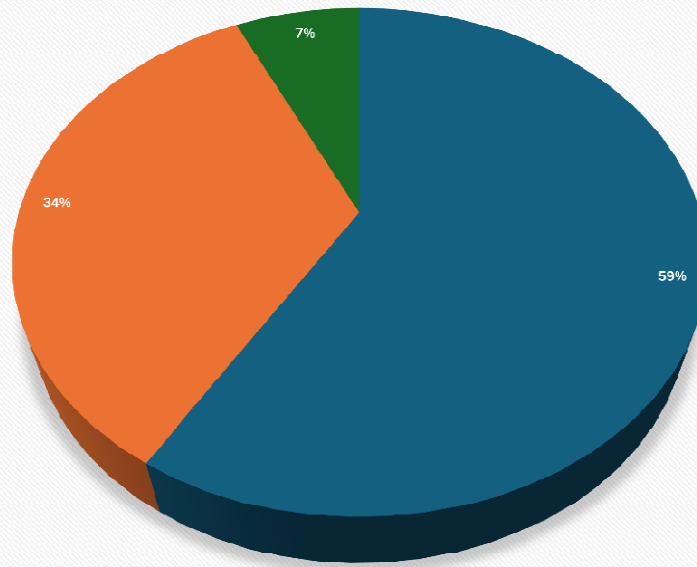
³ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 199.

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

								الشراقة	
24821	355	228	18	1350	21750	100	1020	أولاد بوزيان الغرابية	
22743	115	78	/	1000	20500	330	720	أولاد حدو	
22139	221	121	7	1390	19800	150	450	الدهالسة	الأحرار الغرابية
15903	186	77	10	960	14000	70	600	المرابطين الغرابية	
51793	753	270	/	6100	12700	1120	770	أولاد بورنان	
63973	330	288	15	7100	53100	1700	1440	أولاد الخروبي	أولاد خليف
37360	520	220	/	1050	35000	260	310	الصحاري الشراقة	
7603	92	59	2	1800	5400	170	80	القنادزة	

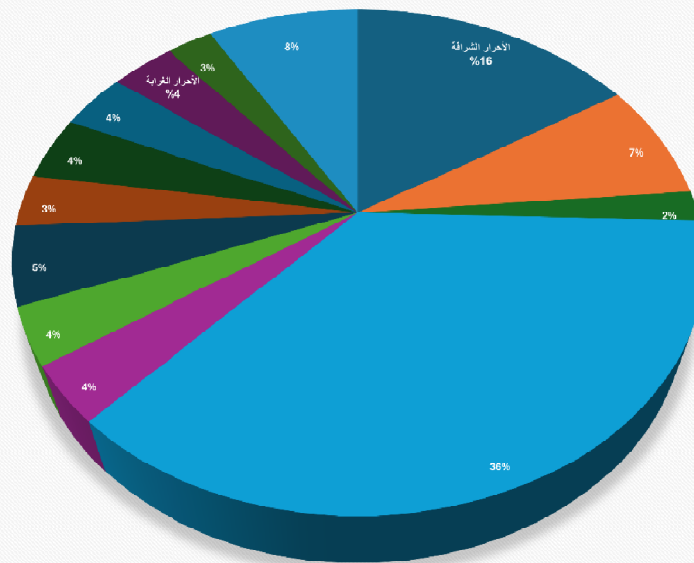
الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

دائرة نسبية توضح مساهمة قبيلة أولاد خليف في الإنتاج الحيواني لعام 1801م



■ أولاد الخروبي ■ لمسحاري الشرقية ■ الكادزة

دائرة نسبية توضح مساهمة قبيلة الأحرار في الإنتاج الحيواني لعام 1801م



■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشمالية ■ الأحرار الجنوبية ■ الأحرار الوسطى ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية ■ الأحرار الشرقية ■ الأحرار الغربية

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: تعريف الحرفة.

المبحث الثاني: ثنائية المدينة والريف: التعاون والتكامل.

المبحث الثالث: أهم الحرف في بايلك الغرب الجزائري:

- أ- صناعة النسيج.
- ب- صناعة الجلود.
- ت- صناعة الفخار.
- ث- صناعة الخشب.
- ج- صناعة الحلّي.
- ح- صناعة النحاس.

المبحث الرابع: نمط الإنتاج السائد في الجزائر.

المبحث الخامس: أسباب انكماش الصناعات الحرفية.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

عرف بايلك الغرب الجزائري نشاطا حرفيا مثل باقي مناطق الجزائر الأخرى في العهد العثماني، فقد كان التكامل الاقتصادي والتجاري لا بُدَّ منه بين البوادي والحوضر، فالبادية أو الريف يُقدِّم المادة الأولية لمختلف الحرف والصنائع؛ حيث سكان الريف يتعاونون مختلف المنتجات التي تصنعها الحواضر.

هذه الحلقة المتكاملة بين سكان الأرياف والحوضر لا غنى عنها، وهذا لا ينفي أن تكون الأرياف في الجزائر لا تمتلئ ببعض الحرف ولها منتوجات تُعرض في الأسواق الأسبوعية التي تُقام في الأرياف، أو داخل الحواضر.

المبحث الأول: تعريف الحرفة.

حدّد ابن خلدون المفهوم العام للصناعة على أنّها مَلَكَةٌ في أمر عملي فكري، ويكون عمليا جسماني محسوس، والأصول الجسمانية المحسوسة أو عَبُّ لها وأكْمَلُ¹.

إنّ تعريف ابن خلدون شامل في تحديد مصطلح الحرفة، واعتبر أنّ ما نسميه نحن حرفة هو صناعة، وقد شمل تعريفه أمهات الصنائع وهي: الفلاحة، البناء، الخياطة، النجارة، والحياكة، واعتبرها من الضروريات، أمّا الصنائع الشريفة حسب تعبيره: التوليد، الكتابة، الوراقة، الغناء، والطب².

عرّفها على بن محمد الخُزاعي التلمساني (789هـ-1378م)، أنّها مشتقة من حَرَفَ يَحْرَفُ أيّ كسب وطلب واحتال، ومنها جاءت كلمة المُحترف؛ أيّ الصانعُ وَجِرْفَتُهُ الصَّنَاعَةُ³.

جاء تعريف الحرفة نقلا عن عائشة غطاس، التي قامت ببحث مهم حول الحرف والحرفيين في مدينة الجزائر (1700-1830م)، إذ بينت أنّ الفرق واضح بين الصناعة والحرفة، حيث

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج1، دار الفكر، بيروت، 2010، ص501.

² - المصدر نفسه، ص508.

³ - الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد:4، جوان 2013، ص166.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

ذكرت: "لقد ميّز بعضهم تمييزاً واضحاً بين الصناعة والحرفة، حيث جُعِلَ مفهوم الصناعة أضيق، وحصره فيما هو مُكتسب بالممارسة والتّمرّن، ومن ثمّ فالحرفة أشمل، والصناعة هي كلّ عملٍ يقتضي استعماله الوسائل اليدوية"¹.

يقابل مصطلح الحرفة في اللغات الأجنبية، وعلى سبيل المثال، في اللغة الفرنسية (le métier)، وتطوّرت الكلمة عبر مراحل في القرن التاسع عشر (memestier)، وفي القرن العاشر (mistier)، وفي القرن الثاني عشر (mestier)²، واشتقّت الكلمة من اللغة اللاتينية (ministerium) وتعني وظيفة الخادم، والتي أرتبطت في الفكر الديني المسيحي بخادم الرّب بالفرنسية (service de Dieu)³، ابتداء من عهد النهضة الأوروبية، وقد أسّس الحرفيون الأوروبيون المتخصّصون في الآداب والفنون نقابة تدافع عن مصالحهم.

المبحث الثاني: ثنائية المدينة والريف: التعاون والتّكامل.

أشارت بعض الدراسات التاريخية أن غالبية سكان الجزائر تعيش في الأرياف، ونسبة قليلة منهم استقروا في الحواضر، وحسب دراسة رونييه غاليسو (R.Gallissot)، عن نمط الإنتاج في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي بالجزائر سنة 1830م، أنّ نسبة سكان الجزائر في الأرياف 95% من مجموع السكان الذي بلغ 3400000 نسمة⁴.

إنّ ثقل الكثافة السكانية بالأرياف كما ذكر غاليسو، تكون أكثر كثافة كلما اتّجهنا غرباً، وتتناقص كلما اتّجهنا شرقاً، عكس الحواضر فإنّ النسبة تكون مرتفعة، فمدينة الجزائر

¹ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، (2000-2001م)، ص146.

² - (C). Frétigne, le métier, analyse des transformation des modes du travail, Recherche et Fondation, n°57, Paris, 2008, p130.

³ - Ibid, p130.

⁴ - (R).Gallissot, Essai de définition du mode de production de l'Algérie précoloniale, C.E.R.M , 1967, p.386.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

ومجموع نسبة سكان الحواضر في الغرب حسب الدراسة الأخيرة وصلت من 7 إلى 8 % وفي مدن الشرق لم تتجاوز نسبة 3% من عدد السكان¹.

ارتبطت المدينة عبر التاريخ بالحضارة والعيش الكريم، فالمدينة في العهد العثماني تشبه مدن العالم الإسلامي وتختلف معها من حيث الكثافة السكانية، وتركيباتها العرقية والاثنية، ومن حيث القوة الاقتصادية والتبادل التجاري، والحرف المتوفرة، والقدرة على تجنيد الجنود للدفاع عن أسوارها من أي غزو خارجي.

بالرغم من وجود حامية الملك، وأسوارها المحيطة بها، إلا أنّ العرب قبل الإسلام وفي صدره كانوا ينفرون من الانحسار داخل المدن؛ لطبيعة عراقة البداوة فيهم، حيث ذكر جورج زيدان أنّ المسلمين في صدر الإسلام كانوا عرباً أهل خيام وماشية يكرهون الإقامة داخل الأسوار، وينفرون من الانحصار في المدن، وكانوا في بادئ الأمر إذا ساروا إلى غزوة أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم، فإذا فتحوا بلدا أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخبيبتهم².

وفي المغرب الإسلامي بعد فتح إفريقية عام 50هـ/670م، على يد عقبة بن نافع اختطّ مدينة القيروان تثبيتاً لفتوحهم في هذه الناحية، أو تحصيناً من الأعداء كما فعل المنصور باختطاطه مدينة بغداد فإنّه بناها تحصيناً له، وكذلك فعل الفاطميون بتأسيس مدينة القاهرة³.

تعتبر مدن بايلك الغرب عريقة في القدم، وبعض هذه المدن تأسست قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب، حين زار أبو عبيد الله البكري، ذكر أهم مدنه في كتابه المسالك والممالك: قسنطينة، بونة، ومدينة الجزائر في الشرق والوسط، ومدن تنس، الشلف، تيهرت، وهران، تلمسان، قلعة بني راشد، ومستغانم في الغرب، ولقد ذكر أنّ مدن الجزائر ذات أبواب وأسوار محيطة بها، قريبة من منابع المياه أو الأنهار، فحين ذكر مدينتي وهران وتيهرت على سبيل المثال قال: "مدينة وهران: حصينة ذات مياه سائحة، وأرحاء وماء وبساتين، ولها

¹ - (R).Gallissot, Op.Cit, p388.

² -جرجي زيدان، تاريخ التمدّن الإسلامي، ج2، مؤسسة هنداوي، مصر، دبت، ص183.

³ -نفسه، ص183.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران بإتفاق منهم مع نفزة وبني مُسَقن".

وعن تيهرت قال: "مدينة مُسَوّرة لها أربعة أبواب، باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن"¹.

كانت مدينة وهران مُحَصَّنَة طبيعياً من ناحية الغرب، فهي تقع أسفل سفح جبل سيدي هيدور (مرجاجو)، وكان الأسبان يُطلقون عليه اسم (la montana de meseta) جبل الهضبة²، ومن الجهات الأخرى يحيط بها سور المدينة وحسب روني ليسبيس (Lespès)، أنّ وهران من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وصلت أسوارها حتى سهل خنق النطاح³ (Karguenta). وزادت أهميتها بعد دخول الأندلسيين الفارين من بطش الأسبان بهم في الأندلس بعد سقوط غرناطة، حيث قال ليسبيس: "بعد هجرة الأندلسيين إلى المدينة بعد سقوط غرناطة شكّلوا إضافة نوعية، وليس من المُستبعد من هؤلاء أن نجد منهم حرفيين جاؤوا بأشياء جديدة، وأعطوا طفرة في الصناعة والتجارة بمدينة وهران، بالتأكيد لم يكونوا مُجرّد قراصنة"⁴.

كانت وهران في العهد الأسباني (1509-1792م)، باستثناء الفترة التي حرّر فيها الباي مصطفى بوشلاغم المدينة (1708-1732م)، مُحَصَّنَة بحصون قوية جدا تربط بينها أنفاق مُتَشَعِّبة وسور يحيط بكامل المدينة، وأول حصن شُيِّد في المدينة هو الحصن الأحمر، الذي يقع في الشمال الشرقي من وهران، وقد شَيَّده السلطان المريني أبو الحسن سنة 1374م⁵ وأتمّ الأسبان تشييد الحصون الأخرى.

كانت أسوار مدينة وهران ضيّقة وغير منتظمة، وبلغ طولها 2157م، ويتحدّد مساره ببوابتين رئيسيتين هما: بوابة تلمسان التي تقع عند ساحة quinconces وهي مخرج المدينة

¹ - أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تج: جمال طلبة، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص، ص248، 252.

² - (R). Lespès, Oran étude de géographie et histoire urbaine, librairie félex Alcan, Paris, p.59

³ - Ibid, pp 59-60.

⁴ - Ibid, p70.

⁵ - Ibid, p70.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

إلى طريق تلمسان، وبوابة كانستال وتعدّ المدخل الرئيسي، شُيّدت ما بين 1734-1738م¹، وفي العهد العثماني منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، بدأ عمران وهران بالتوسّع خارج أسوار المدينة في الضفة الأخرى من واد الرحي، ويرجع ذلك إلى تزايد سكان المناطق المجاورة من تلمسان ومعسكر ومليانة والمدينة، وحسب اسحاق بولش (L.Bolch)، أنّ الباي محمد الكبير استقطب يهود تلمسان ومعسكر وندرومة، ومنحهم أحسن الأراضي التي تقع شرق الوادي وداخل المدينة المنهارة بسبب الزلزال².

أمّا تلمسان فقد كان يبلغ عدد سكانها قبل الاحتلال الفرنسي لها ما يناهز العشرين ألف نسمة، واعتمدت مداخلها المالية على عائدات التجارة والمنتجات الفلاحية لفئة كبيرة من سكانها، وتميزت تلمسان عن باقي مدن بايلك الغرب بأحيائها التي قُسمت حسب وظائف ومهن سكانها، فنجد أحياء يقطنها الفقهاء والعلماء، وأحياء أخرى خاصة بالتّجار والحرفيين، وأخرى للعساكر ورجال القانون (القضاة)³، وحسب العِرْق أيضا، فأحياء اليهود وأخرى للحَضَر وللكر اغلة.

ذكر الحسن الوزان أنّ مدينة تلمسان توجد بها عدة مساجد جميلة، فيها مدارس حسنة البناء، وبها حمامات وفنادق، والماء لا ينقطع عنها، وأسوارها في غاية الارتفاع والقوة، بها خمس بوابات واسعة جدا، وشيّدت خارج أسوار المدينة قصور في غاية الروعة والجمال تستخدم للاستجمام والمصيف⁴، وتضمّ تلمسان بحكم أنّها كانت عاصمة الدولة الزيانية قصر ملكي يقع جنوب المدينة مُحاط بأسوار مرتفعة، كما تظم قصورا أخرى صغيرة فيها بساتين وسقايات⁵، مُخصّصة لأفراد العائلة الحاكمة والضباط وبعض الفقهاء، ويُدعى هذا القصر بقصر " المَشَوْر".

لم تكن المدن الصغيرة مُحصّنة بأسوارها فحسب؛ بل محصّنة طبيعيا كذلك، فمدينة قلعة بني راشد التي لم يكن يتجاوز عدد سكانها 3000 نسمة، في أحسن أحوالها مبنية على شكل

¹ - بشير مقييس، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 95

² - نفسه، ص 98.

³ - (A). Bargès, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, EURL Kafila, Alger, p198.

⁴ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص، ص 19، 20.

⁵ - المصدر نفسه، ص 20.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

قلعة في منحدر جبلي بين الشعاب كما وصفها ليون الإفريقي¹، إنّ موقعها الجغرافي يتعدّد الوصول إليه، فهي في ممّر جبلي يتقاطع مع منحدر صخري شديد الانحدار، يربط المدينة بالمدن الأخرى، وقد وصفت لوسيان بوني (L.Bonnet) منازل المدينة بأنّها مبنية بالحجارة وقريبة إلى الأرض، وشرفات المنازل تضغط على بعضها البعض لوقوعها في منحدر، وذكرت أنّ المدينة بها جامعٌ ومئذنة فائقة الجمال تطلّ على أكبر حي صناعي في المدينة².

يتميّز بايلك الغرب جغرافيا بأراضيه الشاسعة، وتتنوع تضاريسه؛ حيث ينفّتح على البحر الأبيض المتوسط، والسهول القريبة من البحر التي تُلائم ممارسة النشاط البشري (فلاحة، رعي، صناعة، صيد، نجارة... الخ)، ويتشكّل بايلك الغرب من سهول خصبة ومنخفضة شبه ساحلية، سهول الشلف وهبرة والمقطع ومينا القريبة من الداخل، ومرتفعات داخلية: تلمسان، معسكر، تيارت³.

يمُرّ على بايلك الغرب عدة مجاري مائية أهمها: واد الشلف، وقد وصفه حسن الوزان حين زار الجزائر في القرن السادس عشر بالنهر الأكثر أهمية في الجزائر⁴، حيث قال: " الشلف نهر كبير ينبع من جبال الونشريس وينحدر عبر سهول قفرة في تخوم مملكتي تلمسان وتنس، ليتابع سيره إلى أن يصبّ في البحر المتوسط فاصلا قرية تدعى مزگران ومدينة مستغانم"⁵، مستغانم⁵، وهو قريب من مدن مازونة، وتنس، ومزگران، ومستغانم، وتخيم بالقرب منه أهم القبائل العربية التي لها ثقل سياسي واقتصادي وحربي منها: لمحال، ومجاهر، وبالقرب منه من الناحية الغربية وادي مينا الذي يُغذي وادي الشلف بالمياه بالقرب من مدينة البطحاء شمالا ويصبّ في البحر الأبيض المتوسط⁶، إضافة إلى وادي الشلف ومينا هناك أودية لا تقلّ ثقلُ أهمية عنهما: وادي التافنة، الذي يقع غرب مدينة تلمسان، ويُعرف بوادي سيغا (Siga) وهو اسم روماني قديم، أمّا اشتقاق اسم تافنة من القبيلة العربية التي كانت تُخيم قرب سهل

¹ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص26.

² - (L). Bonnet, l'industrie du tapis à la Kalaa des Beni Rached (Oran), Jules Carbonel, Alger, 1920, p18.

³ - فتحة الواليش، الحياة الحضريّة في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 1993-1994، ص37.

⁴ - (R).Brunschvig, Léon l'Africain et l'embouchure du Chelif, R.A, N°79, 1936, p599.

⁵ - الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص251.

⁶ - (R). Brunschvig, Op.Cit, p.603.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

سيدي عمار¹، ويلتقي مع واد يَسْرُ حوالي 30 كلم شمال مدينة تلمسان، على بعد 4 كلم جنوب مدينة الرمشي حاليا²، ويأخذ مجرى الوادي اسم تافنة حتى مصبّه في البحر الأبيض المتوسط قرب منطقة رشقون.

يوجد في بايلك الغرب غطاء نباتي يتكيّف حسب المناخ شبه الجاف السائد في المنطقة، فكمية التساقط متذبذبة وغير منتظمة، تأقلم مع هذا المناخ غطاء نباتي مقاوم للجفاف، فعلى سبيل المثال نجد غابات من اللوز وأشجار الزيتون البري المعروف باسم " الزَبُوجْ"، وتنتشر هذه الغابات في منطقة جبل أولاد علي جنوب وهران، في منطقة معتدلة لا رطوبة ولا جافة، وتمتد هذه المنطقة بين واد تليلات، وسيق، وسهل هبرة³، يغلب على غابات المنطقة أحرّاش البلوط، والبلوط الأخضر، والصنوبر الحلبي، الدوّم، الفلين، والسِدْر، هذه الغابات المتنوعة تَمُدُّ الحِرَفَ بأجود المواد الأولية التي تحتاجها صناعتها.

المُتَتَبِع لتطور حواضر (مدن) بايلك الغرب، نجدها على امتداد جغرافي واحد، ومتشابه في التضاريس، وتقع على العموم بعيدة نوعا ما على الساحل، وتحتضنها قبائل كبيرة ونشطة، مثلا مدينة ندرومة تقع في بلاد ثرارة (طراة)، ومدينة قلعة

بني راشد في بلاد بني راشد، ومازونة في منطقة الظهرة⁴، هذه المدن كانت لها أهمية كبيرة كبيرة في العهد العثماني، إضافة إلى مدينة تلمسان التي حافظت إلى حدٍّ ما على نسقها الإنتاجي، بالرغم من المآسي التي مرّت بها المدينة منذ بداية القرن السادس عشر، ومن هجمات الأسبان حتى سقوط الدولة الزيانية سنة 1553م، وصف جورج مارسي (Marçais) تلمسان في مقال له في المجلة الإفريقية بمدينة الفنّ والتاريخ؛ حيث

¹ - (F). de cardaillac, Monographie d'arrondissement de Tlemcen, B.S.G.A.O, N°8, 1888, p53.

² - Ibid, p51.

³ - (R). Tinthoin, le tapis végétal du Tell Oranie se modification par l'homme, R.A, N°79, 1936, p234.

⁴ - Djillali Sari, les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, Nédroma, Mazouna, Kalaa, S.N.E.D, Alger, p4.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

قال: "تلمسان مدينة حضرية كبيرة في وسط بدويّ من رحال فروع زناتة وعرب، لتلقى مصيرها المحتوم"¹.

قاومت تلمسان على مرّ تاريخها هجمات البدو من العرب والبربر، وأطماع سلاطين المغرب في المحاولات الكثيرة للاستيلاء عليها، وقد ووفقوا في ذلك بعض المرات واحتلوها لكن سرعان ما يسترجعها أصحابها من الزيانيين، والرغبة في إنهاء حكم الأتراك العثمانيين في الجزائر، ففي سنة 1551م، أرسل السلطان السعدي محمد المهدي، قوة عسكرية بقيادة نجله محمد الحران والأمير عبد الله للسيطرة على المدينة، حيث دخل الابن الأكبر مدينة تلمسان بسهولة بعد هروب الملك الزياني أبي زيان إلى وهران²، أمّا ابنه الأصغر فاحتل مدينة مستغانم، ووصل حتى وادي الشلف³، وهذا ما ذكره الحسن الوزان: "تضرّرت تلمسان من جراء الحصار المضروب عليها من طرف أبي يعقوب يوسف الثاني من ملوك بني مرين، الذي بنى مدينة أخرى شرق تلمسان، ودام الحصار سبع سنوات"⁴.

يؤثر الموقع الجغرافي بشكل كبير على النشاط الاقتصادي والحرفي على مدينة تلمسان، حيث كانت حتى منتصف القرن السادس عشر عاصمة الدولة الزيانية، التي تربط القوافل التجارية الآتية من جنوب الصحراء المُحملة بمختلف السلع، تموّعت المدينة في أحسن رواق يمكن أن تحتله مدينة، فموقعها الجغرافي يربط بين الشمال والجنوب، وتربط بين الشرق والغرب⁵.

أهم تهديد وجودي تعرّضت له الدولة الجزائرية هو حملة السلطان المغربي مولاي إسماعيل، حيث بدأ حملة عسكرية كبيرة على بايلك الغرب، لكنه لقي مقاومة شرسة أجبرته على الانسحاب والتراجع⁶.

¹-(G). Marçais, Tlemcen ville d'Art et Histoire, R.A, N°79, 1936, p39.

²- هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة معسكر، 2020-2021، ص77.

³- المرجع نفسه، ص77.

⁴- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص17، 18.

⁵-(A). mérad boudia, la formation sociale algérienne précoloniale : essai d'analyse théorique, office publication universitaire, Alger, p164.

⁶- هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص82.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الثالث: أهم الحرف في بايلك الغرب الجزائري.

أ- صناعة النسيج:

1-صناعة الزرابي:

أشتهرت مدينة القلعة بصناعة الزرابي، وكانت تُعرف بقلعة بني راشد، قال عنها الرحالة الانجليزي توماس شاو (shaw)، بأنها أكبر سوق في بايلك الغرب لبيع الزرابي، والأقمشة الصوفية¹، بُنيت المدينة وسط ارتفاعات ودون مصارف مياه، وحسب شاو فإن المدينة غير نظيفة، وأنشأ فيها الأتراك العثمانيون حامية عسكرية²، يمتد إقليم بني راشد على طول خمسين ميلا (80 كلم) من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض خمسة وعشرين ميلا جنوبا، وكلها سهول من هذه الجهة، ومن شمال هذا الإقليم عبارة عن مرتفعات³ وقد لاحظ حسن الوزان، أنّ سكان هذا الإقليم بمن فيهم سكان مدينتي القلعة ومعسكر ينقسمون إلى قسمين: قسم في الشمال يسكنون دُورا لائقة جدًا مبنية بجدران، ويزرعون الحقول والأكرام وسكان جنوب الإقليم حسب ما لاحظته ليون الإفريقي (حسن الوزان) يعيشون في خيام، ويمتهنون مهنة الرعي، ولهم عدد وافر من الجمال والخيول، وهم أثرياء جدًا⁴.

إنّ تنوّع وغنى مصادر الإقليم جعله يتميّز عن باقي الأقاليم في بايلك الغرب، ولهذا توفّرت المادة الأولية من جلود، وصوف، فازدهرت صناعة الزرابي المعروفة بجودتها وأناقتها في كامل ايالة الجزائر، بل وخارجها، لا توجد إحصائيات دقيقة عن تصدير الزربية القلعية عبر الموانئ، وتوجد إحصائيات عن تصديرها قدّمتها الباحثة لوسيان بوني (L.Bonnet) أثناء الحقبة الاستعمارية، وبيّنت هذه الدراسة تطوّر تصدير الزربية القلعية إلى أوروبا وفرنسا، في سنة 1901م من 86 قنطار إلى 2012 قنطار في سنة 1928م⁵.

¹ - (Dr). Shaw, voyage dans la régence d'Alger, tr : j. Marc carthy, Paris, 1830, p249.

² - Ibid, p249.

³ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص26.

⁴ - المصدر نفسه، ص26.

⁵ - (L). Bonnet, Op.Cit, p7.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

تتميّز زرابي مدينة القلعة بالفخامة والجودة، وهي مطلوبة بقوة في كثير من الجهات، فهي تُعرض في المناسبات (أعياد، حفلات زفاف...)، وتُفرش مع الأثاث داخل البيوت، ويكون طولها من أربع إلى خمس أمتار، وعرضها من 1,50م إلى 1.6م¹.

يدخل في تزيين الزربية سبعة ألوان رئيسة وهي: الأحمر، الأحمر الغامق، الأصفر، الأزرق، الأسود، الأبيض، وتمرّ صناعة الزربية بعدة مراحل أهمها:

شراء المادة الأولية: يقوم الصنّاع أو السماسرة بشراء الصوف من الأسواق المجاورة، وتُجلب صوف الماشية (الأغنام) على شكل مَزَجَة (medjaza)، يقوم سكان بايلك الغرب بجزّ صوف الغنم بداية من نهاية شهر افريل وتنتهي العملية في بداية شهر جوان، أي بعد توقف سقوط أمطار ما يُعرف بشهر نيسان، ويعتقد الكثير من الناس أنّ هذه الأمطار فيها النفع والشفاء للماشية، وتجعل الصوف تنمو بكثافة، ولهذا تكون الصوف في هذه الفترة ناعمة ووفيرة²، ويستعمل في جزّ الصوف مقصّ الجز، بحجم أذن الخروف حسب تعبير ديتينغ³ (Destaing)، تُقصّ الصوف (تُجزّ) في حوالي 1 سم من جلد الماشية لتجنب ضربة الشمس، وذكر ألفرد بل (Bel) أنّ الصوف تُجلب إلى مدينة تلمسان من المغرب الأقصى في ضواحي وجدة وأعالي واد ملوية، ومن مضارب قبائل حميان بمنطقة المشربية، أمّا النوعية الجيدة والممتازة فتُستري من مناطق قبائل الأحرار بتيارت⁴.

تقوم النسوة في البيوت، حيث توجد ورشات صغيرة في غالب الأحيان، بتنظيف الصوف من الأشواك وغسلها، بالماء والصابون، وتُغزلّ الصوف في هذه الورشات، أو يقوم الرجال بغسلها في شعاب مدينة القلعة على سبيل المثال⁵، وتقوم النسوة بفَرْم الصوف، وتُفرز

¹ - Bonnet, Op.Cit, p74

² - (E). Destaing, fêtes et coutumes saisonnières chez les Béni Snous, R.A, N° 50, 1906, p253.

³ -Ibid, p253.

⁴ - (A). Bel et (P).Ricard, le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1913, pp16.17.

⁵ -Bonnet, Op.Cit, p74.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

وتُفَرِّز الصوف البيضاء، والرمادية، والبنية، والسوداء، حسب استعمالها في صناعة الزرابي والألبسة الأخرى¹.

تقوم النسوة بمرحلة تَمْشِيط الصوف بآلة خشبية تسمى "الْقَرْدَاش" (Cardage)، تتكون من جزئين: على شكل لوحة طولها من 15 إلى 20 سم، تحتوي على مسامير حديدية مُسَنَّة في طول عشر سنتيمترات، مزودة بمقبض خشبي لمشط الصوف، وفي الأخير يَقْمَنَ بغزل الصوف على شكل خطوط بيضاء رقيقة بواسطة عود خشبي يدعى المَغْزَل.

تدخل صناعة الزرابي في الدورة الاقتصادية، والتكامل الاقتصادي، ف شراء الصوف يُشجّع حرفة تربية الماشية، ويساهم في الدخل الأسري، تقول لوسيان بوني: " عندما تُزَفُّ العروس إلى زوجها وفي الأشهر الأولى من الزواج، يعرض الزوج على زوجته مهنة صناعة الزربية"²، وهذا يُشجّع الأسر في مدينة القلعة وما جاورها على إنشاء ورشات منزلية في كل بيت، وهو ما أكّده لوسيان بوني³.

لم تكن مدينة القلعة الوحيدة في بايلك الغرب مُصنّعة للزرابي؛ بل كانت مدن تلمسان ومعسكر، وندرومة، ومستغانم معروفة بصناعة الزرابي والنسيج على العموم؛ ولكن بدرجة متفاوتة من حاضرة إلى أخرى.

ذكرت إحدى الدراسات أنّ مدينة مازونة الواقعة شرقا من مدينة قلعة بني راشد، فيها أكثر من 1400 آلة نسيج، دون حساب ما كان خارجها في الضواحي والأحواز⁴، إنّ العدد الذي قدّمته الباحثة مبالغ فيه جدّا، فحسن الوزان حين زار المدينة ذكر أنّها مدينة فقيرة بسبب التخريب الذي تعرّضت له على يد الأعراب المحيطين بها، وأنّها قليلة السّكان، وهم فقراء، بسبب الإتاوات التي يقدمونها للأعراب على حد وصفه⁵، بالرّغم من أنّ مازونة كانت عاصمة لبايلك الغرب منذ القرن السادس عشر ميلادي، وكان أول باياتها حسن بن خير

¹ - (L). Bonnet, Op.Cit, p50.

² - Ib.Id, p94.

³ - Ib.id, p94

⁴ - الوليش فتيحة، المرجع السابق، ص60.

⁵ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص36.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

الدين باشا، وسلّم مهام وظيفته إلى ابن خديجة¹، إلا أنّ المدينة لم تعرف التطور الملحوظ للأسباب المذكورة آنفاً.

عُرفت مدينة مازونة بأنّها المدينة التي احتضنت الثقافة العربية الإسلامية، وذلك لكثرة علمائها ومدارسها الدينية (الزوايا)، وقصدها الطُلاب في زمن ازدهارها من كل حذب وصوب، وتأسست فيها أول زاوية في القرن السادس عشر ميلادي، على يد محمد بن الشريف الأندلسي، ومن العلماء الذين تخرّجوا من هذه الزاوية الشيخ مصطفى الرماصي، والشيخ محمد بن علي بن أبي طالب الذي توفي سنة 1818م².

2- صناعة الألبسة:

عرفت معظم مدن بايلك الغرب صناعة مختلف الألبسة المصنوعة من القطن والصوف والكتّان، ففي مدينة تلمسان صناعة الألبسة عريقة جدّاً، وحسب شهادة يحيى ابن خلدون (ت734/هـ 1379م)، أنّ أغلب سكان مدينة تلمسان يشتغلون في العلوم على اختلافها، وصناعة الحايك الصوفي، والألبسة الجاهزة مثل البرانس والكسي؛ حيث قال: " نجد في تلمسان صناعة ممتازة للأقمشة الصوفية ذات جودة لا تُضاهى، يُصنّع منها الكسي والبرانس، ويُقدّر وزنها على الأرجح ثماني أنصت، وهي إلى يومنا هذا ومنذ القدم يتمتّع التلمسانيون بسمعة طيّبة وعن جدارة لما حقّقه في هذه الصناعة، التي تُصدّر منتجاتها إلى البلدان البعيدة، ومنها بلاد المشرق"³.

نجد في حاضرة ندرومة ومنطقة ترارة⁴ صناعات النسيج والفخّار والطرز على الجلود وصناعة الأحذية، فقد ذكر اميل جانييه (E. janier)، أنّ المدينة يوجد بها ثلاثة وعشرون ورشة لصناعة النسيج، وأنّ ملكيتها تعود للعائلة، دون الأفراد، فنجد ربّ العائلة يُشغّل

¹ - كانت مازونة أول عاصمة لبايك الغرب الجزائري منذ سنة 1553م، السنة التي أُنهيّت فيها الدولة الزيانية على يد حسن بن خير الدين باشا، وأول باي حسب العديد من المصادر هو ابن خديجة.

² - (M). Belhamissi, Histoire de Mazouna, S.N.E.D, Alger, 1981, p49.

³ - (A). Jean- Joseph Bargès, Ancienne capitale royaume de ce nom, EURL Kafilc, Alger, 2011, p198.

⁴ - توجد في منطقة ترارة قبائل الكومية وكنفدرالية ترارة (بني منير، بني مشال، بني عابد، بني خالد في البلدية المختلطة ندرومة، ولهافة الغرابية في البلدية المختلطة الرمشي، أكثر تفاصيل ينظر: Traras, E.leroux, Op.Cit, p45.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

الإخوة والأبناء¹، ومن الأنسجة التي تصنعها العائلات الندرومية الجلابة البيضاء والتي طولها من 1.5م إلى 2م، والأغطية الأخرى منها: الحشائشي، البطانيات، البُورابُخ، كما عُرِفَت مدينة ندرومة بصناعة الشاشية (القبعات)، والشاشية عبارة عن قُبَّعة أو قلنسوة مصنوعة من الصوف، ذات لون قُرْمُزِيٍّ، تغطي الرأس بالكامل أو جزءاً منه، وهي معروفة في سائر بلدان المغرب وشمال إفريقيا، وسوريا وتركيا²، والشاش هو قماش رقيق من القطن أو الكتّان أو الخيوط الصناعية وحسب قول دوزي (Dozy)، وهي عبارة عن قطعة من الشاش تُلفُّ عليها العمامة³، أمّا محمد بن شنب فيعتقد أنّ كلمة شاشية نقلا عن معجم البلدان للبكري أنّها مشتقة من المكان الذي ينتج أو يُصنَّع فيه قماش الشاش، نسبة إلى منطقة الشاش التي تقع في شرق نهر سِيحُون في بلاد فارس (أوزبكستان حاليا)، مثل قماش سُوْسْتِي الذي يُنسب إلى مدينة سوسة بتونس، أو القماش الهندي الذي يُنسب إلى بلاد الهند⁴.

ويتحصّل الحرفيون على الصبغة التي تدخل في صناعة الشاشية من الحشرة القرمزية حيث تُعصرُ هذه الحشرة للحصول على الصبغة، وتُجمَّع وتُباع في أسواق مدينة الجزائر وتونس، من أربعة إلى خمسة آلاف للكيلو غرام الواحد⁵.

يتحدّث اميل جاني عن الصناعة في منطقة تَرارة، لكنّه لا يُحدّد الفترة التي كانت مزدهرة، ومن خلال حديثه يُشير إلى الفترة التي لم يُعاصرها، ومن هنا نفهم أنّ الحرف على اختلافها كانت مزدهرة في العهد العثماني، وقد ازدهرت في حواضر مدن بايلك الغرب بقوة وبدرجة أقل في الأرياف، ففي مستغانم ازدهرت هذه الصناعة، ويعود ذلك لازدهار صناعة القطن منذ القرن السادس عشر، شجّع هذا العامل استقرار الأندلسيون بالمدينة⁶.

تنوّع ارتداء اللّباس في الجزائر حسب الفئات من: أتراك، حَضْر، يهود، مورسكيين، كراغلة، سكان واد ميزان والصحراء، وسكان الأرياف، وحسب الرّحالة والأجانب الذين

¹ - (E). Janier, les industries indigènes de la région de Traras, R.A, N°88, 1944, p45.

² - (M). Benchenab, Origine du mot Chachiya, R.A, N°51, 1907, p55.

³ - (A). Dozy, dictionnaires détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, jean Müller, Amsterdam, 1845, p242.

⁴ - (M). Benchenab, Op.Cit, p56.

⁵ - (E). Janier, Op.Cit, p46.

⁶ - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص60.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

مرّوا أو استقروا بالجزائر أكدوا أنّ الحايك والبرنوس، كانا واسعا الانتشار في الجزائر على العموم، فالحايك كانت المرأة ترتديه في مناطق مدينة الجزائر ومعسكر ومستغانم وتلمسان ووهران... الخ، وفي الغالب يكون لونه أبيض، مصنوع من القماش وأحيانا من القطن، وقد ذكر وصفه ديبغو هايدو (Haedo) قائلا: "ترتدي النسوة في مدينة الجزائر قمصانا بيضاء وناعمة جدًا، وبدون أكمام، كما هو الحال في أجزاء أخرى من لباسهم الطويل، وهي في الغالب تُغطّي كامل الجسد"¹، في مناطق بايلك الغرب تسمى "الملّخفة"، وهي نفسها التي ترتديها النسوة في مدينة الجزائر، كما اشتهرت مدينة مازونة بقوة في صناعة الحايك حسب ما ذكر جيلالي صاري²، وتستعمل النسوة لتغطية رؤوسهن نوع من القماش تدعى "البنيقة" (Beniga)³، أمّا البرنوس والجلابة فهما منسوجان من الصوف، والغالب ما يكون البرنوس أبيض اللون، أمّا الجلابة فيختلف لونها حسب طلب الزبون، ويكون لونها أبيضًا وأسودًا، فحسب جورج مارسسي (G.Marçais)، أنّ اسم الجلابة مشتقّ من اللغة العربية، وتعني الثوب العلوي الذي يغطي اللباس الداخلي، وهو واسع الملّبس⁴.

من بين الصنائع النسيجية التي اشتهرت بالجزائر عموما وببايلك الغرب الذي هو موضوع دراستنا، نذكر القفطان:

تحديد مفهوم المصطلح: تعريف القفطان:

القفطان بضم القاف وسكون الفاء كلمة فاسية تركية معربة، وهي في الفاسية خفتان، وفي التركية قفتان⁵، وفي الكردي خفتان بكسر الخاء⁶، في هذا الصدد يقول يديدا كالفون: "...ومنذ ...ومنذ أواخر القرون الوسطى، أصبحت كلمة قفطان مألوفا في اللغة العربية واستخدمت على نطاق واسع في الأقطار الناطقة بالعربية، لاسيما بسبب تأثير اللغة التركية على العربية،

¹ - (D). de Haedo, Topographie et Histoire générale d'Alger, tr : Dr Monnerau et (A). Berbrugger, Alger, 1870, p127.

² - Djillali Sari, Op.Cit, p44.

³ - Ibid, p128.

⁴ - (G). Marçais, le coutume musulman d'Alger, librairie palou, Paris, p14.

⁵ - رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم محمد فهمي حجازي، راجع المادة عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، 2002م، ص399.

⁶ - أدي شير معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988، ص56.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

وهكذا انتقلت الكلمة إلى اللغات الأوروبية في صيغتها المعروفة حالياً¹، وحسب رينهات دوزي فإن كلمة خفتان صار لها لفظة أخرى وهي القفطان منذ الدخول العثماني لمصر²، وهي كلمة دخيلة على العربية ومعناها نوع من الكسوة³، وعند البحث في معجم المحيط، وجدنا أن القفطان في اللغة التركية يعني ملابس الرجال والنساء، وفي الفارسية يعني ثوبا من القطن يلبس فوق الذراع⁴.

عرف القفطان أثناء الوجود العثماني بالجزائر، الكثير من التقدم والتطور في مجال النسيج والطرز، وكان ذلك بفضل الأندلسيين الذين ظلوا يتوافدون على الجزائر وباقي السواحل المغاربية، استطاعوا بفضل مهارتهم وخبرتهم أن يتصدروا الميدان الصناعي والتجاري، وهذا لا يعني أن القفطان وليد الفترة العثمانية، بل سبقها بقرون، وهو ما فصلت فيه الدكتورة نصيرة قشيوش، في كتابها القفطان الجزائري عبر العصور والحضارات⁵.

كان للقفطان مكانة خاصة في المجتمع الجزائري، لدرجة أنه كان يُشترط في المهر والصدّق عند جل العائلات الحضرية، ويلزم على أهل الرجل أن يزود أهل العروسة بمهر يتماشى ومكانتها الاجتماعية، وهذا ما دلّ عليه عقد زواج مؤرخ في نهاية ذي الحجة سنة 1139هـ الموافق لشهر أوت 1728م، أي في القرن 12هـ/18م، بين عائلتين كبيرتين تنتميان إلى الطبقة الأرستقراطية، تضمن المهر مايلي⁶:

- 1001 دينار.
- 03 قفاطين مذهّبة وموبرة.
- 03 أزواج من الأساور الذهبية.
- 03 قناطير من الصوف.

¹ - بديدا كالفون ستيلمان، تاريخ الأزياء العربية منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث، تر محمد جوهر، ط2، دار الثقافة والسيادة، أبو ظبي، ص85.

² - رينهات دوزي، الملابس عند العرب، تر أكرم فاضل، بغداد جامعة الدول العربية، الرباط، ص221.

³ - نصيرة قشيوش، القفطان الجزائري عبر العصور والحضارات، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل، ص17.

⁴ - محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، 2011، ص750.

⁵ - نصيرة قشيوش، المرجع السابق، ص118.

⁶ - Bencheneb, Un contra de mariage Algérois du début du 18 siècle, Extraits des anales de l'institut d'études orientales, T3, Alger, 1956, p100.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

- خادمتان من الجنس اللطيف.
- 03 أوزات من اللآلئ المزخرفة.
- صرمة مصنوعة من الذهب.

وقد جرت العادة على أن يُشترط على أهل العريس أن يكون القفطان من أقمشة مختلفة، واحدا منها مطرزا بالذهب، ويطلب أن يكون جاهزا قبل الزفاف، لأنه يعتبر لباس العروس يوم زفافها، واثنان منها من القطيفة والدمشقي، يلبسان كذلك يوم العرس بعد صلاة الظهر¹.

كما تجدر الإشارة إلى أن القفطان، كان لباس السلطان، الداوي، الباوي، والجنود الإنكشاريين، يختلف حسب مكانة ووظيفة كل شخص، وقد أضافوا إليه لمسة جذابة ساهمت في انتشاره خارج الجزائر، بل وفي معظم البلدان العربية وحتى الغربية²، فهناك دراسات تشير إلى أن المغاربة وبالأخص الفاسيين، تعلموا صناعة القفطان من التلمسانيين، وهذا ما وقفنا عليه في كتاب:

Chatellier Villes et Tribus du Maroc Rabat et sa region، إذ يقول صاحب المصدر: "... لقد نقل صناع من تلمسان إلى فاس سروجاً مطرزة، وجلبوا لهم أيضاً السلّهام والقفطان"، وفي نفس السياق يشير مصدر آخر لجوزيف بوريلي، إلى أن القرفطان هو صناعة تلمسانية انقلت إلى فاس مع ألبسة أخرى مثل الصدرّيات، البرنوس، السروج، والأحزمة وغيرها³، وما يثبت ذلك هو القفطان الجزائري المتواجد بمتحف مراكش بالمملكة المغربية، تجدون صورته مع الملاحق⁴.

ومن أشهر الصناعات النسيجية أيضاً نذكر صناعة البرنوس الذي يلبسه الرجال أو يحملونه على أكتافهم، ويغطي كل أجسادهم، وهو عبارة عن معطف له شكل دائري، يُلصق

¹ -Bencheneb, Op.Cit, p100.

² -نصيرة قشيوش، المرجع السابق، ص123

³ -Chatellier ville et Tribus du Maroc Rabat et sa région en 1890, Djebala Angers, V4, 1902, p79.

⁴ -نصيرة قشيوش، المرجع السابق، ص130.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

في وسطه قلمونة، ويمكن للرجل أن يتركه معلقا بدون استعمال أو يغطي به العمامة، وهو وسيلة للوقاية من المطر.

يصنع البرنوس قطعة واحدة بدون تخييط، ويتطلب نسجه صوفاً ناعمة بيضاء تُمزج أحياناً بالحرير، وزخارفه وحواشيه من الحرير في بعض الأحيان، والبرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء ويُحمل في الأسفار له نفس الشكل، ولكنه يُنسج من خيط أمتن بحيث يقي من المطر ويكون لونه أسود¹.

يقول حمدان خوجة في هذا الصدد، أن البرنوس هو لباس إضافي يُلبس فوق القندورة أي العباءة العربية، ومن خصائصه أنه قابل للإصلاح والترقيع، ويطول بقاءه حتى يتساقط رقعة رقعة، وكان برنوس واحد يكفي الرجل طول عمره بل ويُورث للأبناء والأحفاد².

يعتبر البرنوس الزغداني الذي اشتهرت به معسكر، من أهم الصناعات النسيجية التي برع فيها الجزائريون، وناقسوا به حتى الصناعات الغربية، إذ كان يُصنع من الصوف العسلي، كما كان بايات بايلك الغرب يهدونه لكبار موظفي دار السلطان، خاصة عندما يذهبون بالدنوش³، وفي هذا السياق يقول حمدان خوجة: "...في معسكر تُصنع البرانيس السوداء المشهورة، بيد أن سواد لونها طبيعي، ونسجها متين مسيك لا ينفذه سائل، وتُستعمل عادة هذه البرانس في جميع أنحاء الإيالة، وتُرسل إلى مصر وتركيا، وترتفع قيمة البرانس الجيدة إلى 100 فرنك للبرنوس الواحد، والفرنسيون أنفسهم أصبحوا مولعين بلبس هذه البرانس"⁴، وتعود شهرة مدينة معسكر بالبرانيس السوداء إلى وفرة الصوف السوداء في المنطقة كما لاحظ ذلك فاغنر، والذي يقول أن وفرة الصوف السوداء جعلت أغلب رجال الأمير عبد القادر يرتدون البرانس السوداء⁵.

¹ -وليام شالر، المصدر السابق، ص 83.

² -حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 40.

³ -مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 36، 37.

⁴ -حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 73.

⁵ -هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ج 2، ص 159.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

تنوّع إنتاج الصناعات النسيجية في بايلك الغرب راجع لتوفر المادة الأولية، المتمثلة في الصوف والقطن والمواد الأساسية، كما يختلف اللباس من حاضرة لأخرى، وبين سكان المدينة والأرياف، وما ذكره ليون الإفريقي عن سكان مدينة تلمسان خير دليل حين وصف لباس سكان مدينة تلمسان بالأنيق¹.

ب- صناعة الجلود:

إنّ ازدهار وانتشار صناعة الجلود يتوقّف على توفر المواد الأساسية والتي تشمل الجلود، إذ عرفت كل الحواضر هذه الصناعة: تلمسان، ندرومة، معسكر، مازونة، ومستغانم²، حيث كانت تستعمل الجلود في صناعة الألبسة الجلدية والأحذية.

تمرّ دباغة الجلود بمراحل تتحول من مادة خام إلى جلد قابل للاستعمالات المتعدّدة، يُنزع الجلد من الماشية سواء كانت معز أو غنم، أو بقر... الخ بعد سلخها، وتستمر العملية عدة أيام للحصول على المادة المراد استخدامها.

تُختار الجلود السليمة وتُغسل جيّداً، وتُنشر أمام أشعة الشمس، وتجفّ برش الملح عليها، وبعد هذه المرحلة، تنزع الصوف أو الشعر بعناية، بعد كشطها، وغالبا ما يكون العمل شاقا.

تصنع تلمسان الأحذية ومنها القَبَقَابُ وهو حذاء خشبي مُزَيَّن بأحجار اللؤلؤ أو الفضة، وتنتعلهُ النّسوة والرجال على سواء في الغالب عند الدخول إلى الحمامات الشعبية، ونادرا ما تنتعلهُ النسوة في بيوتهن³، وكذلك النّعال الجلدية والبليغة، وهذا ما لاحظته بيرج (Bèrge) في زيارته لمدينة تلمسان في القرن التاسع عشر⁴، اشتهر سوق الجلود قرب جامع ابن البناء، واختصّ هذا السوق في الحرف المتعلّقة بالصناعات الجلدية: الدّباغين الذين يدبغون الجلود،

¹ - حسن الوزان، المصدر السابق، ص21.

² - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص62.

³ - (A).Dozy, Op.Cit, p347.

⁴ - (A). Josèphe Bèrge, Op.Cit, pp208.209.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

والخَرَّازين الذين يصنعون الأحذية من الجلود، والسَّراجين الذين يصنعون السروج ويُطرِّزونها بالذهب والفضة¹.

ت- صناعة الفخار:

ازدهرت هذه الحرفة بكثرة في المدن والأرياف؛ لحاجة المجتمع إليها، وهي موجودة منذ القدم، متعلقة بالأكل والشرب، والزينة، وذلك لتوفر المادة الأولية وسهولة الحصول عليها، من طين وماء وحصى، وتتطلب صناعة الفخار المهارة التي يجب أن تتوفر في الحرفي، اشتهرت مدينة ندرومة في صناعة الفخار، حيث قُدِّر عدد المحلات المختصة في هذه الحرفة حوالي ثمانية مصانع وثلاثة أفران، لتجفيف القطع المصنوعة²، لذلك سُميت مدينة الفخار لعراقه هذه الصناعة بهذه المنطقة³.

في المدينة تُصنَّع أواني أبرزها: طبق الطهي (المقلة)، الكؤوس لشرب الحليب، والأطباق ذات الاستعمالات المختلفة للطهي (الطاجين)، و(القصة) تستعمل لعجن وتحضير الخبز، القِدْر (قدر اليمين) للطهي كذلك والجرة التي تحمل الأزهار للزينة⁴، وفي هذا السياق يذكر جانبي، أنَّ ورشات صناعة الفخار في المدينة تصنع حوالي خمسين قطعة فخارية في الأسبوع، ماعدا يومي الجمعة والأحد⁵.

ث- صناعة الخشب:

ازدهرت الصناعات الخشبية، -وتعرف أيضا بالتجارة- بالمدن والأرياف لتوفر المادة الأولية من غطاء نباتي متنوع، ساهم في تنوع هذه الحرفة، وتلبية لحاجيات السكان والدولة، ولتوفر أشجار الغابات التي تدخل في صناعة أبواب المنازل والنوافذ، والأثاث المنزلي (خزائن، موائد، مقاعد...) وقوارب الصيد، وعربات الأحصنة، وطاحونات المياه، أمّا عند

¹ -شلابي رفيق، ودان بوغفالة، الحرف والصناعات في مدينة تلمسان وضواحيها خلال العهد العثماني (1555-1830م)، مجلة دراسات وأبحاث، العدد: 13، جامعة الجلفة، 1 جانفي، 2021، ص833.

² - المرجع نفسه، ص833.

³ - بلحية بهية، صناعة الفخار وأبعادها الفنية والثقافية بمنطقة ندرومة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، (2001-2002)، ص60.

⁴ - (E). Janier, Op.Cit, pp48.49.

⁵ - Ib.id, p49.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

البدو أو سكان الريف فتستعمل هذه الحرفة في صناعة أعمدة الخيام، أو الهودج الذي يوضع فوق الإبل، والأدوات التي تستعمل في النسيج¹.

جاء في تعريف الخشب باللاتينية أنه بوسكوس (Boscous)، وهو عبارة عن مادة صلبة متلاحمة ليفية تتكون عموماً من الجذع والساق والفروع، والخشب ما غلظ من العيدان، والجمع خشب²، يوجد أنواع من الأخشاب المستعملة: منها البلوط الأخضر، ويوجد في جبال الونشريس والأطلس البليدي وجبال الزماعشة، وهو خشب صلب وقشرته مطلوبة لدباغة الجلود، أما الصنوبر فهو خشب صمغي له أنواع تميل إلى الأحمر يستعمل في زخرفة التحف، وفي البناء والنحت على الخشب، وهو منتشر بكثرة في الجزائر، ينمو في الغابات الواقعة في الشريط الساحلي الممتد من القالة إلى بجاية³.

في تلمسان اشتهرت صناعة الخشب بتأثرها باللمسات الأندلسية نتيجة هجرة العائلات الأندلسية الصناعية إلى المدينة، ويتضح ذلك بشكل أكبر في تجهيز وبناء المساجد، حيث نجد أن الألواح الخشبية كبيرة مثبتة على سقف قاعدة الصلاة ومزينة بالزخرفة⁴.

ج- صناعة الحلي:

تتطلب هذه الحرفة مهارة فائقة ومعرفة دقيقة بأوزان هذه الصناعة، وذلك راجع لأهميتها في الاقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني، كما سيطرت فئة اليهود على هذه الحرفة وتجارتها، وذلك لاحتكارهم أصول صناعة الحلي والمجوهرات.

تستعمل الحلي في الغالب عند النسوة للزينة في المناسبات الدينية (الأعياد) والأفراح، وتتنزّل المرأة يوم زفافها بأجمل أنواع الحلي حسب الوضع المادي للمرأة، وإبراز مكانتها الاجتماعية في المجتمع، ويجب على الصائغ أن يستعمل النقش المتناسق والجميل لجذب

¹ - (P). Ricard, l'artisanat indigène en Oranie, la fouque, Oran, 1940, p28.

² - سميحة ديفل، صناعة الخشب خلال العهد العثماني، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشر، العدد الأربعون، جوان 2018، ص40.

³ - سميحة ديفل، المرجع السابق، ص41.

⁴ - Pierre Ricard, la menuiserie mauresque dans les monuments arabe de Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915, p3.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

الزبون، وصف الرحالة الفرنسي أودال، تزيّن المرأة الجزائرية بالحلي حين زار الجزائر في القرن الثامن عشر ميلادي، حيث قال: "كانت النسوة تكشفن أوْشَامِهِنَّ، وتُزَيِّن أسنانهن بالمرجان واللؤلؤ الزجاجي، وتضعن الأساور في معاصمِهِنَّ، أما الشعر فيُظَفَرُ ويُشَبَّكُ بالعنبر والمرجان"¹. ومن أهم الحلي المنتشر في بايلك الغرب نذكر:

الصَرَمَة أو العَصَابَة: وهي عبارة عن تاج يوضع فوق الرأس، وغالبا ما يكون مصنوع من الفضة، وتكون ألواحها مطرزة بالذهب²، وهي مشهورة بمدينة تلمسان.

العَنْبَرَة المَسْكِيَة: تُصنع في تلمسان، ويتكوّن هذا الحلي من سلسلة ذهبية للعنق مربوطة بأزيم أو مشبك يربط من طرفين مفكوكين، أحدهما متّصل به والآخر في فك آخر، وفي وسط السلسلة نجد ميدالية في داخلها عطر المسك³.

كما نجد في بايلك الغرب الجزائري، حليّ معروف باسم "البابور" مصنوع من النحاس أو الفضة، إضافة إلى الخلخال والبنبيقة المعروفة في مدينة الجزائر، وأبو جنيبة عبارة عن قنينة صغيرة من الفضة وساق بنفس المعدن، تستعمل لوضع الكُحْل، تضع المرأة الجزائرية في الأذنين أقراط تعبّر عن زينتها، وتميّز الطفلة الأنثى عن الطفل الذكر في سن الطفولة حتى سن البلوغ، لكن الأمر لا يخلو من الألم عند ثَقْبُ أُذُن الفتاة بإبرة، وقد يصاحب العملية نزيف وتعفن الأذن، نتيجة الجرح الذي تُسببهُ الإبرة، الذي قد يؤدي إلى مضاعفات خطيرة، في هذا الصدد لاحظ فونتير دي باردي (venture de paradis)، هذه الأقراط الجميلة التي تُعرَف بـ "المُنَاقَش" (menàkich)، حيث قال: "...أذانهن أيضا مُزَيّنة ومثقوبة في موضعين أو ثلاثة لدعم حلقة الأذنين لدعم الأقراط الكبيرة المُزَيّنة بالذهب أو الأحجار الكريمة وتسمى هذه الأخيرة بالضرسة"⁴، كما ترتدي النسوة القفطان المطرّز بالذهب

¹ - (P). Eudel, l'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne, Adolphe Jourdan, Alger, 1902, p40.

² - (P).Eudel, Dictionnaire des Bijoux de l'Afrique du Nord, E.Leroux, Paris, 1906, p5.

³ - Ibid, p16.

⁴ - Venture de Paradis, Alger aux XVIII siècle, typographie adolphe jourdan , Alger, 1898, p37.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

والفضة، وهو مصنوع من قماش الحرير والقطيفة، وذكر فونتير دي باردي ذلك، ووصفه أنّه مطرّز بالذهب أو الفضة من الأمام والأكتاف، وبه أزرار تصل حتى الحزام¹.

عُرف اليهود باحتكارهم لهذه الحرفة، وقد وفدوا إلى الجزائر منذ القدم، وفي العهد العثماني من شبه الجزيرة الأيبيرية، خاصة من قرطبة وغرناطة بعد سقوطهما في يدّ الأسبان سنة 1492م، ومن ليفورن الإيطالية.

هناك أسباب مكّنت اليهود من احتكار حرفة وتجارة الحليّ وكل ما يتعلّق بالأحجار الكريمة من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان...

سبب تاريخي: في سياق وصول اليهود إلى بلاد المغرب الإسلامي، والمغرب الأوسط خاصة، من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد مذبحة 1491م في اسبانيا، شدّ اليهود بعد منحهم خيار المحافظة على ديانتهم اليهودية ويعني ذلك الطرد أم اعتناق الكاثوليكية واندماجهم في المجتمع المسيحي الإسباني، أدى إلى تدفق هجرات يهودية كبيرة من كاتالونيا ومايوركا، ومن بين المهاجرين الحاخامان إسحاق بارشاشات وسيمون بن تسماح²، هذان الحاخامان حملوا معهم اتفاقيات الأعراف اليهودية لإنفاذ القانون اليهودي الذي يسمح لهم بالعيش بالبلاد الإسلامية، وهو ما ساعد على إدماج الجالية اليهودية بالمغرب الأوسط.

بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، على يد الملكين الكاثوليكين ايزابيلا ملكة المملكة القشتالية وفرديناند ملك أراغون، شهد المغرب الأوسط موجة ثانية من هجرة اليهود، لكن بصورة أقل من الموجة الأولى، ما منح الأفضلية لليهود سافارديم الذين ينحدرون من شبه الجزيرة الأندلسية على حساب اليهود الأهالي³، تعود الأفضلية للتنظيم المُحكّم للجالية اليهودية الوافدة وتأثيرها الاقتصادي والمعنوي، والمهارة المهنية التي اكتسبوها في الأندلس، وإتقانهم اللغتين العربية والإسبانية، ما جعلهم يحتكرون مناصب حكومية حساسة في الجزائر، منها تمثيلهم للملك الزياني دبلوماسيا في البعثات الموفدة لحكام وهران الأسبانيين،

¹ - Venture de Paradis, Op.Cit, p37.

² - Valérie Assan, les juifs en Algérie avancée récentes de la recherche , Hespéris Tamuda, LI(3), Rabat, 2016, p266.

³ - Ibid, p266.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

أو إلى الملك الاسباني في اسبانيا، حيث ذكرت شانتال دي لفيرون أنه في جوان 1511م، أرسل الملك الزياني أبو عبد الله محمد، وفدا دبلوماسيا إلى مدينة وهران لعقد اتفاقية سلام مع الأسبان، على رأسه الفقيه سيدي أبو يحيى الكُبيني، واثنان من يهود وهران هما: إسحاق كانسينو و ابراهام زميرو¹، واحتكر إسحاق كانسينو (cansino) منصب المترجم الرسمي لحكام وهران أثناء الاحتلال الاسباني للمدينة، تقول المصادر أنه وُلد بوهران قبل أن يطردهم الأسبان من وهران سنة 1669م².

الكثير من العائلات اليهودية في وهران وتلمسان هم من يهود سفارديم لجأت إلى الجزائر نتيجة التعصب الديني في اسبانيا، تمّ تعيينهم في مناصب مالية ولغوية ووظائف دبلوماسية، وفي القرن السابع عشر تمّ تعيين جاكوب كانسينو مترجما رسميا لوهران، وكان عند الأخير علاقات طيبة مع المسلمين الجزائريين، وله دراية كبيرة بمناطق تخميم القبائل الوهرانية التي تنتج المواد الفلاحية³.

بعد طرد يهود وهران سنة 1669م من المدينة على يد الأسبان، تجمّع اليهود في ميناء ليفورن الايطالي، حيث التحقوا باليهود المستقرّين هناك، وأصبح ميناء ليفورن يعجّ باليهود التجّار منذ سنة 1570م، وشكّلوا هناك قوة اقتصادية مؤثّرة، ومارسوا المبادلات التجارية مع مدينة الجزائر ومرسيليا وجبل طارق، وأسّسوا مراكز تجارية على موانئ البحر الأبيض المتوسط في فرنسا واسبانيا، لاستيراد السلع وتصديرها من إفريقيا إلى أوروبا والعكس، فقد استوردوا بعض السلع من شمال إفريقيا مثل: الحبوب، الصوف، الشمع، ريش النعام، العبيد، والتبر...، في هذا الصدد تكلم جاكوب أولليل (j. Oliel)، عن تحكّم اليهود في تجارة المعادن النفيسة ونقلها إلى أوروبا عبر بلاد المغرب، حيث قال: " كان اليهود منخرطين ليس في تجارة الذهب فقط، بل كذلك في نقل التّبر من إفريقيا ومنطقة الساحل جنوب الصحراء إلى أوروبا عبر موانئ بلاد المغرب، والعمل في صناعة المعادن النفيسة، ولاحظ ج. كيبوك

¹ - (Ch). De la veronne, relation entre Oran et Tlemcen dans la première moitié du XVI siècle, orientaliste paul guathner , paris, p19.

² - (L). Joseph de Stomayor y Valenzuela, Brève relation de l'expérience de juifs d'Oran en 1669, tr : jean Frédéric schaub, ed, Bouchène, Paris, p13.

³ - Ibid, p12.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

(J.Cuoq)، أنّ السبب في تطور التجارة في صحراء الجزائر يعود إلى استقرار اليهود في المناطق التي توجد بها معادن الذهب¹.

أصبح يهود ليفورن يتحكمون في الاقتصاد الجزائري منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي، ويعرفون خبايا الحكم في الجزائر، وأحياناً يتدخلون في القرارات الحكومية، وأهم هذه العائلات اليهودية الليفورنية التي وفدت إلى الجزائر: عائلة نافتالي بوشناق وعائلة أبراهام بوشناق وبوشعرة².

انتشر اليهود في بايلك الغرب الجزائري في مدن معسكر ووهران وتلمسان ومستغانم وندرومة...، وقد مارسوا حرفة صناعة الحلّي، وبعض المسلمين تعلّموا الحرفة على يد اليهود مثل الكراغلة والعرب المسلمين الذين كانوا يصنعون النحاس ويقومون بتشليله بالذهب³، وهناك فئة قليلة من السكان في الريف اعتمدوا صناعة الحلّي بتكريس جزء من وقتهم لهذه الصناعة لأجل الأعراس والمناسبات الدينية⁴.

ح صناعة النحاس:

اشتهرت تلمسان بهذه الصناعة متصدرة كل حواضر ومدن بايلك الغرب الجزائري، لاسقطابها عدد كبير من المورسكيين الذين كانت لهم لمسة خاصة في هذه الصناعة.

في هذا السياق يقول حسن الوزان، الذي زار المدينة سنة 923هـ/1517م، "...إن جميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة، وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربعة طبقات: الصناع والتجار والطلبة والجنود، فالتجار أناس مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، أهم

¹ - (j). Oliel, les Juifs au Sahara Touat au moyen âge, CNRS Edition, Paris, 1994, p60.

² - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص38.

³ - ديفل سميحة، صناعة الحلّي بقسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد: 11، ديسمبر 2016، ص ص 182-183.

⁴ - المرجع نفسه، ص183.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

أسفارهم التجارية إلى بلاد السودان...، والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة...، فأينما وجهت نظرك رأيت التجار والصناع...¹.

وأما مارمول فيقول عن تلمسان بأنها: "...أخذت تشتهر باستمرار بسبب إقامة ملوك تلمسان فيها واتخاذها عاصمة لهم نظرا لموقعها الحسن في سهل جميل، وقد نظمت ساحاتها وأزقتها على نسق جميل، ودكاكين صناعاتها وتجارها مرتبة على غرار ما هو بفاس...، أضف إلى هذا فنادق عديدة على طراز البلاد، يقيم في أهمها التجار الحاصلون على جواز الإتجار...²"

ووصف كذلك ساكنة تلمسان إذ يقول: "...السكان منقسمون إلى ثلاث طوائف، طائفة التجار، طائفة الصناع، وطائفة النبلاء، التي تضم الصناع والمحاربين: الأولون أناس طيبون، وأوفياء في تجارتهم معتزون بنظام الحضارة وحسن التدبير، مهذبون مع الأجانب...³"

تقنيات الصناعة النحاسية:

استعمل الصانع الجزائري خلال العهد العثماني، معظم التقنيات الصناعية المعروفة في تشكيل المعادن وزخرفتها، حيث كانت على النحو التالي:

الطرق: تستعمل هذه التقنية في التحف المصنوعة من النحاس، الفضة، والذهب، لأن هذه المعادن يسهل طرقها وتشكيلها بالضرب بواسطة مطرقة، بحيث يكون المعدن باردا أو محمرا قليلا، تستعمل هذه التقنية لصناعة قطع الصفائح كالصواني، الأطباق، والأكواب، كما تتطلب هذه التقنية ثلاثة أساليب: التقبيب، التعميق، والجمع.

التدوير: تركز هذه التقنية على إعطاء الشكل المرغوب فيه للكتلة المعدنية، وذلك بتدويرها بواسطة مخرطة تسمى دورة.

¹ - حسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 19، 21.

² - كاربخال مارمول، المصدر السابق، 298.

³ - نفسه، ص 300.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

الصَّبُّ: وهو تعريض الكتلة المعدنية للنار إلى درجة الإنصهار، وتشكيلها في قالب.¹

التلحيم: وهو عملية وصل القطع المعدنية ببعضها ببعض.

التدسير: ويعرف أيضا باسم البرشمة أو الدسر، وهي تثبيت قطع إضافية للكتلة المعدنية كالمقابض والصنابير وغيرها.

القصدرة: هي تقنية يقوم بها صانع مختص في المادة يسمى "القزداري"، تتم هذه التقنية خاصة في تغطية أواني الأكل بطبقة من مادة القصدير، حيث تعمل على منع تشكيل الجراثيم وتحول دون تفتيت النحاس، لأن هذا الأخير يتأكسد عند استعماله بكثرة فوق النار أو الماء.

من أنواع الأواني النحاسية التي كانت تصنع ببائلك الغرب الجزائري نذكر: القدور، الطناجر، الأطباق، الدلاء، الأباريق بمختلف أنواعها، الجرار، الصواني، الثريات، والفوانس.²

المبحث الرابع: نمط الإنتاج السائد في الجزائر.

للحديث عن نمط الإنتاج في الجزائر خلال العهد العثماني، ينبغي علينا التعريف بأهم النظريات الأوروبية الجادة عن نمط الإنتاج في الجزائر، وقد قدّم مرّاد بودية حول شكل المجتمع الجزائري قبل الاستعمار أربع أطروحات وهي:

نظرية فالنسي (L.Valensi): حدّدت فالنسي نمط الإنتاج في الجزائر، ورأت أنّ التنظيمات الاجتماعية تعيش داخل الحواضر والمدن تشكّل خلايا اثنية مُعلقة على نفسها³، ولاحظت أنّ هناك تمايز اجتماعي موجود داخل الخلايا الاثنية نفسها التي تعيش في المدينة نفسها، لكن هذا لا يرقى إلى النمط الإقطاعي، ويرى بودية أنّ هناك عاملين أساسيين يمنعان التكامل

¹ - شريفة طيان ساحن، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني في القرنين 18 و19م من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية الجزائر، دراسات تراثية، العدد 01، مج 06، 2012، ص ص 9-10-11-12-13-14.

² - نفسه، ص ص 9-10-11-12-13-14.

³ - Mérad boudia, Op.Cit, p285.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

الإقطاعي هما: الثروة والهيبة، يؤديان إلى انقسام المجتمع إلى طبقات، حسب نمط الإنتاج العتيق¹.

نظرية غاليسو (Gallissot): يؤكد في نظريته أنّ المجتمع الجزائري مجتمع إقطاعي، وهي أطروحة تناقض أطروحة فالنسي، التي تؤكد أنّ نمط الإنتاج في الجزائر نمط مشاعي.

نمط الديمقراطية العسكرية: تبنى هذه النظرية إيف لاكوست (Yve lacost)، الذي يرى أنّ المجتمع الجزائري مجتمعا يغلب عليه التضامن القبلي، وله أبعاد سياسية حتى القرن التاسع عشر، ويشير إلى أنّ التشكيلة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، تتميز بضعف مستوى تطور وسائل الإنتاج، ما ينتج عنه ضعف في فائض الإنتاج الداخلي².

نمط الإنتاج الآسيوي: يتميز هذا النمط بضعف وسائل الإنتاج، ويُعرفُ بنشاطه الإنتاجي الجماعي للمشاعات القروية، وتخلّي الدولة في المجال الاقتصادي، وترتبطُ فيه الزراعة بالصناعة ممّا يوفّر الاكتفاء الذاتي، سواء من حيث وسائل الإنتاج، أو من حيث الاستهلاك³، ويذكر الباحث صالح عباد، أنه لا وجود لرابطة حقيقية بين الريف والمدينة، على عكس الإقطاع الذي تُشكّل فيه المدينة سوقا للفلاحين، فالمدينة في نمط الإنتاج الآسيوي لا توجد حيثما وُجد موقع مناسب للتجارة الخارجية، وإلاّ حيثما يبادل رئيس دولة فائض الإنتاج مقابل عمل يُنفقونه في شكل مال عام⁴.

والتجارة الخارجية والبعيدة حسب سمير أمين ليست نمط إنتاج، ولكنها نمط مُفَصِّل (تتطابق) تشكيلات متمنّعة باستقلالها الذاتي مع بعضها البعض، وهي تختلف عن التجارة الداخلية حسبها بأنّها تقوم على التبادل السلعي البضاعي الخاص بأنماط الإنتاج السلعية البسيطة أو العبودية التي تتكون منها هذه التشكيلة⁵.

¹ - M érad boudia, Op.Cit, p285.

² - Ib.Id, p288.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص395.

⁴ - المرجع نفسه، ص395.

⁵ - سمير أمين، التطور اللامتكافئ، تر: برهان غليون، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1985، ص18.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

يُجَادِل عبد القادر جغلول¹، الآراء المتعارضة في الحديث عن أطروحتي غاليسو وفالنسي حول نمط الإنتاج السائد في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي، ويرفض أطروحة غاليسو حول نمط الإنتاج السائد، حيث يؤكد غاليسو أنّ الجزائر كانت تعيش نمط إقطاعي في حالته الأولى قبل أن يتحسن مع النمو الديمغرافي البطيء: "في كل الحالات، إنّ المستوى التقني المتوسط في أول الأمر أعلى مما وُجد في العصر الإقطاعي الأول إلاّ أنه يبدو واضحا، بدأ يتحسن ببطء مع النمو الديمغرافي البطيء"²، وحسب غاليسو يتميز هذا الإقطاع عن الإقطاع السائد في أوروبا فيما سمّاه "الإقطاع القيادي"، ويؤكد أنّ المجتمع الجزائري مجتمع إقطاعي، "تبدو كتلة المزارعين خاضعة لأنواع من المعيشة تتبّع لشروط تبعية معيّنة، وأنها تعيش منطوية على نفسها"³.

ولتقديم البراهين على إقطاعية المجتمع الجزائري حسب ما فهمه فإنّ التعريف الأولي لأيّ مجتمع إقطاعي يشير إلى العلاقات الاجتماعية المعتمدة على امتلاك الأراضي التي تستأجرها فئة من الفلاحين بواسطة الطبقة الأرستقراطية، والتي تشكّل هذه الأخيرة الطبقة العليا للجهاز السياسي⁴، ويُستنتج من خلال هذا أنّ المجتمع الجزائري إقطاعي.

تنفي لوسات فالنسي (Lucette valensi) عن المجتمع الجزائري الإقطاع، فالمجتمع الجزائري مجتمع متكوّن من خلايا اثنائية تعيش على نفسها، وليس منقسم إلى طبقات، وأنّ الفلاحين احتفظوا بأراضيهم وأسلحتهم، والفائض الإنتاجي ضعيف جدّا، يستحيل أن يحدث تراكما في الإنتاج، وهذا في غياب طبقة العبيد، الركيزة المكوّنة لطبقات الإقطاع⁵، وترى أنّ النمط الإنتاجي السائد في الجزائر هو النمط الخراجي، ويؤكد سمير أمين أنّ هذا النمط هو الأكثر شيوعا الذي يسمّ التشكيلات الطبقيّة ما قبل الرأسمالية، وهو يربط بقاء الجماعة

¹ - عبد القادر جغلول: عالم اجتماع وباحث في التاريخ والانتروبولوجيا والتحليل النفسي، قدّم أطروحة دكتوراه حول (فرانز فانون) كما عمل أستاذا جامعيا في جامعة وهران، من أبرز المثقفين الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية، اشتغل كمستشار ثقافي برئاسة الجمهورية، توفي سنة 2010، أكثر تفاصيل أنظر: حفناوي بعلي، آفاق الفكر التاريخي في الخطاب الجزائري المعاصر، ط1، دار الأيام، عمان (الأردن)، 2020، ص251.

² - A.Djaghoul, la formation sociale Algérienne à la veille de la colonisation, la pensée, Paris, février, 1976, p63.

³ -A.Djaghoul, Op.Cit, p63.

⁴ -Ibid, p64.

⁵ -Ibid, p64.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

القروية بجهاز اجتماعي سياسي لاستقلال هذه الجماعة بواسطة اقتطاع الخراج¹، حين زار كارل ماركس² الجزائر سنة 1882م، واطّلع على كتاب كوفاليفسكي عن تاريخ الملكية، ودوّن عليه ملاحظات هامة بعد أن لاحظ الجهاز السياسي ونمط الإنتاج السائد في الجزائر.

يأخذ عبد القادر جغلول، بعض من نمط الإنتاج العتيق الذي تبنّته لوسات فالنسي في أطروحتها عن الجزائر، ويؤكد أنّ الإنتاج الزراعي في الجزائر يفوق بصورة كبيرة الضروريات الخاصة بإبقاء المنتجين الفلاحين على قيد الحياة، والأرياف كانت تنتج كمية كبيرة من الحبوب، وتربية الماشية تعتبر ذات أهمية كبيرة لهم.

يشير إلى نقطة ثانية وهي أنّ الشكل العتيق للملكية الخاصة كان لا يزال موجودا، وهو عدم إمكانية التصرف في الأرض من جهة، ومن جهة أخرى على صورة العائلة كأساس لتنظيم العمل والاستحواذ على الإنتاج³، ويوجد شكل آخر من الملكية وهو قديم جدًا إلاّ أنّه تطور بشكل كبير قبل نهاية الحكم العثماني بالجزائر، وهو الشكل المبني على التعارض بين العامل (الخماس) والمالك.

في المدينة والمراكز الحضرية فإنّ ملكية الأرض تُشكّل مركز الصراع الاجتماعي الذي تُطعّمه المنافسة التجارية والحرفية حسب محمد الطيبي؛ حيث قال: "إنّ الأرض بالنسبة للاقتصاد الحضري كانت مخرجا من حدودية الاستثمار التي يعانيتها التجار الأثرياء، الذين يضطرون إلى كنز الأموال بعد أن تُشبع حاجاتهم من الأراضي⁴، ويرى هذا الأخير أنّ الوضعية الاستثمارية أقحمت عنصر الأرض كعامل للاستثمار الرأسمالي أو صرفه في الترف والبخ⁵.

¹ - سمير أمين، المرجع السابق، ص15.

² - ولد ماركس سنة 1818م في بروسيا بألمانيا، نال شهادة الدكتوراه سنة 1841م، وألّف عدة كتب أهمها الاقتصاد السياسي والمسألة اليهودية (1844م)، وأهم مؤلفاته "رأس المال"، الذي صدر سنة 1867م، ضمّ عدة أجزاء كبيرة الحجم، قدم إلى الجزائر وطالع كتاب صديقه الروسي ماكسيم كوفاليفسكي، الذي صدر بموسكو سنة 1879م.

³ - عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص32.

⁴ - محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات، ط1، دار ابن النديم، الجزائر، 2009، ص130.

⁵ - المرجع نفسه، ص130.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

إنّ هذه الوضعية المالية والتنافس على الأرض قرب الحواضر والمدن والتي تُدعى "الحَفْص" أو " الحُوْز"، شكّل نوع من البرجوازية المرتبطة بالأرض قرب هذه الحواضر، وبناء دور أو مساكن للاستجمام الصيفي، خصوصا قرب الحواضر الكبرى مثل: تلمسان، ندرومة، معسكر، مستغانم، مازونة، ومدينة الجزائر... الخ، تقيم فيها هذه الطبقة البرجوازية، ويكون فيها الخمّاس عنصرًا مهمًا في خدمة الأرض، وقد أورد عبد القادر جغلول في مقاله حول التشكيلة الاجتماعية في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي تقريرًا رسميًا فرنسيًا حول الأرض قرب مدينة مستغانم بعد دخول الفرنسيين إلى المدينة، وهذا ما جاء فيه: " تسقي الينابيع الوفيرة، والآبار، والصهاريج والسواقي (جمع ساقية)، على ضفاف الوديان تنتشر أنقاض المساكن والحدائق وأشجار الكروم، في حدود ثمانية آلاف هكتار"¹.

إنّ العودة إلى نمط الإنتاج العتيق حسب عبد القادر جغلول، فهو لا يفسّر نشاطات حضرية، وهي التجارة والحرف، فقد عرفت تراجع كبير في القرن التاسع ميلادي، غير أنّها عرفت نهضة كبيرة في القرن الرابع عشر²، لقد رجّح عبد القادر جغلول نمط الإنتاج الآسيوي، لكن هذا النمط يعتمد على السقي بصورة مكثّفة، وتدخل الدولة المركزية في إنشاء وتصريف هذا الرّي، وهذا ما يعترض قبول نظرية الإنتاج الآسيوي، لتذبذب كمية التساقط في الجزائر، وكثافة التساقط في حالي الهند والصين.

إنّ الجزائر لم تعرف أسلوب انتاج (نمط) واحد، فعبد القادر جغلول لا يتبنى نمط الإنتاج الآسيوي، بل يرى أنّه يحدّد مميزات التكوين الاجتماعي الجزائري قبل الاستعمار الفرنسي، ويوضّح المعلومات التجريبية التي لنا فيها معلومات جزئية³.

فالمدينة الحضرية الجزائرية خلال العهد العثماني يوجد على رأس كل حرفة أمين نقابة، منتخب، ويتلقى الموافقة من السلطة الحاكمة عبر وسيط وهو المُحتسب أو شيخ البلد، ويكون أمين الحرفة تحت سلطة شيخ البلد مباشرة.

¹ - Abd el kader djaghloul, Op.Cit, p81.

² - عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص33.

³ - المرجع نفسه، ص40.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

بالاعتماد على دفتر التشریفات المُتَرَجَم جزئياً من اللغة العثمانية إلى اللغة الفرنسية من قبل ألبير دوفكلس Albert Devoulx، أنّ شيخ البلد- بغض النظر عن ازدواجية المهام لشيخ البلد أو ثنائية شيخ البلد، كان يسهر على مراقبة الحرف والصنائع داخل المدينة، والبَتّ في النزاعات والخلافات التي قد تطرأ بين الحرفيين، إضافة لذلك يجب عليه أن يتقن اللغة العربية ومعرفة العادات المحلية حتى يكون واسطة بين الرعية والحكام الأتراك العثمانيين¹، ويكون على اتصال مباشر مع السلطات الحاكمة؛ لكي يستمع لانشغالات أمناء الحرف، ويتلقى الأوامر من السلطة الحاكمة لتنفيذ القوانين الصادرة في حق الحرفيين، ويتسلّم من أمناء الضرائب الرسوم ليودعها في الخزينة المالية كل شهرين².

إنّ التركيبة الاجتماعية للنقابة الحرفية تشكل نوعاً من العائلة الموسّعة، حتى ولو لم يكن أعضاؤها تربطهم رابطة القرابة بالدم، وهذا ما كان يمثل بالنسبة لسكان المدن وخاصة مدينة الجزائر³، إذ كان يشكل تضامن عضوي بين أفراد الحرفة الواحدة.

نقل الباحث بلبراوات في أطروحته عن الريف الجزائري في العهد العثماني، قيّم النقابة الحرفية والشعائر التي تمارسها، نُلَخّصها في ما يلي:

- العمل على إشباع مطالب وحاجات المعيشة.
- غياب الصراع الاجتماعي والاقتصادي داخل النقابة الحرفية.
- سيطرة القيم الإسلامية داخل النقابة الحرفية.

أمّا الشعائر التي تردّها الجماعات الحرفية:

- التوقّف عن العمل داخل الورشات الحرفية في مواعيد الصلاة خلال كل صلاة، والتوجّه إلى المسجد أو الجامع القريب لإقامة الصلاة.
- احتفال كل جماعة حرفية بالعيد السنوي (الوعدة) للولي الصالح الذي تنتسب إليه.

¹ - بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، (2007-2008)، ص171.

² - المرجع نفسه، ص171.

³ - المرجع نفسه، ص183.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

- ترديد الأدعية، والأذكار القرآنية، والأقوال السجعية، ويبدأ ب: يَا فَتَّاحُ يَا رَزَّاقُ، أَلْعَمَلُ عَلَيْكَ وَالشَّهَادَةُ، وَالطُّلُبَةُ فَيْكَ يَا رَبِّي. وَحِينَ الدُّخُولِ إِلَى الْأَسْوَاقِ يُرَدِّدُونَ وَهُمْ يَطُوفُونَ عَارِضِينَ بَضَائِعَهُمْ: يَا رَبِّ مَنْ يَسْتَفْتِحُ يَرْبِحْ، وَمَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ يَسْعُدْ وَيَرْبِحْ¹.

المبحث الخامس: أسباب انكماش الصناعات الحرفية.

فساد أمناء النقابات: أصبح أمناء النقابات همهم الوحيد التقرب من السلطة الحاكمة بكل الوسائل المتاحة، عبر شيخ البلد وكما ذكرنا سلفا، أنه من مهامه الإشراف على المهن وتنظيمها ومراقبة الموازين والماكييل، بتكليف من الباي، وقد زاد الوضع سوءا، ولم يعد الأمناء يُعيرون أدنى اهتمام المواصفات ومتطلبات المهن، وفي أواخر العهد العثماني لم يكن الوصول إلى أمانة النقابة بالخبرة والكفاءة والمعرفة الفنية للحرفة، بل أصبح بالرشوة وشراء المنصب للذي يدفع أكثر من الأموال².

المنافسة الأجنبية: عرفت الصناعات الجزائرية المحلية منافسة شرسة من السلع والبضائع المستوردة من تونس، الأناضول، أوروبا، والمغرب... فقد ذكر ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، أن تلمسان كانت في أوائل العهد العثماني تشمل على أكثر من 500 مهنة لصناعة النسيج والجلد والحديد، وأصبحت في أوائل القرن التاسع عشر مخزنا للبضائع الآتية من فاس وجبل طارق³، أمّا ما عرفته زرابي قلعة بني راشد من تذبذب في الإنتاج في القرن التاسع عشر وخاصة مع بداية الاحتلال الفرنسي، وذلك راجع حسب لوسيان بوني (Lucienne Bonnet)، عن تعمّد السلطات الاستعمارية الفرنسية في دحر هذه المهنة، والاستغناء عن الصبغة الطبيعية سنة 1876م، والمنافسة الخارجية لها؛ حيث أُستوردت الزرابي من المغرب لجودتها⁴.

¹ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص183.

² - ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص64.

³ - المرجع نفسه، ص63.

⁴ - L. bonnet, Op.Cit, p.p.37.38.39.

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

أمّا القبعات الجزائرية فعرفت منافسة شديدة من القبعات الآتية من تونس، الأناضول، وأصبحت الشاشيات الحمراء تغزو أسواق الجزائر، وهذا راجع لتفضيل الأتراك العثمانيين لهذا النوع من الشاشيات.

تراجع دخل النقابات من الحرف المتوارثة أباً عن جدّ: وهذا راجع لغلاء المادة الأولية، وضعف المستوى المعيشي للسكان، واستغنائهم عن بعض الحاجات ما عدا الأساسيات، نتيجة الجفاف، والأوبئة، وانعدام الأمن نتيجة الحروب، وهجمات البدو على سكان الحواضر.

الاعتماد على العمال الأجانب في الصناعات الأساسية والمهمّة: كصناعة الأسلحة والبارود، وصناعة السفن، وصناعة الحلّيّ والصياغة، والزجاج، كان الأسرى الأوربيون هم الذين يتولون صناعة الأسلحة وبناء السفن، أمّا اليهود فسيطروا على صناعة الحلّي والذهب والفضة، أدى هذا الاعتماد على الأجانب واليهود إلى عدم اكتساب الجزائريين الخبرة اللازمة لهذه الصناعات المهمّة¹.

نستنتج ممّا سبق أنّ الجزائر عرفت في العهد العثماني، خاصة بايلك الغرب الذي هو موضوع دراستنا، عدة صناعات وحرف متنوعة، وذات جودة معروفة على مستوى المنطقة المغاربية، وفي الحوض الغربي للمتوسط، وكان التكامل بين الريف والمدينة بارزاً في هذه الفترة، ك شراء المادة الأولية وبيع المنتجات الحرفية الجاهزة، ورغم هذا النشاط فقد تذبذبت الصناعة الحرفية خاصة في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، نتيجة متغيرات اجتماعية، واقتصادية، وأمنية، وقد ركزنا على حرف بعينها، وهذا لا يعني أنّه لا توجد حرف أخرى عرفها بايلك الغرب.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 65.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: التجارة الداخلية:

1- الطرق والمسالك.

2- الأسواق في بايلك الغرب.

3- المكايل والموازن المستعملة في الأسواق.

المبحث الثاني: التجارة الخارجية.

1- الطرق الرئيسية الكبرى.

2- نطاقات التعامل التجاري لبايلك الغرب الجزائري.

3- التجارة الخارجية لبايلك الغرب من خلال وصف بعض الرحالة الأوروبيين.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: التجارة الداخلية:

إن الواقع الإقتصادي من تاريخ الجزائر العثمانية، كانت له آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على الأحداث السياسية والنظم الإدارية وكذا الوضعية الاجتماعية، حيث لا يمكن التعرض لهذه الجوانب كلها إلا بعد دراسته، ومن هذا المنطلق ارتأينا الخوض في موضوع التجارة الداخلية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م، محاولين التركيز على أهم مرفق حيوي آنذاك وهو السوق الذي لا تقتصر أهميته في كونه مجالا لتبادل السلع بل يعكس التفاعل الاجتماعي بين مختلف العناصر، كما تطرقنا لمختلف أنواعه جغرافية كانت أو زمنية، متناولين أهم السلع المعروضة للبيع وأهم العملات المتداولة كما عرجنا على أهمية الطرق والمسالك في تنشيط الحركة التجارية في بايلك الغرب.

1-الطرق والمسالك:

أ-الطرق التجارية الرئيسية:

الخط السلطاني: الجزائر-وهران:

يندرج هذا الخط ضمن طريق الشمال الداخلي الذي يصل مدن بايلك الشرق "قسنطينة، ميله، عنابة"، بمثيلاتها في بايلك الغرب "مازونة، معسكر، وهران، تلمسان"، هذا ما جعله يشكل أساس الطريق السلطاني في قسمه الغربي الواصل بين مدينة الجزائر ووهران، الطريق يساير في اتجاهه العام المسلك القديم لطريق التل العابر لمقاطعات نوميديا وموريتانيا السطايفية وموريتانيا القيصرية في العهود القديمة، الواصل بين القيروان وتلمسان في فترات الحكم الإسلامي، كما أنه يشكل اليوم أساس الطريق الدولي الرابط بين تونس والمغرب الأقصى¹.

ينطلق في قسمه الغربي المتجه من مدينة الجزائر إلى وهران، فيخرج من باب عزّون ثم يتجه نحو عيون الربط وهي ثلاثة تقع بالموضع المعروف بمنزل المحلة أي ساحة "أول

¹ -سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2009، ص 449.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

ماي" حاليا، ثم يتجه نحو مرتفعات الساحل فوادي الكرمة ومنه إلى حوش باي الغرب بمتيجة¹، ثم يسير نحو وادي العلايق ويستمر إلى بوفاريك قرب واد مزفران².

وقد اختلفت المصادر حول طوله ومدة السير عليه، وذلك راجع لعاملين؛ أولهما تغيير خط سير الطريق من فترة إلى أخرى نتيجة تأثير الأوضاع الأمنية، والثاني يكمن في وسيلة المواصلات، وفيما يلي جدول يبين المسافات حسب بعض المصادر:

المصدر	المسافة بين الجزائر ووهران
هايدو ⁴	60 فرسخ ³
باراديه ⁵	50 مرحلة حتى معسكر
بوتان ⁶	80 فرسخ

طريق مازونة تلمسان:

يمتد الطريق من مازونة إلى قرية البطحاء الواقعة بسدّار مينا، ليصل إلى قرية بني راشد التي بها حامية عثمانية ثم قرية البرج التي تبعد عن معسكر بنحو ساعة، ومن الأخيرة يتجه الطريق نحو الجنوب الغربي ليمر بوادي الحمام، ومنه إلى قبة سيدي عبد القادر الجيلاني، ثم قرية سيدي لحسن ناحية "سيدي بلعباس"، ويتم المرور بوادي مكرة، ومنه إلى

¹ -سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 449.

² -NacerddineSaidouni, l'Algérois rural à la fin de l'époque Ottoman 1791-1830.Beyrouth, Dar ElGherb al islam, 2001, p234.

³ - الفرسخ هو وحدة قياس مسافة تعادل ستة كيلومترات، ينظر: دلي ولفرد جوزيف، العمارة العربية بمصر في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي، تر محمود أحمد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 11.

⁴ - Diego de Haédo, de la captivité à Alger, traduction Moliner Voidle, Alger, typographie Adolphe Jourdain,1911, p287.

⁵ - Venture de Paradis, Alger au 18^{ème} siècle (1785-1790) ; mémoires, notes et observations d'un diplomate-espion, présentation par Abderrahmane Rebahi, Alger, édition grand Alger livre,2006, p35.

⁶ - واذان بوغوفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2009، ص 64.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

قبة سيدي خالد ليتم الوصول إلى اولاد ميمون والعبور بوادي الحلو، حتى جبل مليح ثم تلمسان¹.

طريق تلمسان فاس:

ينطلق الطريق باتجاه المغرب فيخرج من مدينة تلمسان عبر باب فاس، ليسير في سهول تلمسان حتى واد الزيتون لمسافة ثلاث مراحل، ثم العبور بواد التافنة على بعد مرحلة ثم يعرج الطريق نحو قصر الباي بجانب واد المالح ثم يتم العبور بترارة، ومنها السير إلى وجدة التي تقع على بعد خمس مراحل من ترارة².

وقد وصف البكري هذا الطريق وعدّ مراحل بقوله: "...ومن تلمسان إلى وجدة ثلاث مراحل فمن تلمسان إلى الحمّة ومن الحمّة إلى قرية تسمى الشهباء، ومنها إلى وجدة ... وعلى طريق وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب"³.

ب- المسالك الجهوية والريفية:

من المتعارف عليه هو تواجد القرى بضواحي الحواضر العمرانية مشكلة أحواز المدينة وأحراشها، لذلك نجد طرق فرعية تصل النقاط الإستراتيجية الواقعة في المدن بنظيراتها في الريف ونظرا لأهميتها في العملية التجارية نتطرق لذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

¹ - مشرفي جميلة، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في (التاريخ الحديث)، جامعة مصطفى اسطمبولي، الجزائر، (2017-2018)، ص ص 94-95.

² - Desfontaine L.R, fragment d'un voyage dans les régences de Tunisie et Alger fait de 1783 à 1786, Paris, Dureau de la male, 1838, p176.

³ - البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 88.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

طريق وهران – معسكر:

يتمد من مدينة وهران مروراً بالكرمة، ثم تلييلات وسيق، ثم وادي الحمام¹ ليتجه بعدها نحو الأعلى عابراً ثلاث سلاسل جبلية "جبال بني شقران"، ليتم الوصول إلى معسكر حيث تقدر المسافة بـ 26 مرحلة²، في حين قدرها دي فونتان بـ 18 مرحلة فقط³.

يتفرع الطريق إلى مسلكين عند مشرع حسين، أحدهما يسير عبر المرتفعات والآخر يتجه نحو تيفرورة، ثم يمر بسيدي علي بن احمد، فخروبة الصيادة، لينزل بقرية الكرط⁴، حتى يدخل مدينة معسكر⁵.

2- الأسواق في بايلك الغرب:

يعتبر السوق من المرافق الحيوية والضرورية لأي مجتمع ولا تقتصر الأهمية في كونه مجالا لتبادل السلع والمنافع بل أنه يعكس ذلك التفاعل الاجتماعي بين عناصر مختلفة، والأكثر من ذلك يعكس الحالة الاقتصادية للمنطقة والمستوى المعيشي لسكانها كما يعكس ذلك المزيج ويجسده في مجموعة بشرية اجتمعت في مكان معين بغرض البيع والشراء لإنماء علاقاتها التجارية.

لقد تنوعت الأسواق في بايلك الغرب الجزائري من ريفية وحضرية، ومتنقلة جغرافياً، ومختلفة زمنياً، يومية إلى أسبوعية وحتى سنوية، كما تنوعت مرافقها من دكاكين، فنادق، وسويقات، واختلفت العملات بها وحتى الأسعار، المكابيل، الأوزان، والمنتجات.

¹-الزياني ابن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تح المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 245.

²- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان "1830-1855م"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 138.

³-Desfontaine L.R, op-cit, p186.

⁴-الزياني ابن يوسف، المصدر السابق، ص 245.

⁵-GorguosA, Histoire d'un Bey de Mascara et de l'Oranie, Mohamed Ben Osman dit Mohamed El Kabir, Edition grand Alger livres, V3, Alger, 2006, p 21.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

أ- الأسواق الريفية:

الأسواق في الريف كانت أماكن عمومية تقام في مواضع يتفق حولها وتكون عادة ملائمة لأكثر من يقصدها، تجتمع فيها قبائل مختلفة لبيع سلعها ومواشيها، ويقصدها الناس من الأرياف وحتى المدن، بذلك يشكل السوق نقطة لقاء ما بين الجبل والسهل على مستوى تبادل المنتجات مما يعكس العلاقة التكاملية التي سادت بين هذه المناطق.

فالسوق في الريف كان فضاءً يوفر للقبيلة ما كانت تحتاجه من حبوب ومواشي ومواد مصنعة ونصف مصنعة والمواد الأولية¹، من هذه الأسواق نذكر:

سوق قلعة بني راشد:

كان سوق القلعة ينعقد كل يوم سبت²، كونه محرّم على اليهود ممارسة أي نشاط فيه، لذلك تخلوا القلعة من أي دار ليهودي³، وكانت العادة أن تقام الأسواق في الفترة الصباحية⁴.

بالنسبة للمواد التي كانت تباع في هذا السوق نذكر:

الحبوب، الخضر، الفواكه، الحطب، اللحم، المواشي، الصوف، الكسوة، الزّرابي، الكتّان، القهوة، السكر، الصّابون، الزيت، السّمن، العسل، الأسلحة، الأحذية، إضافة إلى منتجات الحرفيين كالأواني الفخارية والملابس الصّوفية، غير أن الأنعام لم تكن تباع في هذا السوق نظرا لعدم ملائمة الأرضية لهذه الحيوانات.

أما عن مكان إقامة السوق، فإنه كان يتم بالساحة المركزية قرب دار الشيوخ وهي إحدى أحياء القلعة الأربعة: دار الشيخ، رأس القلعة، الشيوخ، وفرقة الكركوري⁵.

¹ - دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792-1830)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث)، جامعة وهران، الجزائر، (2019-2020)، ص ص 162-163.

² -بوركبة محمد، "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عامر بن عثمان القلعي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد الأول، 2003، ص 116.

³ -المرجع نفسه، ص 111.

⁴ -Saidouni Nacerddine, op-cit, p 227.

⁵ -بوركبة محمد، المرجع السابق، ص 116.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

عوامل ازدهار سوق القلعة:

الموقع الجغرافي:

القلعة تتوسط مناطق عديدة أهلة بالسكان خاصة على الطريق الرابط بين معسكر ومازونة، كما تتوسط منطقتين اقتصاديتين متكاملتين تتمثلان في المناطق الرعوية من جهة وسهول غريس الخصبة من جهة أخرى¹.

ارتفاع الكثافة السكانية بها:

كانت منطقة عامرة بالسكان الذين يحتاجون إلى سوق لاقتناء حاجياتهم الضرورية ولكي يسوّقوا فائض الإنتاج عندهم وليستثمروا في الحرف التي توارثوها عن أجدادهم، حيث تشير بعض الدراسات أنّ سكان القلعة كانوا أكثر عددا من المناطق المجاورة لها²، كما استقطبت الجالية الأندلسية التي ساهمت في تطور المجال الثقافي والاقتصادي بالمنطقة.

توفر الحرف:

عرفت قلعة بني راشد خلال الفترة العثمانية ازدهار الحرف والصناعات التقليدية، وفي ذلك يقول حسن الوزان: "تشمل حوالي أربعين دارا للصناعة"³، هذه الحرف نمت وتطورت باستقرار بعض الأسر الأندلسية بالمنطقة، حيث ظهرت ورشات لصناعة الصابون من مادة الرماد⁴، وأهم منتج عرفته المنطقة هو الزّربية حيث اكتسبت العائلات القلعية خبرة مهنية في

¹ - عليو محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن 18 وبداية القرن 19 "1830-1701"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في (التاريخ الحديث)، جامعة معسكر، الجزائر، (2008-2009)، ص 92.

² - بن صحراوي كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في (التاريخ الحديث)، جامعة وهران، الجزائر، (2013-2014)، ص 114.

³ - الوزان حسن، وصف إفريقيا، ط2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2، 1983، ص 26.

⁴ - بوركية محمد، المرجع السابق، ص 116.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

صناعة الزّرابي والأقمشة الصوفية التي توارثتها أبا عن جد، إضافة إلى صناعة الأسلحة، السروج، والبرانس¹ ذات اللون الأسود التي كانت مشهورة في كل أنحاء الجزائر².

سوق مدينة مازونة:

كانت مدينة مازونة تعقد سوقها كل يوم سبت، تباع فيه المنتجات الصّوفية والقطنية إضافة إلى مواد زراعية وحيوانية، وأخرى مصنّعة، كانت أهميتها التجارية تكمن في قربها لمدينة مستغانم، إضافة إلى ذلك فالوظائف التجارية للمدينة مرتبطة بصفة متينة بالظروف الطبيعية الممتازة التي جعلت المدينة تتّصف بهذه الوظائف، فهي ذات طابع تجاري واقتصادي بالدرجة الأولى³.

ب- الأسواق الحضرية:

أسواق مدينة تلمسان:

يعتبر سوق مدينة تلمسان، أهم سوق على مستوى البايك نتيجة وقوعه على المحاور التجارية الكبرى، حيث أن العملية التجارية كانت تتضمن منتجات فلاحية مقابل مواد مصنعة أوروبية أو مغربية وكذا صحراوية.

هكذا استفادت المدينة من موقعها على ملتقى الطرق كالتّي تأتي من فاس باتجاه وهران، وتلك التي تأتي من الصحراء وتنتهي عند إحدى موانئ المنطقة نذكر منها: هنين، الغزوات، مستغانم، رشقون، ثم المرسى الكبير ووهران بعد استرجاعهما⁴.

أكد يحيى ابن خلدون أن سوق "أجادير" بتلمسان، كانت تباع فيه مختلف السلع والبضائع يوميا، بالإضافة إلى سوق يومي آخر يدعى سوق "منشار الجلد"⁵، الذي كان موضعه قرب جامع ابن البناء، اشتهرت الأسواق بتلمسان بوجود ثلاث طوائف من

¹ -الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في (التاريخ الحديث)، جامعة الجزائر، الجزائر، (1993-1994)، ص 50.

² - خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تق محمد العربي الزبيري، الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 59.

³ -الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 77.

⁴ - نفسه، ص 37.

⁵ - ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، 1982، ص 37.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الصناع: الدباغين الذين يشتغلون على جلود الحيوانات، الخرازين الذين يصنعون الأحذية من الجلد والتي صارت تصدر شرقا ناحية ملوية لشهرتها، والسراجين أي صانعي السروج التي كان بعضها يطرز بأسلاك الذهب والفضة، بالإضافة إلى سوق يومي آخر يدعى سوق "الغزل"، الذي كان يوقر الصوف للصناعات التي تستخدمه كمادة أولية، فلقد اتصفت مدينة تلمسان بحركة تجارية مكثفة حيث تتردد على أسواقها كل القبائل المجاورة من منطقة ندرومة وجبال ترارة¹.

كان يتحكم في أسواق تلمسان تجار الجملة من الحضر، الكراغلة، العثمانيين، اليهود، والفاسيين، حيث انصفت المدينة بحركة يومية واسعة للنشاط التجاري إذ كانت المنتوجات توجه نحو أغلب مدن بايلك الغرب وإلى دار السلطان، وما يلفت الانتباه أن قابض ضريبة السوق بمدينة الجزائر كان يأخذ على قافلة تلمسان دينارين لكل حمولة، ويأخذ ثمانية وخمسين على قافلة بني عباس، وذلك لأهمية الحمولة، وفي المقابل كانت تقصد تلمسان قوافل تجارية قادمة من بلاد السودان الغربي مارة بسجلماسة، تافيلالت، وجدة، وفاس، حاملة العاج، الذهب، والعبيد، مقابل مواد مصنعة وكتب كانت رائجة بأسواق تلمسان، كما لا نغفل أن الأخيرة كانت منطلق القوافل التجارية باتجاه الصحراء مارة بتافيلالت وتمبوكتو².

أسواق مدينة معسكر:

لقد ساهمت الروابط الموجودة بين مدينة معسكر والمناطق الريفية المجاورة لها في انعقاد أسواقها بشكل شبه يومي، أيام الجمعة، السبت، والأحد، إضافة إلى سوقها الأسبوعي، الذي كان ينتظم عند مدخل بابا علي، تعرض فيه مختلف المنتجات، كالبارود، وقشور الرمان لحاجة الدباغين إليها، ولوازم الحياكة، والتوابل، واللحوم.

لأهميتها التجارية، أصبحت مدينة معسكر مقصدا للتجار من مختلف النواحي، حيث يذكر بياس لويس Piesse Louis، في كتابه تاريخ الجزائر: "أن مدينة معسكر كان يقصدها

¹ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص 70.

² - بليرافات بن عتو، "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجليلي اليابس، العدد 1، 2009، ص ص 80، 81.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

التجار، يفدون إليها من ثلاثين منطقة، وأن سوق مدينة معسكر كان ذا أهمية، حتى امتدت علاقتها التجارية إلى أعماق إفريقيا".

أمام تزايد عدد التجار الوافدين إليها من المناطق الريفية المجاورة والبعيدة، قام الباي محمد الكبير ببناء فندق جديد إلى جانب الفندق القديم، خصّص أحدهما للتجار الوافدين من المغرب وتلمسان، بينما خصّص الثاني لإيداع السلع والبضائع.

تجمع المصادر على أن أسواق منطقة معسكر، كانت تتوفر بها أفضل المنتجات وأجودها كالحبوب، والصوف اللذان خصص لهما سوقا مغلقا بمركز المدينة، كما وفرت الورشات الحرفية للمدينة والقرى المجاورة لها أجود البرانس ذات اللون الأسود "الزغداني" وأفضل أنواع الزرابي والسجاد التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في الأسواق الخارجية كمصر وتركيا، والمشرق، كما أنها نافست منتجات بايلك الشرق.

تجدر بنا الإشارة إلى أن موقع مدينة معسكر كان له الأثر الكبير في تنشيط الحركة التجارية، فكانت تشملها قافلة الحجيج التي تنطلق من مدينة سلا بالمغرب، ثم وجدة، فتلمسان، مروراً بمعسكر، تأتي محملة بمختلف السلع كالحايك، الحلي الفضي، التبر وغيرها من المنتجات¹.

أهمية الأسواق في بايلك الغرب فترة الاحتلال الإسباني:

لقد تعددت وظائف السوق بحكم الأهمية التي أوليت له منذ نشأته، فبغض النظر عن دوره التجاري ونظراً للأهمية الكبرى التي خصته بها السلطة العثمانية عموماً وبايلك الغرب خصوصاً، فقد كان معظم الأحيان مركزاً للتشهير وملجأً للفارين وموضعاً لإجراء المناظرات فيه، كما اكتسب طابعاً سياسياً باعتباره مركزاً للأخبار والاشاعات ومجالاً للتنافرات السياسية، وعليه فالأسواق بالجهة الغربية من الجزائر كان لها دور مهم بالنسبة للسلطة العثمانية، حيث كانت تشجع إقامتها في المناطق الخاضعة للمخزن وذلك للاستفادة من مواردها المالية وكذلك مراقبة القبائل غير الخاضعة لها، إذ كانت تستخدم الأسواق

¹ - عليو محمد، المرجع السابق، ص 68.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

لمحاصرة القبائل الخارجة عنها اقتصاديا بمنعها من دخول السوق، ومنع القبائل الأخرى من عقد مبادلات تجارية معها، خاصة في الأسواق الأسبوعية لفرض نفوذها.

كما كان للأسواق مهمة سياسية زيادة على دورها الاقتصادي، حيث عمل الباي محمد الكبير، بعد قيام رباطات الطلبة قرب وهران لتحريرها، على تقريب الأسواق منهم فأصدر قرارا يمنح بموجبه إقامة الأسواق على طول المنطقة الممتدة من وادي مينا قرب غليزان شرقا حتى أحواز تلمسان غربا، وأمر بإقامتها قريبا من وهران ليتمكن الطلبة من شراء مستلزماتهم دون اللجوء إلى أسواق بعيدة¹.

3- المكايل والموازين المستعملة في الأسواق:

لقد كان لأسواق بايلك الغرب الجزائري مكايل وموازين معينة يتم التبادل والتعامل بها في المنطقة على اختلاف أنواعها.

المكايل:

الصاع: وهو من المكايل المستعملة لكيل الحبوب والملح وبعض المواد الغذائية الأخرى، وهو يتراوح بين 48 كغ و150 كغ، حسب المواد والأسواق، وينقسم الصاع إلى النصف، الربع، والثلث.

القفيز: وهو مكيال ضخم خاص بالحبوب، نجد استخدامه شائعا وبشكل خاص في مجال التصدير إلا أننا وجدنا تضاربا في المصادر والمراجع التي تطرقت إليه حيث اختلفوا في تحديد قيمته بالضبط، فيذكر منور مروش أن القفيز يساوي 10.50 صاع جزائري ويساوي 650 لتر بالنسبة للبايلك، في حين يذكر دي بارادي Venture De Paradis، أن القفيز يساوي 14 كيلة بالنسبة للتجار العامة، و15 كيلة بالنسبة للبايلك².

المزورة: وحدة لكيل الحبوب، حددها منور مروش أنها تساوي ما بين 155 و160 لتر³.

¹ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص ص 140-141.

² - نفسه، ص ص 134-135.

³ - مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، الجزائر، دار القصة للنشر، ج.1، 2009، ص ص 408-411.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

القلة: تستخدم كوسيلة لكيل الزيت، تتراوح سعتها بين 12 و18.6 لتر.

المطر: وسيلة مستعملة لكيل الزيت، يساوي 20 رطل كبير أو 30 رطل عطاري أي 16.38 كلغ.

الأوزان:

الرطل: أداة موازنة تتكون من 14 إلى 28 أوقية حسب السلعة، والرطل أنواع هي: الرطل العطاري، الرطل الصياغي، الرطل الحضاري، الرطل الكبير.

القنطار: وهو ما يشتق عن الرطل ونجده في ثلاث أنواع منه القنطار العطاري يساوي 54.608 كلغ، والقنطار الحضاري يساوي 61.434 كلغ، والقنطار الكبير يساوي 92.151 كلغ وهو مخصص للأوزان الثقيلة.

المثقال: وهو من الأوزان الصغيرة الخاصة بالأشياء الثمينة كالحلي مثلا.

القيراط: يستخدم في وزن الأحجار الكريمة يساوي 0.207 غ.¹

كان للتجارة الداخلية أهمية كبيرة في بايلك الغرب الجزائري، حيث عكست التفاعل الاجتماعي بين مختلف العناصر، وربطت بين المدينة والريف عن طريق الأسواق بمختلف أنواعها التي شكلت مرآة للحياة الاقتصادية وعنوانا لنشاطها الحرفي.

إنّ الظروف الطبيعية والتاريخية جعلت من بايلك الغرب يتوفر على شبكة هامة من الطرق والمسالك، كانت تصل معظم الحواضر العمرانية ببعضها، حيث لعبت دورا استراتيجيا في تنشيط الحركة التجارية بالإقليم.

إنّ تعدد العملات النقدية ببائلك الغرب ساعدنا إلى حد كبير في معرفة النظام النقدي للجزائر العثمانية وما مدى تأثير العملات الأجنبية على المحلية، إذ كانت الجزائر سوقا حرة لمختلف العملات خاصة المنطقة الغربية التي كانت أجزاء منها تحت الاحتلال الاسباني.

¹ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص ص 136-141.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

إنَّ ما تطرقنا إليه في دراستنا يبين جانب من جوانب الحياة الاقتصادية لبائلك الغرب وأخص بالذكر التجارة الداخلية التي لا تزال تعرف بعض الغموض لذلك المجال مفتوح أمام الباحثين للتعمق أكثر في الموضوع.

المبحث الثاني: التجارة الخارجية.

إن التجارة الخارجية تعتبر أحد أهم المفاتيح التي من خلالها يمكن أن نقرأ أو نقدم فهما للنمو الحضاري للمغرب الإسلامي ككل باعتبار الدور الواسطي الذي لعبه بايلك الغرب عبر أزمنة سابقة، فقد لعب أدوارا هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و18م، فيما يخص المبادلات والتفاعلات التجارية، إذ ساهمت مجموعة عوامل في ذلك تتمثل في انفتاح سواحل بايلك الغرب الجزائري على سواحل جنوب غرب أوروبا¹.

إشراف بايلك الغرب على واجهة بحرية كبيرة تضم عدة موانئ هامة: ميناء أرزيو، المرسى الكبير، وهنين وغيرها²، جعله يستقبل على غرار المواد التجارية، اللاجئين، القراصنة، الرحالة، ورجال الدين، فقد تركز عدد كبير من التجار في وهران وتلمسان من الإسبان والفرنسيين والإيطاليين، إذ ظلت تلمسان نقطة عبور بين تجار الشمال والجنوب³، الذي تنطلق منه القوافل بداية من السودان الغربي مرورا بسجلماسة وتافلايت ثم وجدة وفاس قاصدة هذه المدينة من أجل المنتجات التلمسانية مقابل العاج والذهب والعبود⁴.

التجارة الخارجية في بايلك الغرب خلال القرنين 17 و18م، عرفت ظروفًا خاصة، بحكم السيطرة الإسبانية على وهران والمرسى الكبير، من جهة أخرى مجاورته للمغرب الأقصى المتصارع مع العثمانيين، كل هذه الظروف وأخرى سنطرق لها بالتفصيل، كان لها الأثر الكبير في تبلور الحياة التجارية خاصة ما يتعلق بالتجارة الخارجية، إذ ساهمت مجموعة من العوامل في قيامها كالطرق والمسالك التي كانت وسيطا حيويا في العملية وكذلك الموانئ.

¹ - Fernand Braudel, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, routes ports et Trafics, tome1, Amand colin, Paris, 1951, p425.

² - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790-1835)، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1999، ص ص 288، 293.

³ - Ricard Prosper, L'artisanat indigène en oranie, quelque aperçus sur cette branche de l'économie algérienne, in B.S.G.A.O, 1939, p107.

⁴ - Ricard Prosper, Op.cit, p107.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الحركة التجارية في بايلك الغرب خلال القرنين 17 و18م، تميزت بصفة خاصة وذلك من خلال محاورها الرئيسية التي كانت تتم على النحو الآتي:

من الجنوب إلى الشمال: تتم عن طريق القبائل والقوافل التجارية التي تستعمل الجمال والحمير في الصحراء، وفي الشمال البغال والجمال وتسلك طرقا تختلف عن مثيلاتها في أوروبا وهي تنقسم إلى سلطانية وجهوية، والسلطانية هي الطرق التجارية الكبرى¹، ويوجد منها في بايلك الغرب²:

1- الطرق الرئيسية الكبرى:

طريق تلمسان فاس:

كان لهذا الطريق أهمية حضارية، ودور في تعميق الروابط التاريخية بين شعوب المغرب الإسلامي، لذلك من المهم جدا إبراز الخصائص التي ميزت هذا الطريق في القرنين 17 و18م، وذلك من خلال تعداد محطاته، وذكر الأوصاف التي خصه بها الجغرافيون والرحالة الذين زاروا بايلك الغرب³.

ينطلق الطريق باتجاه المغرب، فيخرج من مدينة تلمسان عبر باب فاس، ليعبر سهول تلمسان إلى أن يصل وادي الزيتون لمسافة ثلاثة مراحل، ليسيير في واد تافنة على بعد مرحلة، تقع على جانبي الطريق عيون ماء عذبة، ثم يعرج الطريق نحو قصر الباي بجانب وادي المالح، ثم يصل ترارة ومنها وجدة التي تقع على بعد خمس مراحل من ترارة⁴.

ومدينة وجدة التي قال عنها مارمول: "هي مدينة أسسها أهل البلاد في سهل جميل على بعد 14 فرسخ من البحر باتجاه الجنوب، وعلى نفس المسافة من تلمسان، وتحاذي في هذين

¹ -Venture De Paradis, Tunis et Alger au 18 siècle, mémoire et observation rassemble par joseph cuoq, édition sindbad, Paris, 1951, p120.

² - يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص ص90-112-91.

³ -Desfentaine, Op.cit, pp 176, 177.

⁴ -Ib.Id, pp 176, 177.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الجانبين غربا مغارة أنكاد، والمدينة كلها محاطة بالبساتين والحدائق التي تسقى من عين تقع أسفل القرية"¹.

وقد وصف البكري هذا الطريق، وعدّد مراحل بقوله: "ومن تلمسان إلى وجدة ثلاث مراحل، فمن تلمسان إلى الحمة، ومن الحمة إلى قرية تسمى الشهباء، ومنها إلى وجدة... وفي مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب"².

وعند مدينة وجدة تفترق الطرق، فمنها ما يتجه جنوبا نحو سجلماسة، ومنها ما يتجه غربا نحو فاس حسب ما ذكره البكري³، وقد يعرج الطريق من وجدة نحو الشمال ليقترّب من الساحل كمدن تبهرت، وهنين، حيث كان تجار تلمسان يذهبون إليها ليتعاملوا مع تجار البندقية، ثم يتحول الطريق نحو الداخل فيمر على مدينة ندرومة ليتجه إلى تلمسان⁴.

ومن وجدة إلى قصر تزكير⁵، الواقع على أعلى مرتفع يمر به نهر التافنة، كان محصنا بالحرس من طرف ملوك تلمسان، وفي عهد العثمانيين أقاموا به حامية عسكرية، ومنه يتم السير إلى حصن إيسلي⁶ الواقع على سهل محاط بالأسوار⁷.

يصف الحسن الوزان قصر إيسلي قائلا: "إيسلي قصر قديم، يسكنه رجال يعيشون على طريقة الزهاد المنقطعين، ويحظون باحترام كبير من ملوك تلمسان ومن القبائل المجاورة، وهم يقدمون الطعام مجانا لعابري السبيل..."⁸.

من الجنوب إلى الشمال: تتم عن طريق القبائل والقوافل التجارية التي تستعمل الجمال والحمير في الصحراء، وفي الشمال البغال والجمال وتسلّك طرقا تختلف عن مثيلاتها في

¹ - مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، تر محمد حجي آخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، ص294.

² - أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص88.

³ - نفسه، ص88.

⁴ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص ص 298، 294.

⁵ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص11.

⁶ - المصدر نفسه، ص10.

⁷ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص293.

⁸ - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص12.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

أوروبا وهي تنقسم إلى سلطانية وجهوية، والسلطانية هي الطرق التجارية الكبرى¹، ويوجد منها في بايلك الغرب²:

- الطريق العرضاني الذي يربط وهران بفاس مروراً بتلمسان ووجدة.
- الطريق العرضاني الأوسط الذي يربط وهران بتومبوكتو مروراً بأرزيو والخير ومشرية وعين الصفراء وفقيق، ولهذه الطريق فرع آخر في شرقه يبدأ من الخير إلى البيض ثم إلى الأبيض سيدي الشيخ وصولاً إلى توات.
- الطريق العرضاني الجنوبي، يربط وهران بالسودان الغربي مروراً بتلمسان وفاس وتافلات ومراكش.

من الشمال نحو الخارج: تتم عن طريق الموانئ التي كانت لها سيطرة على التجارة الخارجية ليس فقط على الجهة الغربية إنما كامل الجزائر أثناء العهد العثماني أي خلال القرنين 17 و18م، فعندما تسجل المنطقة الغربية 24 رحلة إلى ميناء ليفورنة الإيطالية، تسجل المنطقة الشرقية 18 رحلة فقط³، ولم تنقطع المبادلات التجارية عن طريق البحر، وقد تميزت بمرحلتين بالنظر إلى موانئ البايك:

مرحلة الإحتلال الإسباني لوهـران 1505-1792م: حيث كانت تلمسان مركزاً للتصدير والإستيراد عبر ميناء هـنين وميناء الغزوات ورشقون، نظراً لتوفر الأمن للسفن، فقد مثلت منتوجات الصحراء ما يقارب 1800 حمولة، أي ما يعادل 1800 جمل محمل بسلع مختلفة يتم تصديرها في اتجاهات مختلفة خاصة نحو إيطاليا⁴، إضافة إلى ميناء مستغانم الذي كان أهم نقطة للبيع والتوزيع بين البايك وفرنسا خاصة التجار المارسلين⁵.

مرحلة فتح وهران وتحريرها من قبضة الإسبان سنة 1792م: انتقلت عاصمة البايك إلى وهران، وتحولت الحركة التجارية إلى مينائها، خاصة مع إسبانيا التي كانت تعرف قيمة هذا

¹ - Venture De Paradis, Tunis et Alger au 18 siècle, mémoire et observation rassemble par Joseph Cuoq, édition Sindbad, Paris, 1951, p120.

² - يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص ص90-112-91.

³ - Fernand Braudel, ipid, p45.

⁴ - Venture De Paradis, ipid, p123.

⁵ - Norbet, Bel Ange, les juifs de Mostaganem, édition Harmattan, Paris, 1990, p55.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الميناء في حجم المبادلات التجارية العالمية، فقد قامت بتوسيعه ودعم رصيفه القاري وحفر العديد من المخازن في الجدران الصخرية ما بين 1786-1788م، لتخزين البضائع الموجهة للتصدير، إضافة إلى ميناء أرزيو الذي كان الميناء الرئيسي لتصدير حبوب باي معسكر، وقد عمل باي وهران سنة 1787م، على إقامة عدد من المخازن به¹.

وفي سنة 1779م، منع داي الجزائر ورفع الإستثناء على السفن الإنجليزية التي كانت تشحن حمولتين من القمح من ميناء أرزيو لتموين جبل طارق وماهون²، وكان يشحن سنويا 200 إلى 250 سفينة محملة بالحبوب لا تقل حمولتها عن 20000 إلى 30000 فنانق قمح في الأسبوع³.

2- نطاقات التعامل التجاري لبايلك الغرب الجزائري:

لقد تعامل بايلك الغرب الجزائري في تجارته الخارجية خلال القرنين 17 و18م، مع عدة نطاقات جغرافية مجاورة أو غير مجاورة، من الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

التجارة مع المغرب: "لقد كانت هناك تجارة بين الجزائر والمغرب، لاسيما بين بايلك الغرب الجزائري ومملكة فاس، فاتجاه الحركات التجارية التي كانت تنطلق من وهران وتلمسان كلها نحو المناطق الصحراوية المغربية خاصة تافيلالت، التي شكلت ولمدة طويلة مدينة هامة وملتقى للطرق التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب، أو العكس ونظرا لذلك فقد تميزت بظهور أرستقراطية ثرية⁴، ثم تتجه إلى تومبوكتو عن طريق الصحراء، والثانية إلى مدينة الصويرة باتجاه الأطلسي، حيث كانت صعبة ومهمة في آن واحد، وكانت قوافل وهران وتلمسان تتلقى من مدن سلى وطنجة وتيطوان سلعا أوروبية هامة، لتتجه بها مباشرة إلى داخل إفريقيا، كما كانت مدينة تلمسان تتلقى كميات هامة من الصوف والقطن والأقمشة

¹ -Roland Villot, Arzew sous l'occupation espagnol et la domination turque, in B.S.G.A.O, no74, 1951, p10-11.

² -Paul Masson, histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque 1560-1793, Hachette, Paris, 1909, p153.

³ -Rene Lespes, Oran ville et port avant l'occupation française, in R.A, no LXXV, 1934, p280.

⁴ - Renard Thomassy, le Maroc et ses caravanes, relation de la France avec cette empire, firmin didot, Paris, 1845, p73.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الحريرية لتموين المحلات الحرفية، علما أن هذه المواد الأولية كانت تنتشر في أعالي منطقة ملوية وذات نوعية رفيعة عن تلك القادمة من المغرب.

وبهذا ظلت أسواق تلمسان تتحكم في تجارة كميات كبيرة من القطن والتوابل والأقمشة والجلود مع الأخشاب والبنادق وريش النعام والعاج والعلك، وكانت تجلب هذه المواد من جبل طارق أو فاس عن طريق ممر تازة، أو ترسل من تافيلالت مقابل تصدير الإنتاج المحلي من الحبوب والبلاغي والزيت، ضف إلى ذلك الدور الذي لعبه تجار فاس كوسطاء بهذه المدينة إلى درجة أن الحكم المركزي على مستوى البايك لم يكن يتحكم في سوق المدينة، بل كان كل صفقاته التجارية تجرى تحت مراقبة تجار فاس¹.

التجارة مع الدول الأوروبية: "كانت تعيش دول أوروبا خلال القرنين 17 و18م، نزاعا فيما بينها نتيجة تضارب المصالح واختلاف النظم السياسية، ثم جاءت الثورة الفرنسية التي كادت تعمها جميعا، لذلك فإن عددا من هذه الدول ظلت تتقرب من الجزائر وتطلب وُدّها، وقد وجدت الجزائر في هذه المواقف الأوروبية فرصة لخدمة مصالحها فتؤيد هذا مرة، وتقف إلى جانب ذاك مرة أخرى إلى أن تضاعف الهدايا وتزيد في تنويعها².

لقد كان لحروب الثورة الفرنسية في أوروبا عدة انعكاسات اجتماعية تتمثل خاصة في انتشار المجاعات؛ الأمر الذي دفع بالدول الأوروبية إلى تأمين غذائها من الجزائر، ولأجل ذلك عملت على التوسع والانتشار واحتكار وسائل المواصلات البحرية، ما خلق نوعا من التنافس فيما بينها في تجارتها مع الجزائر³.

إن كلا من الدايات والبايات، كانوا الممثلين الحقيقيين وأسياد التجارة الخارجية في الجزائر بدون منازع خلال القرنين 17 و18م، وبالفعل فإن الباي محمد الكبير سنة 1790م، كان يشتري موزونة قمح من الفلاحين في الأرياف بـ 02 بدقة شيك، ويبيعها بـ 07 بدقة شيك، وشمع العسل بـ 60 بدقة شيك، ليتم بيعها بـ 163 بدقة شيك، وهكذا يجمع ثروة كبيرة

¹ -Albert Devoulx, recueil de notes historique sue l'administration de l'ancienne régence d'Alger , imprimerie du gouvernement, Alger, 1952, p33.

² - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830 ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 120.

³ - المرجع نفسه، ص80.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

يتقاسمها مع داي الجزائر وكبار ضباط الدولة العثمانية بدار السلطان¹، وحتى وان لم تجد السفن ما تشحنه فإنها إذا مرت بالسبخ بين وهران و أرزيو عمرت جوفها بالملح ويشتره الباي بـ 22 صولديا ونصفا للقنطار، وتذهب به إلى الجزائر ليبيع بـ 45 صولديا، والسفينة التي ترسو بميناء أرزيو تدفع 25 سكة جزائرية و 01% لقبطان المرسى².

إن أهم ما كان يصدره بايلك الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و 18م، في اتجاه الدول الأوروبية هو الحبوب خاصة القمح والشعير، ولو أن هاته ليست حديثة في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد عرف مستويات تصدير هامة عبر فترات تاريخية سابقة ومنذ القدم، إلا أن الشيء المميز للبايلك هو بلوغه ذروة التصدير بين سنوات (1741-1815م)، والاستثناء خاصة بين سنوات (1766-1803م)، وبين (1777-1779م)، التي عرفت ارتفاعا منتظما لأرباحه نتيجة تزايد الطلب عليه في الأسواق الأوروبية، حتي أصبحت تسمى هاته الفترة التاريخية بـ "عصر القمح"³.

لقد تحكمت في ذلك مجموعة عوامل تتمثل في طول فترة حكم الداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، التي تميزت بالرخاء والرفاهية واستفادة باياته في الشرق والغرب من ذلك من خلال تعيينهم لمسيرين أكفاء يسهرون على مداخيل الخزينة ويحافظون على الثروة التي جمعت⁴، ضف إلى ذلك دور الشركة الملكية الإفريقية التي انشأت سنة 1751م، والتي كانت تهدف بدرجة كبيرة إلى تصدير أكبر كمية ممكنة من الحبوب في اتجاه مرسيليا ومنها توزع على المناطق المحتاجة في فرنسا خاصة وأوروبا عامة، وإذا كان الداي هو الذي يبرم المعاهدات التجارية مع ممثلي الحكومة الفرنسية ويعين نوعية البضائع التي تشتريها الشركة الملكية الإفريقية فان هذه الأخيرة تفتنت ورأت من الضروري استمالة

¹ - VENTURE DE PARADIS, op.cit, p124-125.

² - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص175.

³ - LEMNOUAR, MEROUACHE, recherches sur l'Algérie a l'époque ottomane ,monnaies, prix et revenus 1520-1830, Edif, Alger, 2000, p177

⁴ - IBID, p 178.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

البايات على مستوى البايلاكات بالوسائل المختلفة ابتداءً من الملاطفة إلى تقديم الهدايا للباي والأعيان وبيع الأسلحة لقبائل المخزن لضمان حماية تجارتها¹.

وفي جميع الحالات فإن البايات شجّعوا زراعة الحبوب على مستوى البايلاكات، فمحمد الكبير باي وهران كان يعرض أكبر كمية للبيع، وأسس نظام القروض للفلاحين لإنعاش الإنتاج² وأنشأ مخازن بميناء أرزيو وكلف موظفين يشرفون عليه ويشترون نقدا كل كميات الحبوب المقدمة من طرف الفلاحين أو إعطائهم بعض الأشياء لبيعها في الأسواق³، ففي سنة 1808م، صرح بوتان في أحد تقاريره بأن كل من موانئ أرزيو ووهران والمرسى الكبير صدّروا نحو الخارج بمعدل سنوي يفوق 300000 كيلة حبوب وهذا يعني ثلث ما كانت تصدره الجزائر⁴.

إن المساهمة الكبيرة للحبوب في التعاملات التجارية لبايك الغرب مع دول أوروبا لم تدم طويلا، ففي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، عرفت تراجعا ولم يعد يعطى لها أهمية بسبب ظهور مؤشرات انعدام الأمن، وعدم الاستقرار في بايلك الغرب نتيجة تدخل الطرق الروحية كالدرقاوية والتيجانية، في تأليب القبائل ضد السلطة العثمانية، وكذلك انتشار الأمراض والأوبئة خاصة وباء الطاعون حيث أورد "دوغرامون"، أن هذا الوباء حصد بين شهر أفريل وجوان من سنة 1787م، حوالي 8065 شخص⁵، فأصبحت وهران مدينة شبه خالية ومنكوبة من جراء تفشي المرض، وإن كان هذا الوضع غير مرضي بالنسبة للبايك فإنه خدم أطرافا أخرى والدليل هو استمرار عمليات التصدير.

إلى جانب الوباء فقد عرفت الجزائر المجاعات نتيجة الجفاف كمجاعة سنة 1794م، التي أعقبها زحف الجراد حيث اختفت المواد الاستهلاكية من الأسواق وارتفعت الأسعار حتى أصبح الباشا يفرق الرغيف بين الناس في المدن فسمي بعام "خبز الباشا"⁶.

¹ -ERKUMENT KURAN, « la lettre du dernier dey d'alger au grand vizir de l'empire ottoman », in R.A,N° 96, p190.

² -VENTURE DE PARADIS, op.cit, p127.

³ - BERNARD CAPOPAL, Oran capitale du beylik de l'ouest 1792- 1831, édition alpha, Alger ,2012, p378.

⁴ -ROBERT TINTHOIN, mers-el kebir, librairie fouque, oran, 1952, p95.

⁵ -HENRI-DELMAS DE GRAMMONT, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830 (présenté: Lemnouar merouche), édition bouchene, Paris, 2001, p273

⁶ - الأغا بن عودة المزارقي، المصدر السابق، ص 360.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

لقد أدّت هذه الأوضاع المزرية بالدايات إلى إصدار أوامر للبايلكات بعدم تصدير الحبوب، فالباي محمد الكبير لم يتحصل على موافقة سنة 1798م لتصدير 10000 كيلة¹، إضافة إلى فتح مخازن الحبوب أمام هؤلاء الذين هددتهم الجوع، وفي هذا الشأن يذكر الآغا بن عودة المزارى: "حدثت بأول مملكة محمد الكبير بمعسكر مسغبة عظيمة هلك فيها أناس كثيرون، وبلغ بهم الأمر إلى أن أكلوا الميتة والدم والخنزير ولحم الأدمي²، كما امتنع البعض عن دفع الضرائب واستنجد الداي باللجوء لاستيراد قمح البحر الأسود".

1/التجارة مع اسبانيا: "عندما خرج الأسبان من وهران تفاوضوا مع إيالة الجزائر، وتمكنوا من الحصول على إذن يسمح لهم بإنشاء شركة مماثلة للشركة الملكية الإفريقية في عاصمة بايلك الغرب الجزائري تتولى التجارة وتحظى بنفس الامتيازات³، لأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من القمح نظرا لفقر بلادهم وتزايد عدد السكان بها.

والمتتبع لتجارة بايلك الغرب مع اسبانيا يلاحظ أنها كانت موجودة حتى قبل الفتح الثاني لوهران⁴، ونشير هنا انه بين سنوات (1786-1790م)، كانت التجارة حرة مثلها وكلاء تجاريون اسبان بلغ عددهم 46 وكيلا نهبوا حوالي 50% من كميات الحبوب الجزائرية المستوردة من طرف اسبانيا بين (1786 - 1788⁵م)، أو عن طريق الوسطاء اليهود خاصة اليهودي كوهين بكري، الذي كان يفاوض داي الجزائر للحصول على كميات كبيرة من الحبوب لحساب الشركات التجارية الاسبانية في قادس، مالقة، قرطاجنة، واليكانت⁶.

وبعيدا عن هذا النوع من طرق الشراء والمشتريين، فإن موانئ الجزائر كانت مستهدفة ومبرمجة من طرف قنصل اسبانيا في الجزائر دولاص هيراس ونائبه دولاريا،

¹ -ANDRIAN BERBRUGGER, « la régence d'alger sous le consulat et l'empire » in R.A, n°15, 1871, p 329.

² - الآغا بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص297.

³ -HENRI DELMAS DE GRAMMONT ,op.cit ,p346.

⁴ -PAUL MASSON, l'agence nationale d'Afrique 1794-1801, hachette, paris, 1921, p311.

⁵ -ISMET TERKI HASSAINE, « la politique commerciale espagnole dans l'algerie ottomane 1787-1830 », in cahiers CRASC, n°09, 2005, p140 .

⁶ -LEON FEY, histoire d'oran avant, pendant et après la domination espagnole, édition Adolphe perrier, Oran, 1858, p 131

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

وهذه الفكرة كانت مقترحة حتى من بعض الأرباب الخواص في مدينة ماهون بجزر البليار الاسبانية ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من تأسيس شركات تجارية اسبانية بميناء الجزائر مماثلة للشركات الفرنسية، وهذا ما حدث فعلا بظهور الشركة التجارية الاسبانية ماك دونال وكاستليني في اكتوبر 1787م¹، من مدينة قرطاجنة التي لم تنقيد بشروط البيع والشراء بالموانئ الجزائرية وأرسلت وكلائها مباشرة إلى ميناء ارزيو، للتفاوض مع باي معسكر محمد الكبير لشحن كميات كبيرة من القمح، لكن اعتبر ذلك في نظر داي الجزائر سرقة للبند الثاني والعشرين من معاهدة السلام بين الجزائر واسبانيا، الذي يؤكد منع المراكب الاسبانية أن تقصد الموانئ الجزائرية خارج العاصمة، لكي تفرغ أو تشحن حمولتها إلا برخصة من حكومة الجزائر كما هو معمول به مع جميع الدول الأخرى².

لقد استطاعت في نهاية المطاف هذه الشركة أن تشحن كمية كبيرة من القمح بواسطة تدخل اليهودي كوهين بكري؛ وقد عجل ذلك على نهاية نشاطها بإيالة الجزائر عامة وإلغاء اتصالاتها مع ميناء ارزيو ببابلك الغرب، لتحل محلها شركة اسبانية ثانية مهمة بسوق الحبوب الجزائرية وهي شركة خوان بوتيسا المنحدرة من مدينة مرسية الاسبانية، التي اصيب سكانها بالمجاعة نتيجة الجفاف، وأمام هذا الوضع اشترطت الشركة الاسبانية سنة 1788م، تزويدها بـ 40000 كيلة من القمح و 20000 كيلة من الخرطال؛ لكن شرطها كان مرفوضا من طرف داي الجزائر بداعي غلاء أسعار الحبوب مما دفعها الى الاستنجد بالوكلاء الفرنسيين، واستطاعت بذلك الحصول على ثلاث شحنات من القمح من مينائي الجزائر وارزيو.

ان عدم معرفة النظام السياسي والاقتصادي لإيالة الجزائر من طرف شركة خوان بوتيسا عجل بنهايتها تاركة ورائها ديونا لـ 3000 كيلة قمح شحنت من ميناء ارزيو.

¹- JEAN CAZENAVE , « les presides espagnols d’afrique, leur organisation au 18 siècle», in R.A, n°LXIII, 1922, p257.

²- يحي بوعزيز، مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا 1780-1787، مجلة التاريخ، العدد 18، 1985، ص 145.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

ان ارتباط التجارة الاسبانية مع الجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة بتجارة الحبوب تفسرها فترات الجفاف التي مرت بها أوروبا في نهاية القرن 18م، خاصة الجنوب الاسباني، كما يفسر من جهة ثانية الوفرة الإنتاجية التي كانت سائدة في الجزائر¹.

رغم فشل الاسبان في التوسع التجاري في الجزائر وبايلك الغرب خاصة خلال المرحلة الأولى، إلا أنهم صمموا على تجديد الكرّة بين سنوات (1790-1796م)، في إطار تجارة منظمة ومراقبة وموجهة وتغيير نهائي للسياسة التجارية اتجاه الجزائر²، وقد ساهم في ذلك حدثان رئيسيان طيلة الفترة الممتدة بين (1790-1797م)، أولهما المرسوم الملكي لـ 21 فبراير 1790م، الموقع من طرف الملك شارل الرابع، والذي جاء تنقيحاً لسياسة الوزير الأول الإصلاحية فلوريدا بلانكا؛ حيث تم بموجبه إنهاء التجارة الاسبانية الحرة والفوضوية في موانئ الجزائر وتعويضها بسياسة تجارية مراقبة وموجهة، وإلغاء البند الثاني والعشرين من معاهدة السلام، أما الحدث الثاني يتمثل في الجلاء النهائي للاسبان من وهران³.

وابتداءً من سنة 1790 إلى 1830م، أخذ التوسع الاسباني في شمال إفريقيا شكلاً جديداً ومرحلة فريدة في تاريخ العلاقات ما بين إسبانيا والجزائر، وبالفعل فقد تأسست شركة "Goyeneche, Rigal et Urrutia" وكانت مهمتها تزويد الجيش الاسباني في المدن؛ فلنسيا، مرسية، مالقة، الجزيرة، ومليلية، بالمواد الغذائية؛ وقد استطاعت سنة 1790م، شراء حمولة 20000 كيلة قمح و20000 كيلة شعير من بايلك الغرب، وفي السنة الموالية 60000 كيلة قمح و40000 كيلة شعير⁴.

أما بالنسبة للغرب الجزائري فقد تم إنشاء الشركة الاسبانية المسماة "compagnie campana d'oran" في سنة 1792م، نظراً لدرائتها بوضعية سوق القمح الجزائري، وخبرتها في مجال التجارة مع دول المغرب الإسلامي، لأنها كانت قطب تجاري في مدينة

¹ -LOUIS CARA DEL AGUILA , les espagnols en afrique du nord, relations politiques et commerciales avec l'algerie 1786-1830, thèse de doctorat 3eme cycle dactylographiée, étude ibériques, bordeaux 3, p230.

² -ISMET TERKI HASSAINE, «oran au 18 siècle: du désarroi a la clairvoyance politique de l'Espagne», in Insaniyat, n° 23-24, 2009, p15

³ -ISMET TERKHASSAINE, «la politique commerciale.....», op.cit, p143.

⁴ -IBID, pp, 146-147-148.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

الدار البيضاء بالمغرب منذ سنة 1782م¹؛ وبإمكانها أن تسدد وبطريقة منتظمة في الخزينة الملكية 300000 بياستر قوي، وبهذا سوف تشتري جميع ما يصدره بايلك الغرب الجزائري كالقمح، الشعير، الفول، الحمص، الجلود، الكتان، الشمع، والعسل، أما عن شروط عملها وتطوير نشاطها التجاري في المقاطعة الغربية، فيمكن أن نستشفه من خلال الأوامر الملكية الصادرة يوم 04 أكتوبر 1791م، والتي جاء فيها مايلي²:

- إرسال الشركة لممثلها الخاص في الجزائر لمعرفة وتقصي الحقائق في حال نشوب نزاع بين الطرفين.
 - تعيين موظفين دائمين يمثلان الشركة، واحد بالنسبة للجزائر والآخر بالنسبة لوهراڤ ويشترط أن يكونا من جنسية اسبانية.
 - تلتزم الشركة على الدفع سنويا رسوما جراء نشاطها التجاري في وهران بقيمة 12000 سكة جزائرية، على أن يكون تاريخ سريانها ابتداءً من 01 جانفي 1792م.
 - يتعهد الداي بالبيع سنويا 6000 كيلة قمح و60000 كيلة شعير للتجار الأسبان.
 - تتعهد الشركة التجارية الاسبانية التي سوف تنشأ بوهران بدفع حقوق التنصيب المقدرة بـ 666 سكة جزائرية تمنح للداي، و431 سكة جزائرية لمساعديه.
 - عن طريق تزكية شخصية لنائب القنصل الاسباني، بإمكان الشركة التجارية الاسبانية أن تعيد نشاطها مستقبلا لدى داي الجزائر أو باي معسكر.
 - السماح لـ" فرانسيسكو ساقى" بشحن المواشي من ميناء الجزائر لفائدة جزر البليار.
- وبمجرد ما تم هذا الاتفاق، باشرت الشركة الاسبانية نشاطها إلا أنها واجهتها عدة صعوبات تتمثل في تراجع إنتاج الحبوب بسبب الوباء الذي انتشر بسرعة في الجزائر سنة 1792م، ولجوء داي الجزائر إلى تسقيف أسعارها نتيجة الطلب الداخلي المتزايد عليها من جهة، ومن جهة ثانية المنافسة الفرنسية والانجليزية في ميناء أرزيو.

والى جانب هذه المشاكل، لم يكن لها اتصال مباشر بالقبائل، فباي وهران يعتبر الوسيط الوحيد بين التجار الأجانب والفلاحين، ولما كانت إدارتها غير قادرة على الإلحاح في

¹ -LOUIS CARA DEL AGUILA , op.cit, p61.

² -BERNARD CAPORAL ,op.cit, p383.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

مطالبها انسحبت نهائيا من وهران في 17 أكتوبر 1794م، بعد وفائها بتسديد ديونها المقدرة بـ 40000 بياستر قوي ما يعادل 10000 كيلة قمح و 100 قنطار من عسل الشمع، وبخسارة مالية قدرت بـ 1.405375 ريال لسنتين من النشاط ممتدة من 1 مارس 1792 إلى 1 مارس 1794م¹، وفيما يلي نقدم لما سحبت هذه الشركة من وهران ما بين 30 سبتمبر 1792 إلى 17 أكتوبر 1974م، نقلا بالتصرف عن الأستاذ عصمت تركي حساين الذي اعتمد على النص الاسباني من أرشيف التاريخ الوطني بمدريد.

وفي الوقت الذي انسحبت فيه الشركة التجارية الاسبانية حلت محلها شركة اسبانية أخرى متخصصة في صيد المرجان بسواحل بايلك الغرب الجزائري، والتي كانت متواجدة بالسواحل الليبية²، لكن منافسة صيادي مالطة وجنوة لها، وبعد المسافة بين السواحل الليبية والاسبانية جعلها تستقر بالسواحل الجزائرية بين ارزيو ومستغانم، سميت هذه الشركة بـ "شركة خوان موري"، لكن رفضها دفع الإتاوات بميناء وهران عجل على نهايتها.

وهكذا فشل الاسبان في منافسة الفرنسيين والانجليز على الموانئ الجزائرية؛ لكنهم لم يتقبلوا هذا الفشل بل واصلوا في محاولاتهم إلى أن ظهرت شركة "juan Garrigo"، الذي كان أسيرا بالجزائر، ففي يوم 08 أكتوبر 1792م، تلقى هذا الأخير أوامر من الوزير الأول الاسباني "الكونت أراندا" لتحويل 100000 بياستر قوي من برشلونة الى ايةالة الجزائر للسماح له بمباشرة نشاطه التجاري بشراء سنة 1792م حمولة 03 سفن محملة بـ 85000 كيلة قمح، و 03 سفن أخرى محملة بـ 4000 قنطار من الصوف، وفي السنة الموالية 2000 قنطار من القطن و 500 قنطار من شمع العسل³، لكن انتشار الوباء بالجزائر وكإجراء وقائي لم تقبل هذه السفن المحملة الرسو بميناء برشلونة، وأجبرت على العودة الى الجزائر وبالتالي الخسائر كانت كبيرة جدا لهذه الشركة حيث قدرت بـ 30146 بياستر قوي، ما تسبب في توقف نشاطها بالجزائر وذلك يوم 11 نوفمبر 1793م.

¹ -LEON FEY, op.cit ,pp47-48.

² -THOMAS shaw, voyage dans la régence d'Alger (traduction j.Carthy) édition ,bouslama, Tunisie, 1980, p136.

³ -JUAN BAUTISTA VILAR , « relaciones comerciales hispano-argelinas en el periodo 1791-1814» IN hispania , n° 26, p436.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

إلا أن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد بل ساهم مؤسسها إلى إيجاد شريك اسباني له لاقتحام السوق الجزائرية للحبوب؛ وتم ذلك فعلا مع "luis rigal de la pradera" الذي كانت له شهرة في سوق الحبوب ببایلک الغرب الجزائري ومحل ثقة من طرف الباي محمد الكبير، الذي وافق على أن يكون ميناء ارزيو قطب تجاري لبایلک الغرب¹.

هكذا بدأت هذه الشركة نشاطها، بعدما أبدت موافقتها بالدفع سنويا 12000 سكة جزائرية لداي الجزائر للاستفادة من 15000 أو 20000 كيلة قمح، بالإضافة الى دفع ضريبة الغرامة وكميات من القمح لباي وهران وقبائل المخزن، واعادة شراءه بسعر السوق الداخلية والرسو بميناء ارزيو، مع الالتزام بالبند السادس من معاهدة الصلح بين الجزائر واسبانيا، الذي يؤكد انه في حالة غرق مركب اسباني قرب السواحل الجزائرية أو لاحقه الأعداء بنفس المكان، أو أجبرته رداءة الطقس، عليه الاقتراب من الشواطئ وتقديم له كل أنواع المساعدة، أي ما يلزمه لاصلاح واسترداد حمولته، على أن يدفع مقابل الخدمات والإسعافات².

لقد استمر النجاح لهذه الشركة الى غاية 1796م، بتصديرها من الجزائر نحو اسبانيا عدد كبير من المحاصيل الزراعية والغذائية كالحبوب، المواشي، الزيوت، والتمور³، إضافة إلى القطن، الجلود، وشمع العسل، وبمجيء الوزير الأول الاسباني "Manuel Godoy" على رأس الحكومة الاسبانية؛ وضع نقطة النهاية لعشرة سنوات من العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا، ليعاد بعثها من جديد بين سنوات (1800-1830م)، تحت حكم الملك "فرناندو السابع"، مع تسجيل غياب للوكلاء الاسبان في الأسواق الجزائرية وهذا ما سيسمح لليهود خاصة الاخوة بكري وفتالي بوشناق، بانتهاز الفرصة والاستحواذ على النشاطات التجارية والعمليات المالية بين البلدين⁴.

ب/ التجارة مع انجلترا: في اطار لعبة التوازن العادية داخل الايالة، فان علاقات انجلترا بالجزائر كانت سلمية في غالب الأحيان ولم تعرف القطيعة مثل ما كان الحال بالنسبة

¹ -GORGUOS, « notice sur le bey mohammed el kebir » in R.A, n°01, 1856, p411.

² -يحي بوعزيز، «مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا.....»، المرجع السابق، ص 144.

³ -LOUIS CARA DEL AGUILA , op.cit, p288.

⁴ -محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص204.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

لإسبانيا وفرنسا¹، وهذا ما أشارت إليه مجلة "كوارترلي QUARTERLY" سنة 1816م: "لقد استحققنا من ايلات شمال إفريقيا بأنها لم تغلق أبواب موانئها يوما في وجه سفننا، وحتى عندما وجه نابوليون بوناپرت، حملته العسكرية على مصر، وسنعمل كل ما بوسعنا لحسمها، لأنهم يتكلمون عن تمسكهم بعلاقاتهم مع انجلترا...".

وعندما فتح الباي محمد الكبير وهران، مونتة المملكة المتحدة بالأسلحة، وتحصلت شركة "الانج"، على امتياز شحن الحبوب من موانئ بايلك الغرب، مقابل تزويد المقاطعة بالمدافع والذخيرة²، ومن جهته الباي محمد الكبير لم يتردد بين سنوات (1792-1793م)، في تمويل وبشكل واسع التجار الانجليز لجبل طارق وقادس، الذين كانوا يترددون بكثرة على ميناء أرزيو لشحن الحبوب.

لقد أشار "شاو" Shaw"، أن التجار الانجليز في بداية القرن 18م، كانوا يقومون بتصدير 07 الى 08 آلاف طن من الحديد إلى بايلك الغرب، وكان للفتح فائدة كبيرة لانجلترا لاستيراد احتياجاتها وصيد المرجان في السواحل الغربية³، فميناء أرزيو كان يرسل سنويا من 200 الى 250 باخرة محملة بالحبوب وغيرها⁴.

وبمجرد انشغال فرنسا في حربها مع الدولة العثمانية بين (1800-1801م)، بسبب حملة نابوليون على مصر، سلم باي الغرب الجزائري عثمان بن محمد، لتجار جبل طارق الحبوب والمواشي بأسعار ممتازة عن تلك التي كانت تقترحها شركة بكري، كما أذن لموانئ وهران، أرزيو، وهنين، بتموين جبل طارق ومالطة بشحنات من القمح، الشعير، الفول، وعدد كبير من الثيران⁵.

ورغم كل الامتيازات التي تحصل عليها الانجليز في بايلك الغرب، الا أنها عرفت الانكماش والتقلص بسبب قصف الأميرال نبال، لمدينة الجزائر وحصار مينائها سنة

¹ -LUCETTE VALENSI, le maghreb avant la prise d'Alger 1790-1830, flammarion, France, 1969, p102.

² -LOUIS CARA DEL AGUILA ,op.cit, p162.

³ -THOMAS SHAW, op.cit, p136.

⁴ -SIR GODFREY FISHER, légende barbaresque guerre, commerce et piraterie en Afrique du nord de 1415-1830, Traduit et annoté farida hellal, O.P.U ,Alger , 1991, p395.

⁵ -أندري برنيان، أندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 195.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

1824م، حيث بعث نائب القنصل الانجليزي في الجزائر برسالة الى حكومته المركزية يشير فيها الى أن منتوجات مختلفة كالقمح، الشعير، الصوف والأبقار، التي كانت تصدر من وهران في اتجاه جبل طارق نقص إنتاجها ولا يمكن تقدير كميتها، أما الرسوم فتدفع نقدا¹.

ج/التجارة مع فرنسا: إن عدم ارتباط الاسبان بشركاتهم التجارية ببائلك الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م، ساهم بمجيء الفرنسيين والانجليز الذين كانوا الأكثر تموقعا بميناء أرزيو ووهران.

لقد كانت تجارة فرنسا مع ايلة الجزائر منذ 1741م، قائمة عن طريق الوكالة الملكية الإفريقية التي كان مقرها بمرسيليا، مع فتح وكالات تابعة لها في كل من عنابة والقل، وبالأخص القالة، حيث اهتمت بصيد المرجان وشراء القمح والجلود ببائلك الشرق، وسرعان ما زال نشاطها عندما اندلعت الثورة الفرنسية سنة 1792م، حيث أصدر المجلس الوطني الفرنسي قرارا يسمح لجميع الفرنسيين بتعاطي التجارة في جميع المؤسسات الفرنسية الموجودة في شمال افريقيا؛ فاستغله الكورسيكيون والاسبان على حساب هذه الشركة التي ظلت تستعطف السلطات للتراجع عن هذا القرار².

لئن اختفت الشركة الملكية الإفريقية؛ فإنه ظهرت خلفا لها هيئة تجارية جديدة سميت بالوكالة الإفريقية، فبمجرد ظهورها وجدت نفسها أمام صعوبات وعراقيل، ومما لاشك فيه أن فرنسا كانت عندئذ تُقدر مدى أهمية الدور الذي تلعبه هذه المؤسسة في موانئ بايلك الغرب، لكنها كانت عاجزة عن تلبية رغباتها المالية لان خزينة الدولة كانت حينها فارغة، لذلك ستتنازل الوكالة الإفريقية عن كثير من حقوقها لليهود التجار القادمين من ليفورنة وهم الاخوة بكري وشريكهم نفتالي بوشناق، الذين استطاعوا وفي ظرف قصير ابتداءً من سنة 1793م، أن يشحنوا من ميناء وهران والمرسى الكبير وأرزيو 100 سفينة في اتجاه فرنسا³.

¹ -ELIE DE PRIMAUDAIE, le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, cha.lahure et cie, paris, 1861, p240.

² -XAVIER YACONO, l'histoire de l'Algérie de la fin de la régence turque a l'insurrection de 1954, l'atlanthrope, Paris, 1993, p34.

³ - PAUL MASSON, « a la veille d'une conquête concessions et compagnies d'Afrique 1800-1830», in B.G.H.D, n°02,1909, pp57-58

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

إنّ احتياجات فرنسا للحبوب الجزائرية أصبحت جد مهمة، ففي سنة 1794م، اشترت أكثر من 170000 كيلة، رغم القيود التي وضعها داي الجزائر¹، وفي هذه السنة سيطر فعلياً الشريك اليهوديان على أكبر جزء من الميادين التي كانت وقفاً على التجار الفرنسيين رغم احتجاج قنصل فرنسا في الجزائر جون أنطوان فاليريير على ذلك.

وفي فرنسا استطاع اليهودي يعقوب بكري، تأسيس شركة تجارية بمرسيليا سنة 1795م، يوجه منها إلى سائر أوروبا ما يبعثه إليه اخوته من سلع ومنتجات من الجزائر، حيث تمكن سيمون أبوقية، من ربط علاقات ودية مع المسؤولين الفرنسيين و اقناعهم بأنه الممثل الوحيد والمتعامل الرئيسي لشؤون الداي، وهكذا تم شحن 100000 حمولة قمح، فالأولى كانت بـ 100 فرنك للحمولة، والثانية بـ 120 فرنك، وبفضل هذه الثقة التي تحصلوا عليها في مختلف المستويات، استطاعوا أن يجمعوا ثروة طائلة ونفس الشيء بالنسبة للداي والباي².

وفي الوقت الذي وجهت فيه شركة بكري نشاطها نحو أوروبا، كان بوشناق نفتالي قد ركز جهوده على بايلك الشرق الجزائري ينافس الشركة الملكية الافريقية، ويعمل على التوقيع محلها، وقد حاول القنصل الفرنسي بالجزائر "فاليار" أن يمنعه من ذلك، لكنه سرعان ما تخلى عن فكرته³، وفي هذا الصدد وجهت الحكومة الفرنسية تعليمات لقنصلها تنص على التعاون مع اليهود أو مع غيرهم ممن يستطيع أن يبيع للشعب الفرنسي كميات كبيرة من القمح.

وعندما قاد نابوليون بوناپارت، حملته العسكرية على مصر سنة 1798م، راهن على إيالة الجزائر لتموين جيشه وللتعبير عن حسن الإرادة قررت فرنسا تصفية ديونها العالقة المقدرة بـ 2297455 ليرة، وتعهدت بتخليص الحسابات بـ 150000 ليرة كل 15 يوماً⁴، وفي هذه الأثناء كان بكري قد تمكن من التفاهم مع الإيالة، لتموين تولون ومالطة وجيش بوناپرت

¹ - EUGENE PLANTET, correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, volume 2, edition Bouslama, Tunisie, 1981,p451.

² - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص220-221.

³ -PAUL MASSON, « a la veille d'une », op.cit, p60.

⁴ -ANDRIAN BERBRUGGER , op.cit, p252.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

بالحبوب الجزائرية، مع امتياز الشحن من ميناء أرزيو ووهران، فرغم شح الحبوب تحصل على رخصة تصدير 10000 كيلة شعير¹.

إنّ احتلال نابوليون بونابارت، لمصر أحدث قطيعة في العلاقات بين الجزائر وفرنسا باعتبار أن مصر كانت تحت لواء الدولة العثمانية، لكن ذلك سمح لشركة بكري وبوشناق لأن تستحوذ بكل سهولة على التجارة الخارجية للجزائر، وبالمقابل فإن خزينة الدولة الفرنسية لم يتحسن عجزها ولم يكن السلطات المختصة القدرة في الدفع نقدا قيمة كل ما وصل إلى ميناء مرسيليا من واردات، ولأجل ذلك تجمع عند إدارة الشركة اليهودية عدد من السندات تمثل أكثر من 200000 بياستر قوي، أي ما يعادل 1000000 فرنك².

ولجمع هذه الديون كلها فكر نفتالي في ضرورة تحقيق السلم بين البلدين حتي يتسنى للداي المطالبة بحقوق الشركة، وحدث ذلك فعلا سنة 1801م، في معاهدة صلح نص بندها الثالث عشر، أنّ القنصل العام الفرنسي "دوبواتانفيل"، يتعهد باسم الحكومة الفرنسية بدفع المبالغ التي يطالب بها الجزائريون، لكن الفرنسيين استمروا في مماطلتهم، وهذا التماطل كان ضربة قاسية للامتيازات الفرنسية، ولكي تتخلص فرنسا من هذا الوضع المخرج عينت لجانا تعمل على ايجاد الإستراتيجية التي يجب اتباعها في استغلال المؤسسات الإفريقية بدون مشاكل، فانتتهت الدراسة الى ضرورة تسليمها الى التجار الخواص حيث تمكن السيد باري، من الفوز بهذه الصفقة وإنشاء وكالة تجارية جديدة ولم يتردد باي الغرب الجزائري بأن قام بدراسة الأمر مع مالك هذه الوكالة لتحديد السعر المفضل للقطن والجلود، والذي بإمكانه أن يرتفع سنويا الى 300000 فرنك.

أما عن نشاط شركة باري من حيث التصدير فيتمثل في الحبوب، الصوف، الجلود والشحوم، بينما كانت الواردات عبارة عن مواد غذائية، بالإضافة إلى مواد الزينة، وقطع غيار السفن، وبعض الصناعات النسيجية³.

¹ -EUGENE PLANTET, op.cit, p99.

² - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، صص 246-247-248.

³ -BERNARD CAPORAL, op.cit, p401.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

هذا عن الدول الأساسية التي كانت تتاجر مباشرة مع بايلك الغرب الجزائري، وكذلك كانت له تجارة مع أماكن أخرى لكنها تتم باسم الجزائر مثل التجارة مع مدينة ليفورنة، ومصر، ففي هذه العملية التجارية، شكلت المقاطعة الغربية حلقة هامة للربط بين القوافل المغربية التي تنضم إلى قوافل المقاطعات الأخرى وتحت مراقبة الحكام، فكانت الجزائر تستورد البن، الكتان، القطن، الحرير، العقاقير، الرخام والمصنوعات الفاخرة كالسجاد...، وتصدر بعض المنتجات كشمع العسل والزيت والحبوب.

التجارة الخارجية لبايلك الغرب من خلال وصف بعض الرحالة الأوروبيين:

وَصَفَ الرحالة الفرنسي دابر لمدينة وهران، جاء فيه أنها مدينة عامرة بالتجار الأجانب القادمين من كاتالونيا وجنوة والبندقية¹؛ في حين نجد في كتابات الدبلوماسي الفرنسي لوجي دوتاسي، أيضا الكثير من الملاحظات حول التجارة الخارجية للجزائر في بداية القرن الثامن عشر ميلادي، فقد أكد أنّ مَلَاك المتاجر هم من السكان واليهود، وهم معرّضون للموت إذا تم الإمساك بهم يغشون في الميزان أو في المقاييس، أو على الأقل يكلفهم ذلك الكثير من المال²؛ ومن واردات بايلك الغرب التي ذكرها دوتاسي نجد أقمشة الذهب والفضّة من دمشق، الستائر، التين، الفواكه المجففة، الحديد، والنحاس، خشب البرازيل، خشب كامبيتشي، الشراشف، الشب، السكر، الأرز، الصابون، القطن، الكمون، الزرنبيخ البيانسون المالطي، الكبريت، الأفيون، الأوراق، المعجون، الأمشاط، البخور، العسل، قذائف المدافع، وغيرها من السلع الأخرى³؛ أمّا صادرات الجزائر فكانت تتمثل في الجير، الجلود النحاس، الصوف الخام، ريش النعام، بطانيات من الصوف، مناديل مطرّزة، الأحزمة الحريرية، والعبيد⁴؛ كما أشار دو تاسي إلى أنّ يهود ليفورنة، سيطروا على التجارة في الجزائر⁵؛ وذكر أنّ القنصل الانجليزي يبيع للجزائر البارود، قذائف المدفعية، القنابل

¹ -D'Apper, Op.Cit, P167.

² -De Tassy, Op.Cit., P294.

³ -Ib.id., PP, 294-295.

⁴ -Ib.id., P295.

⁵ -Ib.id., P296.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

اليديوية، الفؤوس، الحبال، وغيرها من السلع الحربية والبحرية مقابل الزيت والحبوب وغيرها من المواد الغذائية¹.

تجدر الإشارة في هذا الموضوع إلى ما ذكره الرحالة والطبيب الانجليزي توماس شاو، حيث قال أنّ سكان الجزائر يتاجرون مع مختلف الشعوب المتوحشة -حسب وصفه- التي تعيش في منطقة الساحل منذ زمن سحيق دون أي خداع أو انتهاك للاتفاق المبرم معهم، ففي كل عام في فصل الشتاء يرسل الجزائريون قافلة كبيرة تحمل كمية كبيرة من الشعاب المرجانية، القلائد الزجاجية، الأساور المصنوعة من القرون، السكاكين، وأدوات أخرى، وعند الوصول إلى المكان المحدد، يجد القائمون على القافلة في المساء أكواما من تبر الذهب مرتّبة، ثم يضع التجار الجزائريون بالقرب من كل كومة ما يعادله من البضاعة التي أحضروها أي سلعة مقابل سلعة، ثم يأتي تجار منطقة الساحل فيأخذونها في صباح اليوم التالي، إذا وافقوا على الصفقة التجارية، ويتركون تبر الذهب الخاص بهم دون لمس، وفي الحالة المعاكسة يُنقصون من تبر الذهب حتى يتأكدوا أنّه يعادل السلع التي وجدوها².

الملاحظات التي سجّلها شاو يمكن أن نستخلص منها مجموعة من المعلومات حول التجارة الخارجية للجزائر، حيث يذكر أنّ الانجليز كانوا يستوردون من خلال موانئ مختلفة في الإيالة ما يصل إلى سبعة أو ثمانية آلاف طن من القمح في السنة³؛ كما كانوا يستوردون الكثير من القمح من ميناء جنات الذي يقع على مسافة فرسخ شمال شرق يسر⁴.

الرحالة الانجليزي جوزيف مورغان جاء في ملاحظاته حول واردات بايلك الغرب أنّها تقتصر على السلع الكمالية، مثل الأثاث الفاخر من ثريات، أقمشة حريرية وصوفية، القطيفة، الرخام، والزجاج، إضافة إلى مواد غذائية تتمثل في الجبن، العسل، الفواكه المجففة، البندق، القسطل، الصابون، والورق⁵.

¹ -De Tassy, Op.Cit, P297.

² -Shaw, 1830, Op-Cit., P132.

³ -Ib.id., P119.

⁴ -Ib.id., P307.

⁵ -Morgan, Op.Cit, T2, PP 51-52.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

تعتبر الملاحظات التي سجّلها الدبلوماسي الفرنسي دو بارادي حول موضوع التجارة الخارجية للجزائر وببايلك الغرب الذي هو موضوع دراستنا، جديرة بالذكر، حيث يذكر أنّ الجزائر تستورد من ليفرونة كميات كبيرة من الحاشيات القرمزية والبنفسجية، فمائة قطعة منها تباع في الجزائر بنصف سكة جزائرية، أي ليرة و51 صوردي و3 دنانير¹؛ كما تصدر الجزائر محافظ البلاسكا Plasca إلى المشرق، وهي ذات جمال وحسن مطرزة بالذهب والفضة²؛ ويصرّح دو بارادي أنّ السلع المهمة التي تصدرها إيالة الجزائر نحو الخارج تتمثل في القمح الصلب والشعير وجميع أنواع الخضر (عدا الفاصوليا البيضاء) والقرمز القادم من المشرق، وشحنة أو ثلاث من الزيت والشمع والصوف والجلود، وحمولة أو شحنتين من القرمز الذي يأتي من معسكر، كما يخرج من ميناء الجزائر سنويا إلى البلاد المسيحية سبعة أو ثمانية آلاف قنطار جزائري من الصوف³.

تجارة الجلود يسيطر عليها وكيل الخرج مقابل عشرة آلاف بياستر يدفعها للحكومة شهريا، حيث كان يشتري بستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة موزونات وفقا للحجم والكمية ويبيعها بثلاثين موزونة كبيرها وصغيرها، وهذه الصفقة خاصة بجلود الثيران.

اعتمادا على ما جاء في الملاحظات التي سجّلها دو بارادي حول صادرات وواردات الجزائر يمكن أن نُمثّلها في الجدولين الآتيين:

¹ -De Paradis, 1898, Op-Cit., P15.

² -Ib.Id, P17.

³ -Ib.id, PP18-19.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

جدول لواردات الجزائر من خلال ملاحظات دو بارادي¹.

البلد المصدر	نوع البضاعة	السعر
مرسيليا	السكر، البن، الحديد، الرصاص، الورق، بعض الخردوات، الخمر، القرنفل القرمزي، الملف، أقمشة ليون، مناديل الحريير الكتالونية.	700 إلى 800 ألف ليرة
ليفورن	الأقمشة الألمانية، نسيج قطني هندي ودمشقي، قماش مخملي جنوي، الكؤوس، المرايا، السكر، التوابل، قرون الجواميس.	1000000 (مليون) ليرة
تركيا	الأقمشة القطنية والحريرية، مناشف السالونيك، أقمشة دوليك القطنية، البراعم، الساتان، مخمل الأدغال، الحرير، الغليونات، الأواني النحاسية، الأطباق، أواني القهوة، القدور.	200 أو 300 ألف ليرة.
الإسكندرية	القهوة، الأرز	
المجموع		حوالي 2100000 ليرة

يوضح هذا الجدول الذي يتناول واردات الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، أنّ الإيالة تمثلت وارداتها في المواد الغذائية والصناعية غير المتوفرة بالجزائر خاصة الأقمشة بأنواعها المختلفة؛ وكانت تستورد من مختلف البلدان من أوروبا

¹ -De Paradis, 1898,Op-Cit., P 31.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

ومن المشرق، وتنال مدينة ليفرونة حصة الأسد بقيمة مليون ليرة مقابل السلع المتجهة نحو إيالة الجزائر حسب ما يذكر الدبلوماسي الفرنسي دو بارادي.

جدول لصادرات الجزائر من خلال ملاحظات دو بارادي¹.

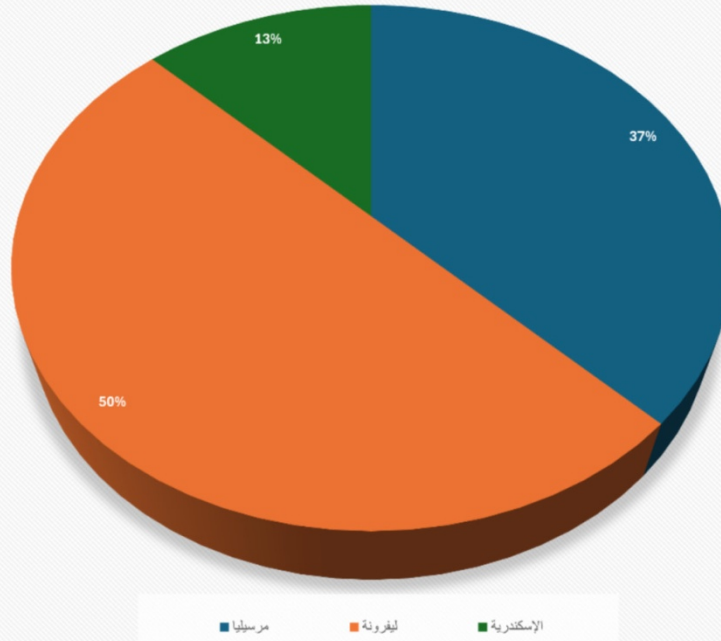
البضاعة	البلد المستورد
الصوف، الجلود، الشمع، الزيت، القماش الممزوج بشعر الماعز، القمح، الشعير، التبغ.	بلاد المشرق
التبغ، الزعفران الذي يتم جمعه في معسكر.	تونس
التبغ	طرابلس
الزيت، الشمع، الصوف، الجلود، قرمز معسكر والتيطري، القمح، الشعير، التبغ، المرجان.	البلاد المسيحية

الجدول يظهر أنواع السلع المصدرة من الجزائر إلى بعض الدول، وكما هو مبين نرى أنّ هذه السلع تتمثل في مواد أولية محصورة في أنواع معينة، وأهم سلعة كانت تصدر هي التبغ الذي يتم شحنه إلى مختلف الجهات، ثم يليه القمح، الشعير، الصوف، والجلود حسب ما يذكره دو بارادي.

¹ -De Paradis, 1898, Op.Cit, P31-32.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

دائرة نسبية توضح واردات الجزائر من خلال ملاحظات دو بارادي



الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: العملات المتداولة:

- العملة المحلية.
- النقود الذهبية المضروبة بالجزائر.
- النقود الفضية المضروبة بالجزائر.
- العملة الزيرية.
- العملة المغربية.
- العملة الإسبانية.
- أثر العملات الإسبانية على العملة المحلية في بايلك الغرب.

المبحث الثاني: الضرائب وأنواعها في بايلك الغرب.

- الضرائب التي تدفعها القبائل للإسبان المحتلين.
- الضرائب والرسوم العثمانية.

المبحث الثالث: الضرائب من خلال بعض الظواهر: دراسة تحليلية.

المبحث الرابع: مؤسسة الديوانة.

المبحث الأول: العملات المتداولة.

تمهيد:

أدى ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر، إلى تحول تدريجي في النظام المالي السائد بالبلاد الجزائرية عامة وفي بايلك الغرب خصوصا؛ في إطار التقسيم الإداري لإيالة الجزائر فيما بعد، فالدارس لموضوع العملة في إيالة الجزائر سيجد أصنافا متنوعة لعملات محلية وأجنبية.

إن هذا التنوع في العملة يرجع أساسا للوضع السياسي السائد في إيالة الجزائر بالدرجة الأولى، وإلى النظام المالي المتعامل به؛ من اقتصاد وتجارة، فقد أدى ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية إلى ظهور عملات عثمانية، أما وجود العملة الأسبانية يرجع أولا إلى الاحتلال الأسباني للأراضي الجزائرية، ثم تمركز الأسبان المحتلين بوهران والمرسى الكبير، هذا إضافة إلى وجود عملات أوروبية أخرى، على غرار عملات تونسية ومغربية وحتى عملات محلية.

إن الحديث عن العملات المتداولة ببائلك الغرب الجزائري، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، لا يختلف كثيرا عن موضوع العملة في إيالة الجزائر بصفة عامة، فأنواع النقود المتعامل بها في بايلك الغرب هي تقريبا نفسها المتعامل بها في باقي أقطار الإيالة الجزائرية، فقط نجد بعض النقود الأجنبية الرائجة ببائلك الغرب كالنقود الأسبانية مثلا وهذا راجع للاحتلال الأسباني لوهران، ونجد أيضا النقود المغربية للمبادلات التجارية مع المغرب الأقصى كما سيأتي عليها الذكر لاحقا.

العملة المحلية:

نميز هنا بين العملة الجزائرية المحلية كالتي تعود لأواخر العهد الزياني مثلا، وبين العملة العثمانية المضروبة بدار السكة بصفة رسمية، فهذه الأخيرة كانت تضرب بدار النقود أو كما تعرف بدار السكة، ومقرها قرب قصر الداى بالعاصمة، وبمكان ليس ببعيد عن جامع كتشاوة، وفي عهد الداى علي خوجه الذي خصص لها سنة 1817م، مقرا جديدا ملحقا

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

بالخزينة العامة بالقصبة، ونشير هنا إلى ضوابط سك العملة بدار السكة تحت مراقبة أمين السكة، حتى لا يكون هنالك تسرب للعملة أو تهاون في سكها¹، وقد أورد الشريف الزهار ما نصه: "وفي هذه السنة أمر الأمير ببناء دار السكة داخل القصبة وعندما تم بناؤها أمر أمين السكة أن ينتقل إليها من الدار القديمة، وأمره أن يعين نائبا عنه بدار السكة القديمة من أجل الميزان ومراقبة عيار مصوغ أهل البلد فانتقل إلى الدار الجديدة"².

يعود ظهور العملة العثمانية بإيالة الجزائر إلى القرن السادس عشر، بحيث كان يتم ضرب السكة باسم السلطان العثماني، وبنفس الضوابط المعمول بها في اسطنبول العاصمة العثمانية، من حيث شكل النقود ومعارها، وحفاظا على أهمية العملة وقيمتها النقدية كان لا يسمح بضربها إلا بأمر السلطة المركزية وبإشراف موظفي دار السكة، وأوكلت إليهم مهمة مراقبة وصنع النقود³.

لقد تنوعت العملة الجزائرية من حيث الشكل والقيمة النقدية وحتى المعدن المصنوعة منه، بحيث يشرح المؤرخ سعيديوني أن: "مختلف النقود الجزائرية تصنف، كما سبقت الإشارة، إلى ذهبية أو فضية أو نحاسية برونزية، فالعملات الذهبية كانت تتكون من السكة أو السلطاني، ونصف السلطاني وربع السلطاني، والعملات الفضية كانت تشمل: ريال بوجو أو بدقة قوردة، وزوج بوجو أو دورو الجزائر، والصائمة، وربع بوجو، وثمان بوجو، وموزونة، وزوج موزونة، والأسبر الفضي، وتتفرع العملات النحاسية البرونزية إلى الخروبة، وريال درهم الصغير، وزوج دراهم صغار، والأسبر النحاسي، والفلس"⁴.

ويقدم الشريف الزهار نظرة عن ضرب السكة الجزائرية بقوله: "ولما دخلت سنة 36 -يقصد 1236هـ- أمر بصنع قطع السلطاني الذهب، عوض الدينار، وميزان السلطاني عشر نوايا، وصنع نصف السلطاني وربع السلطاني، أما قطع الدورو الفضية فقد أمر بصنع أنصاف لها،

¹ - ناصر الدين سعيديوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م، المرجع السابق، ص 179.

² - الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 147.

³ - سعيديوني، النظام المالي، ص ص 180-181.

⁴ - نفسه، ص 193.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

واسم النصف ريال بوجو (بوتشو)، كما صنع أرباع لها، وصنع سكة النحاس وقيمتها ثمانية عشر قطعة لثمان الريال، وذلك عوضا عن ثمن الدراهم الصغار القديمة¹.

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ تنوع في ضرب العملة المحلية، ويمكن ذكر بعض النماذج لقيمة هذه النقود المحلية كالتالي:

النقود الذهبية المضروبة بالجزائر:

سار النظام النقدي الجزائري في بداية العهد العثماني على القاعدة ذاتها المعتمدة عند العثمانيين، المشتمة على النقود الذهبية، الفضية، النحاسية، فالنقود الذهبية التي تم سكها في مدينة الجزائر والمتمثلة في السلطاني نسبة إلى السلطان العثماني، يعرف أيضا بلفظة "ألتين" عند العثمانيين ومعناها النقد الذهبي، أما الأوروبيون أطلقوا عليه "سكويين الجزائري"، ويتراوح وزنه ما بين 3.25 غ إلى 3.50 غ، وقطره ما بين 18 إلى 20 ملم، كما كان للسلطاني أنصاف وأرباع، حيث بلغ وزن نصف السلطاني ما بين 1.62 غ إلى 1.75 غ، في حين بلغ وزن ربع السلطاني ما بين 0.80 غ إلى 0.87 غ.

نشر في دليل السكة الإسلامية باسطنبول نوعان من السلطاني والتي تعود إلى السلطانيين "سليم الأول"، و"سليم الثاني" وهذا الجدول يوضح أكثر²:

أمثلة عن السلطاني القديم	المثال الأول	المثال الثاني
الوزن	3.50 غ	3.45 غ
القطر	22 ملم	20 ملم
مكان الضرب	الجزائر	الجزائر
تاريخ الضرب	1519/926 هـ - 1519/926 هـ	1519/926 هـ - 1519/926 هـ
الوجه	ضارب النظر صاحب العز والنصر في البر والبحر.	ضارب النظر صاحب العز والنصر في البر والبحر.
الظهر	سلطان سليمان عز نصره	سلطان سليمان بن سليمان

¹ - الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 147.

² - المصدر نفسه، ص ص 107-109.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ضرب في جزاير سنة 926هـ.	خان عز نصره ضرب جزاير سنة 926هـ.
-------------------------	----------------------------------

النقود الفضية المضروبة بالجزائر:

تعد أداة أساسية في النظام النقدي الجزائري، وهي على درجة من النقاوة كما يعتبر البوجو أو الريال بوجو وحدة أساسية يساوي 24 موزونة، أما وزنه فيقدر بحوالي 10 غ، وتعتبر العملة الفضية ذات نوعية رفيعة إذا صنعت بـ 60 رطلا من الفضة الخالصة، و40 رطلا من الفضة الممزوجة، وقد اختلفت تسمياتها وأشكالها فنذكر منها¹:

ريال دراهم سمي أيضا ثلث ريال بوجو، وينقسم إلى نوعين:

- ريال دراهم قديمة (Pataque Chique Ancienne)، تعود إلى سنة 1203هـ/1789م، بلغ وزنها 3.3 غ.
- ريال دراهم جديدة (Pataque Chique Neuve)، ترجع إلى سنة 1236هـ/1820م، بلغ وزنها 3.1 غ.
- يعتبر هذا النقد من القطع النادرة، ويتراوح قطره ما بين 11 ملم إلى 20 ملم، وفي سنة 1820م، أعيد ضرب قطع نقدية جديدة، وهي لا تختلف عن مثيلاتها القديمة من حيث المضمون، باستثناء تاريخ الضرب والوزن.
- الربع بوجو أو الرابي: يتراوح وزنه ما بين 2.4 غ إلى 4.4 غ، وقطره ما بين 11 إلى 18 ملم، ضرب منذ بداية إصلاح العملة سنة 1822م، وهو يساوي 06 موزونة، أو 3/4 باتاك شيك.
- نصف ريال دراهم أو سدس بوجو (Demi Pataque Chique): بلغ وزنه ما بين 1.4 غ إلى 1.7 غ، وقطره ما بين 16 ملم إلى 20 ملم².

¹ رزقي فهيمة، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرا-قسنطينة-دراسة أثرية فنية، رسالة لنيل الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 59.

² - رزقي فهيمة، المرجع السابق، ص 59.

النقود النحاسية المضروبة بالجزائر:

لقد أصدرت دار السكة الجزائرية عدة أنواع من النقود النحاسية، كالخروبة والدرهم، وزوج وخمس دراهم صغار على شكل مستدير أو مربع، وقبل ضربها يتم تنقية وتصفية معدن النحاس أولا، ثم يختار الصافي لصنع الدراهم الصغيرة، ومن أنواع النقود النحاسية نذكر:

الخروبة: إسم فاكهة تعرف بالخروب، يقال أيضا أنها شجرة الينبوت، وتعتبر الوحدة الأساسية للنقود النحاسية إذ يطلق عليها الأوروبيون مصطلح (يورب)، وهي عبارة عن خليط من النحاس والفضة، أو النحاس الأبيض وقيمتها تساوي نصف موزونة¹.

نصف خروبة: قيمتها 24/1 بوجو، 48/1 بوجو، وتطورت إلى 96/1 بوجو.

دراهم صغار: وهي أصغر القطع وغير منتظمة الشكل والحجم، كتب عليها لفظ الجلالة الله، وتعرف عند الأوروبيين بالأسبر، وتسمى بالتركية الأقجة، تنقسم إلى ثمانية أجزاء، وصل وزنها إلى 3.12 غ².

العملة الزيانية:

النقود المضروبة في تلمسان يتراوح وزنها ما بين 4.20 غ إلى 4.70 غ، وقطرها ما بين 32 إلى 35 ملم، تتميز بالخط النسخي من النوع الأندلسي المغربي³.

العملة المغربية:

كان لها رواج في بايلك الغرب خاصة نواحي تلمسان وندرومة بسبب تعامل تجار فاس وتلمسان بها، من بينها نذكر: البندقي أو العشرراوي، ونصف البندقي أو نصف العشرراوي، المثقال، الموزونة، الفلس، الريال والدرهم⁴.

¹ - جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص 111.

² - نفسه، ص 111.

³ - نفسه، ص 113.

⁴ - سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري..، المرجع السابق، ص 199.

العملة الإسبانية:

الوجود الإسباني في منطقة وهران ومرسى الكبير فرض على أسواق بايلك الغرب التعامل بالنقد الإسباني، حيث سنذكر أهمه:

- **الدبلوني Le Dablan**: وهو دينار مصنوع من الذهب.
 - **الدوكة Ducat**: عملة مصنوعة من الذهب تعادل قيمتها الدينار الذهبي.
 - **الكرونة Courrounne**: عملة مصنوعة من الفضة الخالصة، كان لها رواج واسع في كافة بلدان البحر المتوسط، وقد ورد ذكرها في الكثير من العقود والرسوم في أوائل الفترة العثمانية.
 - **الدورو الإسباني Duoro**: عملة مصنوعة من الفضة.
 - **الدرهم الريال الإسباني Real**: عملة انتشرت استعمالها منذ بداية القرن 16م، وكان يتم سكها في عدة مدن أوروبية، مثل جنوة، مرسيليا، وقد اشتهر اليهود بنقلها وبيعها في مدن الضفة الجنوبية للبحر المتوسط كجاية وهران، وتونس¹.
- إلى جانب العملات المذكورة سلفا، فقد ضرب الإسبان في وهران عملة وذلك ابتداء من سنة 1568م، عندما تعرضت هذه المستعمرة إلى أزمة مالية خانقة دفعها إلى ضرب ثلاث قطع نقدية لعملة الريال مصنوعة من رقائق معدنية خفيفة، وفي 1691م ضرب الإسبان أيضا نوعين من العملات النحاسية في عهد حاكم وهران والمرسى الكبير "الدوق ديكانثو Duc de Canzano"²، إحداها مرسوم على وجهها أسلحة قشتالة وليون، يعلوها التاج الملكي ومكتوب عليها اسم وهران، أما العملة الثانية فخالية من رسم التاج الملكي، باستثناء النقود المضروبة في وهران³.

¹ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص 118.

² - الدوق ديكانثو Duc de Canzano: هو حاكم عام لوهران والمرسى الكبير، خلف الكونت مونتمار الذي قاد حملة استرداد وهران سنة 1732م، حكم أكثر من سنة (1732-1734) ينظر:

Henri leonfey, histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, Oran typographie, Adolphe Pierre éditeur, p96

³ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص 120.

أثر العملات الإسبانية على العملة المحلية في بايلك الغرب:

أدى تداول العملة الإسبانية في بايلك الغرب إلى حدوث علاقة بينهما وبين العملة المحلية، إذ وجد أثر على عملة الإيالة الجزائرية سواء من حيث الاسم أو القيمة، ويمكن تحديد هذا الأثر في أمرين أساسيين هما: أن بعض العملات التي ضربت في الجزائر قد اشتقت اسمها من أسماء بعض العملات الأجنبية، وقد أكد هذا تقارير بعض الأوروبيين الذين زاروا الجزائر، مثل البياستر، والريال بوجو، وقرش الجزائر الذي جاء تمييزا عن القرش الإشبيلي أما الأثر الثاني فيتمثل في تغيير قيمة العملات المحلية إذ تعرضت لصعوبات جمة إزاء مزاحمة النقود الأجنبية لها فالملاحظ عليها أنها كانت متغيرة ومضطربة في الوزن والقيمة.

منذ سنة 1580م، شهدت العملة المحلية اضطرابات مما سمح بسيطرة القرش الإشبيلي، لكن ليس من الممكن تحديد تاريخ لدخول القروش الإسبانية إلى الجزائر، غير أنه يمكن التقدير بأنها استعملت في نطاق محدود خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر¹.

المبحث الثاني: الضرائب وأنواعها في بايلك الغرب.

الضرائب التي تدفعها القبائل للاسبان المحتلين:

قبل الحديث عن علاقة قبائل وهران بالاحتلال الاسباني، لا بد من تحديد مجال نفوذ الاسبان في الغرب الجزائري، والبحث في الأسباب التي دفعت بعض القبائل على التعامل مع الاسبان المحتلين لوهران والمرسى الكبير.

بعد احتلال الاسبان للمرسى الكبير سنة 1505م، ثم احتلال مدينة وهران سنة 1509م، حاول الاسبان إخضاع المناطق المجاورة للمدينة لسلطتهم فكانت هناك حملات إسبانية وصلت حتى لمنطقة غريس وبني شقران، فيمكن القول أن المناطق الواقعة ضمن شعاع من حوالي اثنين إلى ثلاثة فراسخ من وهران كانت خاضعة بصفة مباشرة للاسبان قبل مجيء

¹ - مشرفي جميلة، المرجع السابق، ص ص 121-122.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

الأتراك العثمانيين وتدخلهم في المنطقة، كما نجد مدن مستغانم وتنس وتلمسان كانت تعترف بنفوذ الاسبان¹.

وفي هذا السياق صارت القبائل المجاورة لوهراڻ خاضعة أو شبه خاضعة للسلطة الاسبانية، ومن ضمن هذه القبائل التي ذكرها الشيخ المشرفي وعددها: كرشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، أولا علي، الونازرة²، ومهما قيل عن علاقة قبائل وهران بالاحتلال الاسباني فلا يمكن الجزم في مسألة ولاء هذه القبائل للاسبان طيلة الفترة 1505-1792م، لأن مسألة الخضوع والولاء للاسبان كانت حسب الظروف المعيشية والتاريخية، وأحيانا ما نجد بعض هذه القبائل تنزاح للأتراك وتتمرد على الاسبان³، فقبيلة كرشتل ذات الأصول البربرية حسب عبد القادر المشرفي، قد سكنت ضاحية وهران وكانت ضمن القبائل المتعاونة مع الاسبان⁴، وكانت أراضي كرشتل تمتد من كانتسال حتى ميناء أرزيو، وكان يسمح لأفرادها المتاجرة مع الاسبان وبيع منتوجاتهم ومنتجاتهم داخل أسوار مدينة وهران⁵.

شافع: وهي أحد البطون الثلاثة لبني عامر، بحيث تضم قبيلة شافع كلا من الشقارة وأولاد مطرف، وأولاد صالح، وأولاد بالغ⁶، استوطنت هذه القبيلة المنطقة الفلاحية الواقعة غرب المرسى الكبير⁷.

حميان: وهي قبيلة عربية الأصل، تنتسب لحميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي⁸.

أوجد العثمانيون في الجزائر نظاما ضريبيا متميزا، بالجمع بين ضرائب شرعية وأخرى غير ذلك، كانوا يحصلونها من رعيّتهم، ومن الدول التي ترغب في الحصول منهم على امتيازات، والتجارة معهم.

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ص 303.

² - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، ص 22.

³ - Cazenave, Contribution à l'Histoire du vieil Oran, R.A, N°66, 1925, p.355.

⁴ - المشرفي، المصدر السابق، ص 13.

⁵ - Aramburu, Op.Cit, p 42.

⁶ - المشرفي، المصدر السابق، ص 15.

⁷ - Aramburu, Op.Cit, p 40.

⁸ - المشرفي، المصدر السابق، ص 15.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

وقد كانت جباية الضرائب تعتبر من الأعمال الكبرى للبايلك، ومن المهام الأساسية للإدارة، والموظفين المحليين، كما غدت تمثل المصدر الرئيسي لدخل البايلك بصفة خاصة، والإيالة بصفة عامة، بعد تراجع مدخولها من الغزو البحري بشكل ملحوظ منذ القرن 18م ولا سيما في العقود الثلاثة الأولى من القرن 19م.

-أصناف الضرائب وأنواعها:

نظرة على الضرائب التي كان يدفعها الرعايا الخاضعون للإسبان، لما كانت القبائل في الفترة التي سبقت فتح وهران، قسمين: القسم الأصغر تابع للإسبان، والقسم الأكبر تابع للعثمانيين، فقد رُئيت من اللازم إلقاء نظرة على تلك الضرائب وطريقة استخلاصها.

لقد كانت القبائل المستوطنة نواحي وهران يدفعون ضرائبهم إلى الإسبان طيلة وجودهم في هذه المدينة، وقد تطرقت عدة مصادر لذلك؛ ففي بداية الاحتلال الإسباني كان اليهود هم من يقومون بمهمة الجباية، حيث ذكر المشرقي أن: "... يهود وهران كانت لهم صولة عظيمة على بني عامر، لكون الجباية كانت على يد اليهود دون الإسبانين، فكان اليهودي يخرج بمحلته لقبض الضريبة، فيضرب خبائه بوسط دواوير بني عامر، من أولاد عبد الله وغيرهم، ثم يتصرف فيهم تصرف الملك في الرعية، بما شاء أمرا ونهيا..."¹، وفي هذا السياق يذكر أبو راس أيضا أن: "... الإسبان لما ملكوا المدينة، أنزلوا اليهودي بهذا البرج - (برج المرسى) وفوضوا له التصرف في الخراجات البرية والبحرية، وتوارثها عنه بنوه... فكان يخرج العامل من يهود هذا المرسى إلى مضارب بني عامر، وخراجاتهم في زي الملوك بخدم من أسارى المسلمين، فينزل بفساطيطه فيحكم بين أهل الإسلام...، لكن مع الزمن تطورت الأمور وتغيرت، وأصبح الإسبان هم وحدهم من يقوم بجباية الضرائب، وذلك بسبب وقوع منافسة بينهم وبين اليهود، فقررت إسبانيا وضع حد لسلطة اليهود..."².

الرومية: كان السكان الخاضعون للسلطة الإسبانية حول وهران، يدفعون كل سنة ضريبة الزامية تدعى بالرومية، وهي عبارة عن كمية من القمح تقدر باثنين من الدوبلات (doblas) عن كل خيمة، ومقابل ذلك تنعم القبيلة بالأمان لمدة سنة، ولم تكن هذه الضريبة

¹ - المشرقي، المصدر السابق، ص 35-36

² - نفسه، ص 23

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

محددة دائما، وانما كانت تتحكم فيها الظروف زيادة ونقصانا، حسب كمية المحاصيل وحسب عدد خيام النجع الذي يزداد أو ينقص، كما يختلف حجم الدوبلة بحسب أهمية القبيلة، فعدد الأمداد (جمع مد) التي تشملها كل دوبلة يحدد بواسطة اتفاقيات خاصة بين الاسبان، وشيوخ القبائل، فالدوبلة في سنة 1120هـ\ 1708م، وهي سنة التحرير الأول لوهران، كانت تشمل 112 مدا عربيا، أي 28 برشالا اسبانيا، أو 13 فناقا قشتاليا، أو 08 هكتولتر تقريبا¹.

وكان تحديد مقدار الرومية يتم في شهر جوان من كل سنة عندما يجمع الحاكم العام للمدينة وضواحيها مجلسا يضم كل الشيوخ، ورؤساء العشائر، والزفن²، وعددا من الفرسان الى وليمة كبرى، وهذا من أجل ذلك الغرض، يقدم الحاكم العام لهذا المجلس الطعام المؤلف من السمك، والفواكه المجففة، ثم يبدأ كلامه عن مقدار الرومية لتلك السنة من القمح والشعير، وفي هذا الاجتماع يتم الفصل في حجم الضريبة، وعند الانتهاء يأخذ الشيوخ منحتم السنوية، المتمثلة في كميات من تبغ البرازيل الذي يقدرونه كثيرا، وقد كانت هذه الإجراءات عبارة عن معاهدة حماية تعقد بين الطرفين لمدة سنة ليتم تجديدها³.

وكان شيخ الدوار يلتزم بدفع الإتاوات مقابل تحقيق الأمن والسلام لنفسه ولدواره، وذلك بان يقدم للاسبان الرهائن المتفق عليها، وكانت تشمل عادة بعض أبناء الشيخ أو ذويه، حيث يستقرون في مدينة وهران على حساب الخزينة الاسبانية، إذ يحصلون على المعاش الضروري الذي كان يتنوع وفقا لعدد الأشخاص ويقدر ما بين 03 و12 ريال بيلون بروفنسي (Reaux de billon provincial)، وهذا الريال هو الجزء الأربعيني من الريال الفضي⁴.

يعتبر الشيخ المسؤول الأول على جمع تلك الضريبة من سكان الدوار حسب مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، ويدفعها بدوره للحاكم الاسباني في كل سنة، مع حلول شهر جوان،

¹ - كانت وحدات كيل الحبوب هي: المد العربي = 6.5 لتر، والبرشالة القشتالية = 728 لترا، والفناق القشتالي = 55 لترا وأحيانا 62 لترا.

² - جمع زفينة، تشير لمجموعة كبرى من القبائل، ذات دواوير كثيرة، كانت تقطن في نواحي وهران، كما تشير إلى المكان الذي تتجمع فيه الدواوير الكثيرة، وقد اشتهرت منها ثلاثة زفن هي: حميان، وأولاد شافع، وهيرة.

³ - Fey (H,L.), op.cit, p226.

⁴ - Vallejo(J), op.cit, p 358.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ويتقاضى مقادير مالية تتراوح ما بين 60 و100 بياستر مقابل مهمته هذه، ويتسلم وصل الدفع¹.

تمتعت قبيلتنا أولاد شافع، وحميان، بخصوصية عدم دفع الضرائب بنفس قيمة بقية القبائل الأخرى، ولا يتركّان رهائن للأسبان، وكانت طريقة القبيلتين أنه في فترة الحرث والبذر، يتم الدعوة إلى انعقاد مجلس يضم شيوخهما بحضور القائد العام، وضباطه، ومترجميه ليتم إحصاء عدد دافعي الإتاوات في سجلات بحسب المساحة المزروعة لكل فرد، وكان يقدر على كل خيمة دويلة من القمح عن كل حقل مزروع، و30 مدا من الشعير، وفي مقابل ذلك يتحصل الشيوخ على مكافأة تقدر ب 01 ريال فضي عن كل دويلة يقدمونها².

لم يكن مسموحا بتأخير الدفع، وأن الذين يتماطلون في التسديد، كان ينشر في حقهم أمر ملكي يطالبهم بتقديم واجباتهم، ويمنحهم مهلة، وبانتهائها يعتبرون أعداءً للأسبانيا، وكان هذا الأمر يترجم إلى العربية، ويعلق على الأبواب، وعندما لا تدفع إحدى القبائل ما عليها فإن رهائناتها يتم بيعهم في سوق النخاسة، وإيراد ذلك يدفع إلى الخزينة.

لقد استطاعت اسبانيا في بعض الفترات أن تفرض سلطتها على 140 دوارا، تتسلم في كل عام 04 أو 05 آلاف كيلة من الشعير، و16 ألف كيلة قمحا³.

المغانم: إضافة إلى هذه الضرائب، كان الأسبان يقومون بشن حملات في العديد من المرات على الدواوير المستقرة بالقرب من المدينة، وغير الخاضعة لسلطتهم، ويعودون منها بقطعان الماشية، والأسرى الذين كانوا يباعون جهرا، وكان مقدار البيع يوزع على الموظفين،

¹ - كانت بعض القبائل العميلة تطلب من الإسبان مبالغ كبيرة في مقابل تحالفها معهم، وهذا ما اقتنسه بودان من عند المزاري، حيث ذكر أن أولاد عبدالله كانوا يدعون ب: عرب دمليون سموا بذلك لأنهم كانوا يطلبون منهم العدد الكثير، فيقول أحدهم للنصارى دمليون، بمعنى أيها الروم أعطونا عشرة ملايين، أي عددا كثيرا من المال، أنظر :

Bodin(M), « note sur l'origine du nom de "Mogataze." », in **B.S.G.O.**, T34, Oran, 1923, p243.

² - Valléjo(J), op.cit, p 361.

³ - Ib.Id, p 361.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

الجنود، والسكان، وفقا للقوانين التي كانت مقررة، وكان جزء منها يُضم إلى الخزينة، غير أن الكثير من الحملات كانت تنتهي بالفشل.¹

الغرامة: كانت القبائل الموالية للاسبان (المغاطيس) يبيعون أيضا القمح والشعير في وهران بالثمن الجاري لتزويد السكان والجيش، وقد كان الاسبان يفرضون عليهم رسما يدعى "الثن" وتسميه القبائل الغرامة، كما أنهم كانوا يذهبون الى وهران لبيع المواشي، وكان يطلب منهم الضابط المكلف بذلك دفع بعض المواشي كضريبة على دخول السوق الذي اصطلح عليه فيما بعد (القمرق).²

الضرائب والرسوم العثمانية:

ومن أهم ما يلاحظ على البايك أو السلطة الحاكمة فيه، أنه لم يكن يتدخل في تنظيم الإنتاج، ولا في فرض أنماط محددة من الزراعات والصناعات على القبائل، في حين أن تدخله كان يقتصر على اقتطاع جزء من المنتج على شكل ضريبة كانت في أكثر الأحيان عينية.

وقد كانت الموارد الجبائية لبايك الغرب الجزائري مثل غيرها من المقاطعات الأخرى، تتشكل من ضرائب ورسوم عديدة، ويمكننا التمييز بينها: فبعضها ضرائب شرعية، وبعضها الآخر استحدثه العثمانيون، وفي هذا المبحث تحليل لفئاتها وأصنافها، وأشكال تحصيلها، لنتمكن من خلال ذلك، معرفة مدى تأثير هذا النظام الجبائي على مختلف مجالات الحياة في المقاطعة الغربية خلال القرنين 17 و18م، ويحسن بنا أن نشير الى نظام الضرائب لأخذ فكرة واضحة ودقيقة عن واقع الجباية بالبايلك، ولاتمام ذلك أردنا معالجتها والتعريف بها في هذا المبحث.

وقبل التفصيل في أنواع الضرائب لابد من القول أنّ الضرائب الآتي ذكرها، لم يكن يخضع لها كل السكان في مكان واحد، فالجميع يعلم أنّ أنواع الضرائب وطرق جبايتها متعددة، منذ أن ركز عليها الكتاب الأجانب وغيرهم للجهاز البايلكي، وكان يهمهم ابراز

¹-Valléjo(J), «Contribution du vieil Oran» trad. Par commandant Pellecat, in **B.S.G.O.**, Oran, 1962, p 231.

²- Ibid, pp 362-363

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

جانب الشدة فيه لتبرير أطماعهم وأهدافهم، ويوحي استقراء تلك الوثائق والمصادر بأن الإتاوات كانت متنوعة الى درجة تكاد تستعصي على الحصر، ولكن في الواقع غير ذلك، اذ أن تنوع تلك الضرائب وتحصيلها لم يكن كله في مكان واحد، بل هناك ضرائب تجبى في مناطق دون غيرها، وكل منطقة أو قبيلة يستخلص منها أنواع فقط من الضرائب وغيرها¹.

أولا- الضرائب الشرعية:

نظرة على الضرائب الشرعية:

إن دراسة النظام الجبائي تتطلب معرفة دقيقة بالإسلام وتاريخ المجتمع ومقوماته، وكذلك بفترة الوجود العثماني الذي ترك آثاره وتنظيماته على هذا النظام، بإخضاعه لبعض التعديلات الشكلية على جوهره، لذلك سوف نقصر في دراستنا على أصوله، وتطلعات العثمانيين، وأهدافهم ووسائلهم في ذلك.

من حيث المبدأ تبنى العثمانيون قواعد الشريعة الإسلامية في نظام ضرائبهم، وبالأحرى على النظام المالي العربي الإسلامي، ومن هنا كان لابد من إعطاء فكرة واضحة ودقيقة ولو مختصرة على تنوع تلك الضرائب وطرق تحصيلها.

لقد كانت أغلب الضرائب تستخلص من الأراضي، وهذه الأخيرة كانت على صنفين: أراضي العشور، وأراضي الخراج؛ فالأولى هي كل أرض استقر عليها أهلها، وبقوا مشغولين فيها بتصرف مطلق، ويخضعون لاقتطاعات محددة، تدخل عامة في مصطلح الزكاة التي تحمل معنى الصدقة المفروضة².

¹ - وهذا ما جعل الأستاذ سعيدوني يذكر بأن الضرائب العثمانية كانت تتميز بالواقعية، وذلك في اختصاص كل منطقة بضريبة تتلاءم وطبيعة تضاريسها، وأحوالها المناخية، وإنتاجها المحلي، ووضعها الاجتماعي. فالصحراء كان يفرض على سكانها المعونة والعسة، والهضاب العليا يؤخذ منها الغرامة والمعونة، والتل كان تسود فيه الزكاة والعشر، وهلم جرا، كما أن العديد من المجابي ليست ضرائب مثل أموال المخالفات، والهدايا، وكذا الرسوم المختلفة، أنظر : سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي ...، المرجع السابق، ص 119.

² - الزكاة في اللغة صفوة الشيء، وما أخرجته من مالك لتطهره به، وتفرض الزكاة على الأملاك المختلفة، لكن غالبا ما تطلق في الضريبة على المواشي والأموال، أما الزكاة التي تفرض على محاصيل الأرض فتسمى بالعشور، ذلك أنها تساوي عشر المحصول، أي أن العشور وهو زكاة الأصناف.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

أما الثانية أو أراضي الخراج¹ فهي الأراضي التي تم فتحها عنوة وبحد السيف، وتركت في أيدي أصحابها مع أخذ ضريبة منهم، كان يتفق عليها حتى ولو انتقلت تلك الأراضي من مالك إلى آخر، بشرط احترام الالتزامات المنصوص عليها في بداية الأمر، وعندما يعتنق مالكو الأراضي الإسلام طوعية، فتصبح عندئذ أراضي عشرية².

تدخل الأرض المفتوحة عنوة في عموم الغنيمة التي قال الله فيها: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)³، ويقضي هذا أن تقسم الأرض المفتوحة بحيث يكون أربعة أخماسها للغزاة، والخمس للمصالح العامة المذكورة في الآية.

ولما اتسعت رقعة الفتوحات في زمن الخليفة عمر رضي الله عنه، سألته الصحابة قسمة الأرض التي فتحت عنوة بين الغانمين، ولكن الخليفة رأى أن مستقبل المسلمين في هذه البلاد، وما تحتاجه من نفقات في إدارتها وتنظيم شؤونها، وتحقيق مصالح الناس فيها يستدعي التفكير في إبقاء هذه الأرض دون أن تقسم حتى يبقى لمن يأتي بعد الغانمين شيء، وذلك بوقفها على مصالح المسلمين، لهذا رأى الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ترك الأرض لأهلها على أن يوضع عليهم ما يحتملون من خراج، تكون فيه أعطيات للمسلمين وما يحتاجون إليه من نفقات للجند، والقضاة، والعمال، وسد حاجة المعوزين من اليتامى والمساكين⁴، ووافق جماعة من الصحابة الخليفة عمر رضي الله عنه على رأيه وخالفه آخرون ورأوا أن تخمس الأرض، ويقسم أربعة أخماسها على الغزاة، والخمس لمن ذكروا في كتاب الله تمسكا بآية الغنيمة.

وحاول بعض الفقهاء تبرير فعل عمر رضي الله عنه، كما رواه أبو يوسف وذلك لقول الله تعالى: " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله

¹ - ذكر الحنبلي أنه جاء في بعض الأقوال أن الخراج هو المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات محددة، وقال آخرون استناداً إلى ما جاء في كتاب الله بمعنى الأجر في : (أم تسألهم خرّجا فخرّج ربك خير) المؤمنون - 73، وما جاء في قصة ذي القرنين (فهل نجعل لك خرّجا) الكهف 90، أي أجراً، وذكر آخرون أن الخراج في كلام العرب إنما هو الغلة. حيث يسمون غلة الأرض والدار والمملوك خراجاً،

² - خوجة (حمدان بن عثمان)، المصدر السابق، ص 143.

³ - سورة الأنفال، الآية 41.

⁴ - القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج. نشر، قصي محب الدين الخطيب، ط5، المطبعة السلفية، القاهرة. 1396 هـ، ص 28.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ورضواناً"، إلى قوله سبحانه: "والذين جاءوا من بعدهم"¹، ونقل عن عمر رضي الله عنه قال في هذه الآية: "فكيف لا أقسم، وأدع منهو من أهلها بغير قسم"، فأجمع على تركه، وجمع الخراج على أيديهم، والجزية على رؤوسهم².

وقد أورد مناع القطان نقلاً عن عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال الروايات الواردة في ذلك حيث قال: "وجدنا الآثار عن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الأراضي بثلاثة أحكام: أرض أسلم عليها أهلها فهي لهم ملك أيمنهم؛ وهي أرض عشر لا شيء عليها فيها غيره، وأرض افتتحت صلحا على خراج معلوم، فهم على ما صولحوا عليه لا يلزمهم أكثر منه³، وأرض أخذت عنوة فهي التي اختلف فيها المسلمون، فقال بعضهم: "سبيلها سبيل الغنيمة، فتخمس وتقسم، يكون أربعة أخماسها خططا بين الذين افتتحوها خاصة، ويكون الخمس الباقي لمن سمى الله تبارك وتعالى"، وقال بعضهم: "بل حكمها والنظر فيها إلى الامام، إن رأى أن يجعلها غنيمة فيخمسها ويقسمها، كما فعل رسول الله ﷺ فذلك له، وإن رأى أن يجعلها فيئا فلا يخمسها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما صنع عمر بالسواد حيث أن جعله فيها موقوفاً على المسلمين ما تناسلوا، ولم يخمسه وبهذا أخذ الإمام مالك فقد ذهب إلى أن الأرض المفتوحة لا تقسم، بل تكون وقفاً يقسم خراجها في مصالح المسلمين من أرزاق المقاتلة، وبناء القناطر، والمساجد، وغير ذلك من سبل الخير، إلا أن يرى الإمام في وقت من الأوقات أن المصلحة تقتضي القسمة، فإن له أن يقسم الأرض، فالخيار في الأرض العنوة إلى الإمام، إن شاء جعلها غنيمة

¹ - سورة الحشر، الآية 8-10.

² - ذكر البعض أن الجزية هي تطور لكلمة جالية مفرد جوالي، وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطنها آخر، ومنه قيل لأهل الذمة الذين أجلاهم عمر رضي الله عنه عن جزيرة العرب (جالية) ثم نقلت هذه اللفظة إلى جزية التي أخذت منهم، ثم استعملت في كل جزية تؤخذ وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه. ولقد أعلمت الشريعة بضرب الجزية على المشركين أهل الكتاب: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة 29.

بمعنى أن الجزية واجبة على جميع أهل الذمة، ولكن تجب على الرجال منهم دون النساء والصبيان، والعبيد. وهذا عند الجمهور في معنى الجزية، أما عند أبي حنيفة فهو في معنى ثمن للأرض كخراج العنوة عنده، راجع:

³ - الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمان بن رجب)، المرجع السابق، ص 06.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

فخمس وقسم، وإن شاء جعلها فيئا عاما للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم"¹.

قد جاء في جواب لأبي عمر بن منظور أنّ لضرب الخراج، وتوظيفه على المسلمين ما يلي: أولاً أن لا يطالب المسلمون بمغارم غير واجبة شرعاً، إذا كان في بيت المال ما يقوم به، لحديث الرسول ﷺ: "لا يدخل الجنة صاحب مكس"، وهو إغرام المال ظلماً² أي أخذ مال الناس بغير حق، وإذا عجز بيت المال وتعينت الحاجة فلا بأس من فرضه للحكم المستنبط من الآية السابقة المتعلقة بقصة ذي القرنين، ثانياً أن يتصرف فيه الإمام بالعدل فلا يجوز له أن يستأثر به دون المسلمين، ولا ينفقه في سر، ولا أن يعطي من لا يستحق، ولا أن يعطي أحداً أكثر مما يستحق، ثالثاً أن يكون الغرم على من يكون قادراً عليه من غير ضرر ولا إجحاف، ومن لا شيء له، أو له شيء قليل فلا يغرم شيئاً، رابعاً أن يتفقد الإمام هذا في كل وقت وحين، فربما جاء وقت لا يفتقر فيه إلى زيادة على ما في بيت المال، وكذلك إذا تعينت المصلحة في المعونة بالأبدان، ولم يكف المال، فإنّ الناس يجبرون على التعاون بأبدانهم بشرط القدرة، وتعين المصلحة، والافتقار إلى ذلك³.

كانت معظم أراضي الجزائر في العهد العثماني، أراضي عشيرية، وذلك راجع لعدة اعتبارات أهمها أنّ العثمانيين لم يكونوا موجودين في كامل أراضي البلاد، وأنّهم قد سلموا، أو منحوا بالكامل ملكية الأراضي، أو باعوا بعضها للسكان، وأنّ كل الأراضي التي تدعى بالملك هي أراضي عشيرية، كما أن الخراج أصبح يظهر على شكل إيجار للأرض.

وقد كان النظام الضريبي في بايلك الغرب الجزائري، كما في غيره يخضع لنفس الأساليب، والطرق رغم بعض التنوع الذي كان يتميز به، حيث تم إقرار الأعشار من زكاة المحصول: القمح والشعير، الثمار، والأنعام، وطبق الخراج باستخلاص مردوده، لكن

¹ - القطان مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، ط4، دار الميرخ للنشر، الرياض، 1988، ص ص 224-225، وللمزيد عن أراضي الخراج راجع:

الفلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج13، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963-1970، ص ص 116-117.

² - الغرامة ما يلزم ضمه كالغرم بالضم، وأغرمه إياه وغرمته، وقد غرم الدية (حق القتل)، أما المكس فهو في البيع يمكس، إذا جبي مالا، والمكس النقص والظلم، وهو الدراهم التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق، راجع: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، ج4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1952، ص 158

³ - ابن الأمير عبد القادر (محمد)، المرجع السابق، ص 325.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

الملاحظ أنّ ضريبة العشر لم يلتزم في أخذها بالنسبة المحددة شرعاً، وأصبحت خاضعة للظروف، كما ذكر ذلك حمدان خوجة من أنّ: "الشرع جوّز للسلطان أن يتفق مع الرعية حول تلك الأعشار، واستبدالها بمبالغ معينة"¹.

كما نرى أنّ الضرائب التي اعتمدها العثمانيون، وتبدو مستحدثة؛ تعتبر بمثابة تقنين لضريبة الخراج وتعويض لمردودها، وأنّ تلك الضرائب المتعددة، والتميزة بالتنوع؛ من لزمة²، وغرامة وغيرها، التي تظهر وكأنها غير شرعية، غير صحيح، لأنّ في الواقع نجد أن السكان كانوا ينظرون إليها دائماً على أنها تستند إلى مبادئ الشرع، ومن الواجب الديني دفعها، وهذا ما صرح به السكان للفرنسيين أوائل الاحتلال³.

الضرائب على أراضي الملك:

إنّ أراضي الملك هي التي تعرف بأراضي الخواص، والتي يمكن أن تنتقل إلى الأشخاص عن طريق البيع، أو تقسيم الإرث، وقد كانت منتشرة في بايلك الغرب لا سيما في فحوص المدن، حيث كان يستغلها سكان المدن، وموظفي البايك، وهذا ما نجده، في أحواز تلمسان، معسكر، مستغانم، مازونة، وهران بعد استرجاعها⁴، ولقد توسعت هذه الأملاك في أواخر العهد العثماني، وأصبحت تشمل جميع موظفي البايك، من الباي وحتى المالك الصغير، وأصبح فائض انتاجها ينقل إلى المدن لتعيش منه⁵.

وقد كان بعض المرابطين يملكون مساحات شاسعة من الأراضي، وهذا ما نجده مثلاً في جنوب سهل غليزان، حيث كان ثلاثة مرابطين يستغلون 63 ألف هكتار موزعة كما يلي: 50 ألف هكتار لأحفاد سيدي بوعمران مرابط قبيلة هواره، و 08 آلاف هكتار إلى ورثة

¹ - ابن الأمير عبد القادر (مجد)، المصدر السابق، ص 144.

² - اللزمة من اللزوم والالتزام، وألزمه إياه فألزمه وهو لزمة، أي إذا لزم شيئاً لا يفارقه، راجع: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، المرجع السابق، ج 4، ص 177.

³ - خوجة (حمدان بن عثمان). المصدر السابق، ص 89، و 144.

⁴ - قام الداوي حسان باشا بعد فتح وهران، بمنح بعض القطع من أراضي سهل الوفرة في نواحي وهران إلى أبناء الباي محمد الكبير الذكور والإناث، وفي سنة 1236 هـ / 1820 م تم تقسيم هذه الأملاك بين الورثة، راجع:

- Tinthoin(R.), Colonisation, Op.cit, pp89-90

⁵ -Addi (L.), De L'Algérie pré – Coloniale à L'Algérie Coloniale , E.N.L. , Alger, 1985, p29.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

سيدي محمد بن أقدار، و05 آلاف هكتار إلى ورثة سيدي أحمد بن يوسف، وقد كانت هذه الملكية مسجلة بتاريخ 1125هـ/1713م¹.

وكان يستخلص من أراضي الخواص، العشور والزكاة، وضرائب إضافية بحسب الظروف والمناسبات، والتي نورد للتمثيل عنها النماذج التالية:

أ_العشور: يعتبر العشور الضريبية الشرعية الأهم التي تخص المحاصيل الزراعية، بل أن الكمية الكبرى من الضرائب كانت ناتجة عنه، وإذا كان العشور يتم تحصيله باقتطاع عشر الإنتاج، فإن هذه الطريقة لم يعد يعمل بها في العهد العثماني، حيث حدث تغيير تم بموجبه الاستغناء عن هذا التقدير، بأسلوب آخر يعتمد على أساس السكة المعروفة في بايلك الغرب²، وقد تعتمد العثمانيون اعتماد ذلك لسببين:

أولاً: ليتم ضبط جميع مداخيل الدولة، وأن لا تكون هناك أي تجاوزات، أو اختلاسات.

ثانياً: ولكي لا يكون هناك إفراط في جمع العشور أي لئلا يجمع الجباة أكثر من اللازم³.

إن السكة وحدة متقلبة بحسب طبيعة الأرض، وتقدر فيما بين 12 و14 هكتاراً في السهول الخصبة، وبين 08 و10 هكتارات في النواحي الوعرة، لكن كانت تحدد عموماً ب 10 هكتارات، والسكة مساحة أرض يمكن لثورين حرثها في موسم واحد، أما في النواحي التي لا تستعمل فيها الثيران، وتستبدل بالحمير فإن السكة هنا تصبح معادلة نصف الأولى⁴.

¹-Tinthoin(R.), (La Plaine), Op,cit, p100.

²- وهي الزويجة في بعض الجهات، الجابدة أو الماشية في بعضها الآخر.

³- خوجة (حمدان بن عثمان). المصدر السابق، ص 144.

⁴-Bonzem (L.), Du régime fiscal Algéien, these, Paris, 1899, p20.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

وكان يستعمل لزراعة السكة حوالي 06 أحمال قمح، و04 أحمال من الشعير، ولكن في معظم الأحيان كان الفلاح يبذر الشعير في ثلثي أرضه، والقمح في الثلث الآخر، وكان مقدار ما يتم تحصيله من عشور هو صاع¹ من القمح، وصاع من الشعير، وحمولة أو شبكة من التبن؛ أي 0.1 صاع للهكتار الواحد من القمح، ومثله من الشعير².

كانت أكثرية أراضي بايلك الغرب الجزائري هي أراضي عشيرية، والقليل منها هي التي يملكها غير المسلمين تسمى أيضا خراجية، حيث كان يدفع أصحابها نصف المحصول، أو بالإتفاق بينهم وبين الحكومة³، كما أن المنطق كان يستعمل فيها إضافة إلى السكة، تقدير آخر للعشور، حيث يحدد بالتقريب من خلال كميات البذور المزروعة على الأرض⁴، وأنّ العشور كان يتم تحصيله على المحصول الإجمالي دون حساب مصاريف الإنتاج⁵، كما أنّ العشور الذي يبلغ إلى البايك لا بد أن يكون صافيا من كل تكاليف النقل والجباية، وكانت كميات العشور التي يتم تجميعها توضع في المخازن المخصصة لذلك، ثم تدفع إلى قائد المرسى، في انتظار تصديرها إلى الخارج، أو حملها إلى الجزائر العاصمة كالندوش⁶، والتي كان مقدارها 10 آلاف صاع قمحاً ومثلها شعيراً، يحملها الباي كل ثلاث سنوات إلى دار السلطان، إضافة إلى ألفي صاع قمحاً ومثلها شعيراً يوزعها على أرباب الدولة وخدامهم⁷.

¹ - كيلة منقلبة بحسب النواحي، وتقدر ما بين 140 - 200 لتر.

² - كان العشور في بداية عهد الاحتلال الفرنسي، أن الفلاح يؤدي على كل سكة قيمتها قنطارين من القمح، و04 قناطير من الشعير إن كانت الغلة جيدة للغاية، و2.5 قنطاراً من القمح، و03 قناطير من الشعير إن كانت الغلة جيدة فقط، وقيمة قنطار من القمح، و02 قنطار من الشعير إن كانت الغلة متوسطة، وقيمة نصف قنطار من القمح، وقنطار واحد من الشعير إن كانت الغلة رديئة، وفي بداية عهد الاحتلال دائماً كانت موارد السكة الواحدة 03 آلاف فرنك، راجع:

- ابن خوجة محمد بن مصطفى، مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1902، ص17.
- Tecqueville (Alexis de.), Voyage en Angleterre, Irlande, Suisse et Algérie, Texte établi et annoté par, J-P.Mayer et André Jardin, T05, Vol 02, 3^{ème} éd, Gallimard, Paris, 1952, p210.

³ - Algérie, Lois, Op.cit.n 80, 4 Août 1840, p01.

⁴ - Bernard (p.), Les anciens impôts de l'Afrique du nord, préface de M.Auguste Terrier, Ed des Tablettes, Paris, 1925, p23.

⁵ - Clamageran(J-J), L'Algérie, impression de voyage, 3^{ème} éd, Felix Alcan, Paris, 1884, p257.

⁶ - Esterhazy (W.), Op.cit, p279.

⁷ - الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص77.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

الدنوش Donus: بدال ونون خفيفتين، هو اسم مشتق من الفعل (دونمك)، ويعني العودة، وعليه يتضح معنى المصطلح، وهو عودة أو رجوع البايات كل ثلاث سنوات ليقدموا لدار السلطان حساباتهم المالية وتقاريرهم العامة.

والدنوش حسب الدراسة التي قام بها الباحث كعوان فارس، هو مصطلح خاص بإيالة الجزائر دون غيرها، رغم وروده في المعاجم التركية: دونش، دونوشين، والتي تفيد الرجوع والعودة، أي عودة البايات إلى دار السلطان لدفع الضريبة المتوجبة عليهم لحاكم الجزائر.

يذكر بيار بواييه Pierre Boyer، أن وصول الدنوش إلى العاصمة هو مشهد له خصوصيته المتميزة، خاصة إذا كان تحت قيادة الباي شخصيا، إذ يكون مرفوقا بموكب بهيج تفسح لهم الطريق من طرف حملة الرايات، كما يتوقف الموكب عند أبواب المدينة منتظرا قدوم الخرناجي، الذي يكون مرفوقا أحيانا بالداي وكبار المسؤولين، فيقام مهرجان كبير على شرف قدوم الباي.

يذكر بن جلول، الذي كان يشغل منصب باش كاتب أواخر العهد العثماني، أن الدنوش مرتان: واحدة في الربيع، وأخرى في الخريف¹.

ب_ الزكاة: كانت الحكومة العثمانية تفرض الزكاة على رأس المال؛ أي على المواشي والأموال، وكانت الزكاة تعتبر كحق ودين للبايلك على الأفراد، وبمثابة اقتطاع إلزامي سنوي، وكان الهدف من ذلك الحد من سلطة الأغنياء كما يستدل من القرآن الكريم: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)²، أي عدم السماح بتركز الثروة في يد قليلة من الناس.

لقد كانت الزكاة تقتطع حيناً، وبصفة نسبية من المزكين وتؤدي على الإبل، البقر، الضأن، والماعز، وتتم وفقاً للشرعية الإسلامية؛ بحيث أنه لا زكاة من الإبل في أقل من خمسة التي فيها شاة، إلى خمس وعشرين ففيها جمل، ولا زكاة من البقر في أقل من ثلاثين،

¹ - فارس كعوان، المرجع السابق، ص ص 131-132.

² - سورة الحشر، الآية 07.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

أما زكاة الغنم فحتى تبلغ أربعين شاة¹، أما الخيول، والبغال، والحمير فكانت خارجة عن هذه الضريبة.

إنّ تقدير الزكاة وحسب بعض المصادر الأجنبية، لم تكن دائما تخضع لذلك التقدير، بقدر ما تخضع لوفرة المواشي، وقدرات المالكين، فقد ذكر استر هازي، أنه كان يقتطع جملا عن كل 25 رأسا، وبقرة عن كل 30 رأسا، أما الغنم فكان يؤخذ عن كل عشرة شياه واحدة². ولقد كانت الزكاة تحصل أيضا على الصوف، الزبدة، العسل، والشمع، وغيرها بقيمة 3% من القيمة؛ مثل ثلاث جزات من الصوف عن كل مائة جزء، وكانت ترتفع أحيانا لما يكون البايك في حاجة إلى المال، وذلك من خلال عدد المواشي وغيرها، أما الزكاة على المال فكانت محددة شرعا بـ 2.5%، بحيث كل ما تجاوزت قيمته 200 درهم، أي ما يعادل 120 فرنك فرنسي³.

أما زكاة الفطر، ففي الشريعة الإسلامية، وبحسب المذهب الحنفي، فإنها تعطى للفقراء مباشرة دون تدخل الدولة، وبالتالي لا تعتبر من موارد البايك.

إن خرفان، وعجول، وجمال الصدقة أي الزكاة، كانت تحمل إشارة وطابع البايك فالأبقار أو الثيران، كان يتم بيع جزء منها، ويحتفظ بجزء آخر لاستعماله من طرف الخماسين بأراضي البايك، وقد كان يعتنى بكل المواشي، بحيث تعيش في المروج المعشوشبة، أما الجمال فكانت تختتم في عنقها بختم البايك، ويتم حراستها من طرف رعاة يدعون باسم الدواجية، والذين كانوا يستفيدون من ألبانها وجلودها عندما تموت، ولكن في هذه الحالة كان يتوجب عليهم إحضار جزء من جلدها الحامل لعلامة البايك للتحقق من موتها، أما الأغنام فكانت تحت حراسة التشنشرية أو رعاة البايك، والذين كانوا مثل الدواجية

¹ - وللمزيد من التفصيل عن كيفية ذلك، وعن معدلات إخراج الزكاة، راجع: القبرواني ابن أبي زيد، الرسالة، وبهامشها الشرح المسمى تقريب المعاني لعبد المجيد الشرنوبلي، ط4، د.ط، د.م، 1323هـ، ص ص 139 – 141
القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 82-83.

² -Esterhazy(W.), Op. Cit, P240.

³ -Robe (E.) De L'impot Foncier en Algérie, Bastide, Alger, 1871 , P4.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

يستفيدون من حليبها وصوفها، وكان يرئسهم باش تشنشري الذي يسجل بالتفصيل عدد المواليد وعدد الموتى منها¹.

لقد كان باي الغرب يدفع زكاته مثلما يدفع العشور كل ثلاث سنوات، بحيث كانت تقدر ب: 06 آلاف رأس من الغنم، إضافة إلى ما يوزعه على أصحاب الإيالة وخدامهم، مرتين في السنة في أفريل و سبتمبر².

3-الخراج:

ضرائب وعوائد أراضي البايك: إنّ أراضي البايك كانت تشتمل على أملاك مختلفة مثل المزارع والأراضي المؤجرة للخماسة وغيرها من الأراضي التي كان يعتمد عليها السكان في حياتهم، وأغلب هذه الأراضي تم شراؤها، لكن قسما هاما منها كان يعود إلى عمليات المصادرة من لدن القبائل العاصية، وقد كان يستخلص من هذه الأراضي الضرائب على حالتين:

أ-اقتطاع الأراضي: كان العثمانيون يقسمون حصة البلاد التي يستحذون عليها بين العائلات التي تريد الارتباط معهم، حيث يعطى لكل واحدة منهم مشتى³، يقوم بزراعتها الفلاحون، وذلك في مساحة نسبية، بحسب عدد السكات التي يملكونها، أما بقية سكان الدوار فكانوا يعتمدون في معيشتهم؛ إما على تربية قطعان الماشية، وإما من خمس محصول الأراضي التي يفلحونها، وقد كانت أراضي البايك تقتطع للفلاحين وبصفة خاصة لصالح قبائل المخزن، وضباط الجيش، وكبار الموظفين، لمدة غير محددة، مقابل مبلغ نقدي يضاف إلى الضرائب الشرعية، وكان هؤلاء الذين تقتطع لهم الأراضي يعتمدون في زراعتها على الخماسين مثلما كان يفعل البايك في إستغلال أراضيهم.

¹ -Urbain (I.), (Notice sur l'ancienne province de Tetterie) in T.S.E.F.t (1843-44), Paris 1845, pp 437- 438.

² - الزهار (احمد الشريف)، المصدر السابق، ص47.

³ - كلمة مشتى بسميها سكان الجنوب الوهراني(شط) ومشتى من ماش، وهو الشيء القليل القيمة أو المنحط، والعرب موشة أي فقراء، كما أن المشتى مأخوذة من الشتاء، وهي مخيم شتوي؛ قسم من الأراضي المملوكة للزراعة والتي كانت تخصص لعائلات الدوار قطعة من الأراضي لزراعتها، راجع:

Noel (C.), Documents pour servir à l'histoire des Hamyan et de la région qu'ils occupent actuellement, In B.S.G.O., T35 , Oran , 1915, p 145.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

لقد كانت أكثر أملاك البايك مستغلة من طرف قبائل المخزن من دوائر وزمالة وغيرهما حيث كانوا يستحوذون على 78% من مجموع الأراضي الزراعية¹، رغم أنهم يمثلون نسبة 10 إلى 20% من مجموع السكان، وكانت هذه القبائل المخزنية تدفع إضافة إلى الضرائب الشرعية رسما عينيا؛ بالتموين بالزبدة والتبن الضروري لدار الباي، ودفع ضريبة نقدية تدعى حق الشبير، أو ثمن المهمز²، والذي هو اقتطاع خاص بهذه القبائل³، بحيث كان يدفع 0.50 فرنكا عن كل هكتار من الأراضي المحروثة، و0.25 عن غير المحروثة⁴ بحيث كانت لا تتعدى 10 % من قيمة محاصيلها.

ب- كراء الأراضي الزراعية: وهو ما كان يعرف باسم الحكور⁵ في بايلك قسنطينة، ومن خلال الوثائق الموجودة حاليا لم نجد استعمال الحكور في بايلك الغرب، إلا لدى قبيلة أولاد قصير، حيث تمت مصادرة أراضيها، ثم أعيدت إليها؛ وقصة ذلك وقعت في نهاية القرن 18م/11هـ، عندما هاجمت هذه القبيلة خليفة باي الغرب إبراهيم لما كان متجهاً إلى الجزائر حاملا ضرائب البايك، لكن الخليفة تمكن وبصعوبة من الوصول إلى الجزائر، بعدما فقد بعض جنوده، وفي طريق عودته أجبر على اتخاذ طريق سنجاس، وبني وراغ، بعدما أمر الداوي كلاً من باي التيطري، وباي الغرب بالهجوم على تلك القبيلة من الشرق والغرب، وهو ما أدى إلى معاقبتها، وطردها من أراضيها التي أصبحت ملكا للبايلك في سنة 1187هـ/1774م، وبعد سنتين قام الباي بتعيين بني زوج، والفرائلة، وأولاد فارس قبائل زمول على إقليم أولاد قصير، لكن هذه الأخيرة تآقت إلى إسترجاع أراضيها، فقامت بعدة أعمال ضدهم، حتى اضطر العثمانيون إلى إعادتهم إلى أراضيهم، مقابل دفع ضريبة خاصة كثرمن استئجار لأراضيهم، وقد ذكر المفوض المدني لمدينة الشلف في بدايات الاحتلال عن

¹ - Emerit (M.), La situation, Op. Cit, p169.

² - جاء في القاموس المحيط أن الشبر: العطية، والخير، وشيء يتعاطاه النصارى القربان، أو القربان بعينه، وشبر تشبيراً قدر وشبر فلانا فتشبر: عظمه فتعظم، وتشابرا: تقارب في الحرب، أما المهماز، فهو ما يهزم به- حديده في مؤخر حذاء الفارس، يهزم بها فرسه، لحنه على الجري، وثمرن المهمز كان معروفا في أوروبا في العصور الوسطى، بما يسمى بمهماز الملك، راجع: الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، المرجع السابق، ص 372.

³ - Esterhazy (W.), Op.cit, pp 221-267.

⁴ - Yacono(X.), Les bureaux arabe et évolution du genres de vie indigènes dans l'ouest du tell Algérien (Dahra, chelif, Ouarenis, sersou), T01, éd ,larose, Paris, 1953, p 199.

⁵ - الحكور هو كذلك كراء سنوي، كان يدفع عادة نقداً، أنظر:

-Coste (Henri), Les impôts, Achour, Hockor dans le département de Coustantine, A.Jourdan, Alger, 1911, P27.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

أولاد قصير: "أنها القبيلة الوحيدة في مقاطعة الجزائر التي كانت تدفع الحكور، الذي كان مألوفاً وهاماً في مقاطعة قسنطينة"¹، ونجد ذلك مطبقاً أيضاً في أراضي بعض قبائل بني عامر مثل أولاد إبراهيم، خاصة بعد الثورة الدرقاوية، حيث أصبحوا يدفعون حقوق إيجار تقدر بـ 02 ريال بوجو للسكة المزروعة².

2- الضرائب على أراضي السبيقة: لقد كان العثمانيون يقومون بالاستيلاء على أجزاء من أراضي القبائل³ التي ترفض دفع المطالب المخزنية، ويمنحونها للقبائل التي تتحمل إيجارها، ودفع الخراج المتفق عليه، أو تمنح لفائدة قبائل المخزن، أو موظفي البايك، وهذا ما نجده مثلاً في أراضي سهل السمار بنواحي القلعة، في مساحة تقدر بحوالي 2000 هكتار، والتي صادرها الباي محمد الكبير من قبيلة المحال العاصية، بين وادي هليل ومينة، وبين سنتي 1210هـ/1795م، و1220هـ/1805م، كان البايات يستغلونها عن طريق التفضيل بين العائلات التركية المقيمة في القلعة⁴، ولقد كان امتياز هذه الأراضي غير دائم، إنما يتعاقد عليه.

كانت أغلب هذه الأراضي غير خاضعة للبايلك، وبعيدة عنها في جنوب وهران، وكانت كل قبيلة تعرف حدود أرضيها، وتستغلها إما بالزراعة أو الرعي، لذلك فهي أراضي لا تشتري ولا تنتقل بالإرث، وإنما تتصرف فيها القبيلة بشكل جماعي أي ما يسمى بالمشاع⁵، وقد كان يستخلص من هذه الأراضي عدة ضرائب.

اللزمة: وهي ضريبة عينية ونقدية كانت تحصل وتستخلص بصفة منتظمة نسبياً، من القبائل النائية جنوب البايك، أو من القبائل المقيمة في المناطق الجبلية الوعرة، أو من القبائل التي كانت تسكن في أقصى الغرب على الحدود المغربية.

¹ - Yacono (x.), Op. Cit, p176.

² -A. O. M. 10 H 53., Notice Concernant les ouled Brahim- pour le statut du sol, Voir N 77 (ORAN) , rapport du conselller du gouvernement 30. 08. 1805, d'après , P.Boyer, (Historique.) , Op. Cit, pp 57-58.

³ - الأراضي الخاصة بالقبائل كانت تدعى في بايلك الغرب بالسبيقة؛ وهي ما يعرف بالأراضي المشاعة في بعض الجهات، والأراضي العرش في أخرى.

⁴ -Sari (DJ), Op. cit , pp 207-208.

⁵ -Emerit(M.), Les Saint- Simoniens en Algérie . E. Impert, Alger, 1941 . p109.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ولقد كانت اللزمة تجمع من طرف شيوخ القبائل، وتسلم للبايلك للمساهمة في موارد هذا الأخير، وللنفقة على الحاميات العسكرية، وكانت تختلف وفقا للمناطق والنواحي؛ فكانت قبائل اليعقوبية تدفع إلى الباي عن طريق الأغوات لزمة تتكون من العبيد من الجنسين، الصوف، المواشي، السجاد، الجلد الفيلاي المستعمل، السروج، الأجمة، الجلالة (غطاء يوضع على الخيول)، الجمال، ولزمة نقدية، وكانت القبائل المجاورة لتلمسان يستخلص منها لزمة عن طريق قائدي البلد و الجبل، فرعية الأول كانت تدفع لزمة نقدية، و12 حصانا من نفس الفصيلة (متاع العوير)، و 04 خيول قادة، وكانت قبائل بني سنوس، وبني ورنيد، وأخرى تدفع كميات هامة من الظفائر المنسوجة للخيول، أما رعية قائد الجبل فكانت تكلف بصنع ألبسة الباي، وكمية هامة من الحياك، والبرانس وغيرها من المنسوجات المشهورة عند تلك القبائل، كما كان كل سنة يدفع كل قائد منهما مبلغ 40 ألف ريال بوجو إلى أيدي خليفة الباي كلزمة عن القبائل الخاضعة لهما، وكانت قبائل فليطة تدفع لزمة نقدية إلى الباي عن طريق القائد، إضافة إلى كمية من الزبدة، وأحصنة مجللة من نوع واحد، وخيول قادة.

كما كانت القبائل التابعة للخليفة قسمين: رعية السهل تدفع لزمة نقدية، وأحصنة مجللة وخيول قادة، أما رعية الجبل فتدفع لزمة نقدية، وكمية من المواشي، وقد كانت قبيلتا بني عامر ومجاهر الخاضعتان مباشرة للباي تدفعان أيضا لزمة نقدية، والتي غالبا ما كان خليفة الكرسي هو من يتولاها، وكانت كل واحدة تدفع 8000 ريال كلزمة نقدية، و12 حصانا ملجما، و 04 خيول قادة، وبعض المواشي والشعير، بصرف النظر عن الزكاة والعشور، و 80 طست، أو 2400 رطل جزائري من الزبدة المملحة، كما كانت كذلك كل الأماكن التي توجد فيها معسكرات الجيش تدفع لزمة لتمويله بالمواد الضرورية¹.

لقد كانت القبائل الصحراوية لبايلك الغرب، والمتمثلة في ثلاث مجموعات أساسية وهي: أولاد سيدي الشيخ، وحميان، وقبائل جبل عمور، تدفع لزمة ثابتة وبحسب المكانة الاجتماعية والإقتصادية لكل قبيلة، كما كانت قبائل الأغواط تدفع لزمة، أو إتاوة منتظمة²، ولنا في رحلة محمد الكبير تفاصيل كثيرة عن هذه الضريبة، بحيث كان لا يصل إلى موضع إلا وقدمت

¹ -Esterhazy (W), Op cit, pp 269-278.

² - العوامر إبراهيم بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 36.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

له القبائل لزمته، مثل أهل تاجموت وعين ماضي الذين ألزموا بضريبة سنوية، غير ضريبة تلك السنة، وكذلك بني الأغواط التي التزمت بدفع 100 خادم، و5000 سلطاني، و100 ثوب، و04 خيول لتلك السنة فقط، لكن بعد رفضهم دفعها كل سنة قام الباي بمهاجمتهم، و إخضاعهم، فالتزموا بدفع 100 خادم، و5000 بوجو، و250 جمل، و04 خيول، و200 ثوب، إضافة إلى اللزمة التي يدفعونها كل عام¹، وفي هذا الشأن ذكر ابن زرفة: " ... وفتح فيها قاعدة أهل الصحراء وهي بني الأغواط المذكورة، وجعل عليهم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ودفعوا له أبناء مشائخهم وكبرائهم رهائن على أن يرحل عنهم حتى يؤدوا له لوازيمهم، وخراجاتهم، ودخلت تحت طاعته جميع نجوع الصحراء مثل العمور، والزناخرة، والأرباع وغيرهم... أزداد بذلك شطر خراج الإيالة السابقة وسهلت سبل البلاد..."²، ولقد كان الباي كلما تأتي إليه القبائل لدفع اللزمة، وعندما تريد الرجوع إلى ديارها يسأل كل واحد منهم على أن لا يكون منه تقصير في خدمته، ويوصيه أن يدفع لزمته في وقتها، ويكون قائما بما لها وما عليها³.

لزمة اليباشي أو البينباشي: وهي اسم رتبة من رتب الضباط العثمانيين؛ وصاحبها قائد عسكري تحت امرته حسب النظام العثماني ألف رجل، وكان البايات يبعثون آخر كل شهر قدرا معينا من المال إلى الداى، فيدفعه إلى أصحاب هذه الرتبة، فسمي هذا القدر بمال اليباشي، وهذا ما ذكره ابن هطال عن محمد الكبير لما نزل بالبيضاء: "...وردت عليه مكاتيب من الجزائر وهي أجوبة عن مكاتيب اليباشي، فكان من جملة ما استفيد منها أن بعض أهل دائرة سيدنا الباشا نصره الله بعث فرسا أنثى من عتاق الخيل، محبة ورغبة في سيدنا..."⁴، كما ذكر نقيب الاشراف عن هذا بقوله: "...هذا خلاف لزمة البينباشي، وهي أربع آلاف دورو بوجو في كل شهر يدفعها كل باي، فمنهم من يدفعها كل شهر مثل باي الغرب..."⁵، لكن بعد محمد الكبير لم يعد بايات الغرب يرسلونها كل شهر.

¹ - التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب القاهرة، 1969، ص5-65.

² - ابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، م.م.و.ج، رقم 3322، ج1، ورقة 15 ظهر.

³ - التلمساني أحمد بن هطال، المصدر السابق، ص81.

⁴ - نفسه، ص39.

⁵ - الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص47.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

فوجد في رسالة بعثها حسن باي إلى إبراهيم وكيل الخرج في 14 ذي القعدة 1242هـ الموافق ل 1826م، أخبره فيها أنه أرسل لزمة اليباشي لستة أشهر، مع لزمة موسى وهران¹، وأحياناً أخرى كان يرسلها نفس الباي كل ثمانية أشهر، وهذا ما نجده في رسالة بعثها إلى الداوي حسين باشا، والمؤرخة في جمادى الثانية 1243هـ/1827م²، وعموما كانت لزمة بايلك الغرب، يحضرها الباي عند زيارته لدار السلطان في كل ثلاث سنوات، ويقدمها للداوي، وتقدر ب 80 ألف ريال صغيرة كوارط، أما الخلفاء فكانوا يدفعون نصف ذلك كل ستة أشهر³، هذا وكانت هذه الأراضي تدفع عدة أنواع من الضرائب مثل الغرامة والمعونة وغيرها من ضرائب غير محددة، ومستحدثة، لذلك أردت أن أدمجها هنا، ولو أنها لم تكن تخص هذه الأراضي فقط وعموما كانت تخضع لها القبائل التي لا تدفع الضرائب الشرعية، وهذا راجع لعدة أسباب؛ كرفضها دفع الزكاة والعشور، أو بعدها عن مناطق البايك، أو إقامتها في مناطق حصينة لذلك فإنشاء هذه الضرائب كان بهدف تعويض ضريبي العشور والزكاة، ولكن في المقابل كانت هناك ضرائب مستحدثة تخضع لها القبائل التي تدفع الضرائب الشرعية، وهي كالتالي:

أ- الغرامة: وهي ضريبة استثنائية كان يدفعها السكان، وتختلف باختلاف جهات البلاد، ولم يكن يؤديها الناس إلا في أماكن محددة، والغرامة هي الأصل تدفع نقدا ثم أصبحت عينا.

تختلف الغرامة عن اللزمة في كونها مرتبطة عادة بتوجيه المحلات العسكرية، وليس بالالتزام السنوي، وكانت الرسوم المفروضة تتوافق و طبيعة بعض السكان والقبائل.

وكانت الغرامة تضرب أيضا على الأملاك الخاصة حيث ان أراضي القبائل البعيدة عن المدن كان يستخلص منها 10 بوجو ما يقابله (18.80 فرنكا) عن كل خيمة، أما أراضي القبائل القريبة من المدن فكانت قيمة الغرامة أكثر ارتفاعاً، حيث يتم تحصيل 15 إلى 25

¹ - أنظر: مجموعة رسائل محفوظة ب: م.و.ج. رقم 3206، ملف 01، رسالة 11، وهناك رسالة مستنسخة عنها في المجموعة، 190، رقم 74.

² - أنظر: المجموعة 3206، ملف 03، رسالة 51، ويوجد أصلها في المجموعة 3205، ملف 03، رسالة 51.

³ - الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص46.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

بوجود ذلك بواسطة القيادة¹، أما الغرامات على الأموال فكانت تتألف من 01 بياستر (حوالي 03 بوجو) للرأس من الماشية، وكذلك عن كل بغل وحصان، وثور أو بقرة، ومبلغ متقلب عن الأرض المزروعة²، وقد كان شيوخ القبائل يفرضون غرامة تقدر ب 500 فرنك عن أصحاب الأملاك الكبرى، إضافة إلى فرض نوع من الغرامة على الأشخاص وذلك بالنفي من القبيلة، أما ما يخص الخروب، فأموال الغرامات كان يجمعها الشيوخ كل خمسة عشر يوما، ويتم توزيعها بحصص متساوية، بواسطة قطع نقدية تعرف باسم الخروب³.

وكانت الغرامة تفرض أيضا وعموما على المواشي، الصوف، الزبدة، العسل، الشمع الخيول، البغال، الجمال، الأبقار، والعبيد بجنسيهما وغيرها، إن الذي يرفض دفعها تتضاعف عليه⁴، وإذا كانت الغرامة مرتبطة بالمحلة، فقد وجدنا في رحلة الباي محمد الكبير الكثير من الإشارات عنها، وعن الزام الباي لمختلف القبائل؛ ومن هؤلاء سكان عين ماضي الذين لم يلتزموا بها فيما بعد، لذلك قام الباي عثمان سنة 1214هـ/ 1799م، بحملة عليها أجبر سكانها على دفع غرامة بقيمة 17 ألف بوجو (31620 فرنك)، وكمية هامة من الأشياء العينية إضافة إلى تسليم أظافر أحمد التيجاني⁵، وكذلك في سنة 1236-35هـ/ 1820م، عندما قام احمد التيجاني بطرد (التجاجة) الخارجين عليه، والمعارضين له، ولجؤوا إلى جبل عمور حيث استنجدوا بالباي حسن، الذي توجه بمحله إلى عين ماضي، وفرض عليها الحصار، فقامت التجانية مقابل إبعاده، بدفع مبلغ 100 ألف بوجود غرامة عن ذلك، إضافة إلى كمية هامة من البرانس، الحياك، الألبسة، وغيرها⁶، وحسب المزارعي فإنه وفي سنة 1241هـ/ 1825م، عاود الحسن باي حملة على عين ماضي، وفرض على سكانها، لزمة سنوية قدرها 500 ريال، وغرامة تقدر ب: 1000 ريال⁷.

¹ -Ministère de la guerre, « Des Impôts et Revenus de la Régence », in T. S. E. F., 1838 , p372.

² - Renaudot(M.), Op. cit, p149.

³ - Genty de Bussy (M.P.), Op. cit, T 01, p173.

⁴ - Urbain (I.), Op .cit, p402-440.

⁵ - Mercier (E .), Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les Temps les plus reculés Jusqu'à la conquete Française (1830), T03 , E. Leroux, Paris, 1891 , p450.

⁶ - Rinn (L.), Op. cit , p220 , et 199.

⁷ - الأغا بن عودة المزارعي، المصدر السابق، ج1، ص353.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ب-الخطية: هي نوع من الضرائب، كانت تفرض على أفراد القبائل بصفة فردية، أو جماعية عند ارتكاب مخالفات، أو عند عصيان، أو التورط في السرقات، وغيرها من الأعمال التي تستحق العقوبة في نظر الشرع¹.

إن الخطية هي العقوبة بالمال²، كانت تفرض على القبائل العاصية التي يتم إخضاعها

لذلك تقدمها مقابل حصولها على الأمان، وكذلك عند وقوع جرائم القتل وانتهاك الحرمات

لتصبح الخطية بمثابة الدية³ التي كانت محددة ب 1000 سلطاني (10 آلاف فرنك)⁴، يجمعها يجمعها أعيان المنطقة، وتوزع على ورثة الشخص المغتال، وإذا لم يترك ذلك الشخص وارثا، توضع تلك الدية في صندوق بيت المال⁵، كما أن بعض الجرائم أو الجنايات السياسية، السياسية، والمدنية المرتكبة، كانت تؤدي إلى مصادرة الأملاك أو دفع مقادير نقدية، وأحيانا كان القياد يتهمون الأفراد ببعض التهم لفرض الخطية، وهذا ما نلاحظه في الحادثة التي وقعت أثناء تحرير وهران، والتي ذكرها ابن زرفة الدحاوي، حيث اتهم القائد محمد بن عمر بعض رعية المرابطين بمسرغين أنه: "...أخذ منهم الخطية المخزنية..." فاشتكوا إلى الباي محمد الكبير، الذي كتب إلى محمد بن عبد الله، والطاهر بن حوا للحكم بين الطرفين، فقاما بذلك، وتم ارجاع المظالم إلى أهلها وعزل القائد⁶.

رغم أن هذا كان ممنوعا في مركز الدولة العثمانية، ولم تكن تلك البيوت موجودة في كل المدن، مستثناة في بعضها، وكان المتكفل بها هو المزوار الذي كان يوسع موارده منها، مع ضمان انتظام المداخل، وتحديدتها، وواجب أدائها في أوقات ثابتة⁷.

¹ -Urban (I.), Op. cit , p403.

² - ابن أبي الصياف أحمد، الباب السادس من إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان " دولة أحمد باي"، تحقيق أحمد بن عبد السلام، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية، تونس، 1971، ص 235.

³ - سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية - الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 340.

⁴ - حسب بعض الفقهاء فإن الدية محددة ب 1000 دينار، أو 10 آلاف درهم شرعي، أو 100 من الإبل، أو ألفا شاة، أو مئتي بقرة، أنظر:

-القاضي أبي يوسف، المرجع السابق، ص78، والقيرواني ابن أبي زيد، المرجع السابق، ص 244.

⁵ - خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص 161.

⁶ - المصدر السابق، ورقة 61 ظهر.

⁷ -D'Aubignox " Alger.", in, Revue de Paris., T 23, Paris., 1831 ; pp 171-172.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ج-المعونة: وهي نوع من الضرائب التي كانت تفرض على قبائل الرعية، بهدف تمويل المحلة في الأرياف، أو لسد نفقات الموظفين، وكانت تستخلص عينا، وفي حالات نادرة تحصل نقدا.

إنّ فرض المعونة كان راجعا إلى عدم استيفاء ضريبيتي العشور، والزكاة بنفقات البايك عامة، والجيش خاصة، ولعل هذا ما أدى بالأمير عبد القادر فيما بعد، عندما أراد الأخذ ببعض النظم الضريبية العثمانية، إلى طرح قضية المعونة على مجلس الشورى، الذي اتفق على فرضها على الرعية استنادا على أسس شرعية¹، ثم قام باستفسار علماء المغرب عن ذلك، وعن عدة أمور، تولى الشيخ التسولي الإجابة عنها، ومن ذلك سؤال الأمير: " هل يعد مانع المعونة باغ أم لا؟"²، فلذلك أبقى الأمير عليها.

لقد كانت المعونة تؤخذ من السكان لتزويد الجيش؛ مثل الجمال ، الخيول، البغال، الحمير الضرورية، الأبقار، الخرفان، الزيت، وعدة مؤن باستثناء البسكويت، الذي كان يقدمه البايك وكانت تؤخذ عادة كل ستة أشهر³، كما كانت المعونة تضرب على المناطق الزراعية المتقلبة، التي لم يستعمل فيها مبدأ السكة أو الزويجة، ويتم استخلاصها من طرف خوجة المعونة، أو كاتب مخزن الزرع⁴.

3-الضرائب على أراضي الموات: تعتبر أراضي الموات تلك الأراضي الخالية من السكان، ولا يملكها أحد، وتركت بدون استغلال، أو كانت أراضي غير صالحة للزراعة.

وقد جاء في كتاب القلقشندي عن هذه الأراضي ما يلي: "... فأما الموات فإن كان لم يزل مواتا على قديم الزمان، لم تجر فيه عمارة، ولم يثبت عليه ملك، فيجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ويعمره، وفي مذهب أبي حنيفة إنّ إذن الإمام شرط في إحياء الموات، وحينئذ يقوم الإقتطاع مقام الإذن..."⁵، ومن هذا القول نجد أنّ الذي يقوم باستصلاح الأراضي يملكها ملكا

¹ - عبد القادر محمد الأمير، المصدر السابق، ص188.

² - التسولي أبو الحسن علي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، دراسة وتحقيق، عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 104.

³ - Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son politique, et commerce, Préface, noel laveau, André Nousché, Ed.Loysel, paris, 1992, p154.

⁴ - Boyer(P.), L'évolution, Op .cit, pp 37-38.

⁵ - القلقشندي أبو العباس أحمد، المرجع السابق، ص113.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ملكا خاصا لكن تفرض عليه ضريبة، هذا ولما كان العثمانيون يتبعون المذهب الحنفي، فإنهم كانوا يتفقون مع السكان لمنحهم إياها واستغلالها، ودفع الخراج عليها؛ مثلما كان حال اتفاقهم مع مرابطي الحساسنة، في سهل غليزان سنة 1125هـ/1713م¹.

4-الجزية: وهي ما كان يفرض من مال على كافة الطوائف الدينية، من يهود ونصارى، أو ما كان يسمى بأهل الذمة المقيمين في المدن الإسلامية.

وقد كان اليهود المقيمون في بايلك الغرب الجزائري يدفعون مبالغ مالية كجزية على تأمينهم، وحقن دمائهم مع اقرارهم على دينهم، ولا تسقط هذه الجزية إلا بالإسلام، أو الموت² وكان يجمع هذه المستحقات أمين، أو مقدم الطائفة اليهودية؛ حيث كان يفرض من 01 بوجو فأكثر على كل فرد³، وكان أحيانا يخفض على اليهود مقدار الجزية مقابل شيء يقدمونه أو عملا يقومون به، وهذا ما حدث في وهران عندما منحهم الباي محمد الكبير القسم الأعلى من المدينة، على أن يدفعوا ثمنا قليلا مقابل تشييدهم للمكان⁴.

ثانيا-الضرائب المستحدثة: يجب التنبيه إلى أن الضرائب التي سنتطرق إليها في هذا المقام ليست كلها ضرائب، وليست كلها ضرائب مستحدثة، كما قد يفهم من هذا العنوان؛ إنما المراد بذلك هي كل العوائد وحقوق التولية، والرسوم المختلفة وغيرها، كما أنّ هناك بعض الضرائب التي تبدو مستحدثة كالعوائد، والرسوم المختلفة ولو أنّ بعضها شرعي، بسبب أنّ منها ما كان يفرض على سكان المدن الذين كانوا يدفعونها بمنزلة الضرائب الشرعية وغيرها.

1-عوائد سكان المدن: إنّ أهم عوائد سكان المدن هو ما كان يعرف ب"ضيقة متاع دار السلطان" أو "ضيقة متاع خير الدين"، التي كانت تقدم لأغا النوبة عن طريق شيخ البلد بمناسبة تغيير الحامية، وقد كانت تدفع هذه الضريبة في بايلك الغرب بحسب أهمية المدن، بداية من 2000 إلى 05 آلاف ريال بوجو، وأحيانا أخرى ما بين 1500 و 3000 ريال، كما

¹ -Tinthoin (R.) , « La plaine. », Op. cit, p 100.

² -Mercier (E.), « La propriété indigène en Mag'reb », in , R. S. A. C, 23^e Vol, Constantine , 1898, p 326.

³ -Ministère de la guerre , « des Impôts. », Op. cit, p 371.

⁴ -Genty de Bussy (M, P.), Op. cit, T 02,p 247.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

أن كل مدينة لا يوجد فيها نوبة، كان يفرض على سكانها إضافة إلى الضرائب الأخرى، ضريبة تدعى ب: "ضيفة متاع دار الباي"، والتي كانت هي الأخرى في بايلك الغرب تختلف من مدينة إلى أخرى؛ من 800 إلى 2000 ريال، إضافة إلى 12 حصانا معداً ومجللاً، و04 خيول قادة، لذلك فهي ضريبة مخصصة لتغطية تكاليف استقبال الباي¹، ومن المدن التي لم يكن يوجد فيها حامية عثمانية نذكر مدينة تنس التي كان قائدها يدفع كل سنة إلى مدينة القلعة مبلغ 531 بوجو²، وهو ما كان يدعى ب: "باشمات البايك" حيث كان يوجد في مدن مليانة، مازونة، معسكر، تلمسان، مستغانم، وكلاء للباشمات يعينون من طرف الباي، لذلك كانت تفرض ضريبة التموين بالقمح الذي يستعمل جزء منه في صناعة الباشمات للجيش، ويحتفظ بجزء آخر لحاجة النوبات، والجزء المتبقي يضم إلى العشور، وقد كان وكلاء الباشمات يستقبلون كذلك الباي في مدنها أثناء رحلة الدنوش، ويقدمون له هدية الاستقبال، مثلما كان يعمل وكيل باشمات مازونة وقائدها وغيرهما³، كما أن الداوي كذلك كان يرسل الباشمات إلى البايات، وذلك ما نجده من خلال رسالة بعثها حسن باي إلى إبراهيم وكيل الخرج، أخبره فيها أنه تلقى 250 غرارة باشمات من الداوي⁴.

2- ضرائب ورسوم النقابات المهنية والمحلات التجارية: لقد كان ملزماً على أصحاب النشاط الاقتصادي في المدن دفع ضرائب ورسوم على النشاط، والتي كان يجمعها الأمراء⁵، الذين كانت الأعمال خاضعة لهم، وإليهم يرجع تسيير أصناف صناعاتها، بمساعدة قانون يضعه قائد المدينة، وبمقتضى نظام مالي خاص، وقد كان بايلك الغرب كغيره من المقاطعات يحتوي على عدد من الحرف والصناعات في مدنها، وكانت أغلب المدن به تضم ستة أمراء على الأقل في كل مدينة وهم: أمين الحدادين، أمين النجارين، أمين البردعة أو صانعي

¹ - Esterhazy (W.), Op. cit, pp 241-279.

² - GENTY DE Bussy (M,P.) , Op. cit, t2, P 186.

³ - Esterhazy (W.), Op. cit, p 242.

⁴ - غرارة جمع غراير، وهي الجواله التي تنسج من الصوف، أو وبر، أو شعر، يقصد جعلها أوعية للحبوب. وهناك مصطلح آخر يدعى التليس، ويصنع كذلك من الصوف والشعر، ويستخدم للنقل، حيث تصل طاقته إلى 200 كغ، راجع: أرشيف م. و. ج، مجموعة 3206، ملف 01، رسالة 07، مؤرخة في أواخر شعبان عام 1241هـ/1825م، وانظر كذلك مجموعة 1903، رسالة 44.

⁵ - كان العثمانيون متحفظين من تنظيم هذه المجموعات الإدارية المنضوية تحت إشراف أمين لذلك كانوا يتحينون الفرص لاستغلالهم، راجع:

Lespes(R.), « Quelques documents sur la Corporation Mozabite d'Alger dans les premiers temps de la Conquete (1830-1833). », in R.A, n 66 , Alger , 1925, p197.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

الألجمة، أمين الكنداقجية أو مصلحي البنادق، أمين التشاقمجية (الذهب)، وأمين البنائين، وكان هؤلاء الأمناء يسجلون عمالهم لتقديم كل ما تحتاجه خدمات البايك المختلفة، وخدمات المحلة المتنقلة¹، وكانت قيمة الرسوم ثابتة وفقا للحرف، والمهن الممارسة من طرف الأفراد، بحيث تقدر ب01 إلى 03 بوجو للشخص، والعديد من البوجوات بالنسبة للمحل أو المؤسسة²، لكن في معظم الأحيان كان يدفع الصناع، والحرفيون رسومهم عينا.

وقد كان الأمناء إضافة إلى ذلك، مرغمين على توفير بعض الخدمات الاقتصادية المرتبطة بالإنتاج لحاجة البايك، وهذا ما نجده لدى السراجين مثلاً، والذين كانوا يجبرون على توفير لوازم الفرسان مجاناً، وكذلك الحدادين مثلما كان عرب مليانة مجبرين على تموين المسافرين بما يحتاجونه وبدون تعويض³، وكان نساجو ندرومة منذ القرن 11/17م يدفعون وبانتظام إلى غاية الاحتلال الفرنسي 1000 قطعة من النسيج القطني السميك، مخصصة لخيام الجيش وأكثر من 100 قطعة للبايك كل سنة⁴.

المبحث الثالث: الضرائب من خلال الظهائر: دراسة تحليلية.

سنحاول أن نتطرق خلال هذا المبحث للحديث عن الضرائب على ضوء بعض الوثائق التي عثرنا عليها خلال بحثنا لدى بعض الأسر الشريفة والعلمية، والتي تزخر بمادة تاريخية هامة تمس الجانب الضريبي.

تتمثل هذه الوثائق في ظهائر الإعفاء والاحترام التي كان يمنحها البايات والدايات للشخصيات والأسر الشريفة والعلمية.

¹ - Esterhazy (W.), Op. cit, p280.

² -Ministère de la guerre, Op. cit, p280.

³ -Desfontaines (L, R.), Op. cit, p150.

⁴ -Sari (DJ.), Op. cit, p36.

تعريف الظهير لغة:

جاء في لسان العرب الظهير العون، والظهير المعين¹، وورد في القاموس المحيط، الظهير المعين كالظُّهْرَة والظُّهْرَة وجاءنا في ظُهرته بالضم والكسر وبالتحريك، وظاهرته أي عَشيرته².

اصطلاحاً:

عرفه القلقشندي في باب فيما كان يكتب عن مدعي الخلافة ببلاد المغرب والأندلس، فقال: "الظهائر جمع ظهير وهو المعين، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن كُتِبَ له³.

وفي باب النسب تعتبر الظهائر السلطانية أعلى سند في تصحيح الأنساب لأنها مبنية على وثائق شرعية صحيحة وشهادات نقيية صريحة⁴.

وقد كان الحكام في الجزائر خلال الفترة العثمانية، يصدرون ظهائر التوقير والاحترام والاعفاء من التكاليف إلى بعض الأسر والشخصيات الشريفة ذات التأثير المهم في المجتمع، جلها تحمل في طياتها الاحترام التام والتوقير للأشراف والإقرار بالنسب النبوي الشريف⁵.

أسباب إصدار الظهائر:

من خلال العديد من الظهائر التي اطلعنا عليها والتي تعود لأسر وشخصيات عديدة صدرت في فترات زمنية مختلفة، يمكن أن نحدد أسباب منحها من البايات والحكام العثمانيين فيما يلي:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، ط1، ج08، دار إحياء التراث العربي، ص 278.

² - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مجدي فتحي السيد، ج2، المكتبة التوفيقية مصر، ص 92.

³ - القلقشندي أحمد، المصدر السابق، ص299.

⁴ - عبد السلام العمراني الخالدي، الجواهر الباهرة في النسب الشريف، دار الكتب العلمية، ص204.

⁵ - أسيا ثامر هادي الغبيدي، آل البيت العلوي في المغرب وأثرهم في الحياة العامة حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، دار الكتب العلمية، ص487.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

- ظهور إحترام وتوقير للأسر التي نسبها شريف متصل بنسب النبي ﷺ، بحيث يتم الإشارة في نص الظهير إلى النسب الشريف للشخص أو الأسرة التي تحصلت عليه من خلال عبارات "الشريف" أو "الشرفاء" أو عبارة "النجباء الأبرار أبناء النبي المختار".¹
- ظهور إحترام وتوقير لتأديتهم أدوارا ومهاما تربوية، بحيث يبذلون قصاراهم في تفهيم هذا الشعب بما يعود عليه بالخير العميم وكانوا يعلمونه مبادئ دينه ويلقنونه كيفية عبادة ربه وكانوا يعظونه بالحكمة والموعظة.²
- الدوافع السياسية، بحيث كانت السلطة تحافظ على الأسس العامة من خلال احترامهم للأماكن التي كان يراها سكان الجزائر (البربر على حد تعبير حمدان خوجة) أماكن مقدسة بسبب الرمزية المنسوبة إليهم أو الشخصيات المدفونة بها³، ونظير النفوذ المطلق، والسطوة التي لا مثيل لها التي أحرزتها هذه الشخصيات والأسر.⁴
- تجديد لظواهر سابقة يتم التأكيد فيها على ضرورة توقير واحترام صاحبها بموجب الظواهر القديمة التي يملكها.

قيمة وأهمية هذه الظواهر:

تكمن قيمة هذه الوثائق فيما يلي:

- التأريخ لشخصية دينية علمية قامت بأدوار تاريخية هامة في فضاء الراشدية خلال القرن 11 هجري والتأكيد على هذه المكانة.
- صدرت هذه الوثائق عن جهات رسمية تتمثل في بايات بايلك الغرب الجزائري، على ضوءها نضطر إلى إعادة النظر في تاريخ وترتيب هؤلاء البايات فالوثيقة رقم 02، كتبت بتاريخ 1101 هـ، بأمر من البايع شعبان الزناكي، في حين أن المصادر التي

¹ - بشير بويجرة أحمد البدوي، كتاب نسبنا الشريف وشواهد الملوكية والإجازات، قام على خدمته تقي الدين بوكعبر، دار خيال للنشر والترجمة 2024، ص 79-81.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 35.

³ - حمدان خوجة: المرأة، ص 37

⁴ - نفسه، ص 39

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

ترجمت له تتفق أنه استشهد سنة 1098 هـ (انظر التعليق رقم 01)¹، وورد أسماء البايات أبي الحسن علي العليج والباي علي التونسي، والخليفة قايد مصطفى، الذين لا نجد لهم أي ذكر في المصادر المحلية المتوفرة.

- تعكس هذه الوثائق مدى احترام السلطة العثمانية للأسر النافذة في بايلك الغرب، من خلال التأكيد وتجديد احترامهم وتوقيرهم كلما تغير الباي.
- تتضمن نصوص هذه الظهائر إعفاء أصحابها من بعض الضرائب والرسوم التي كانت مفروضة على غيرهم.

نص الظهائر:

المتعلقة ببيت محمد بن يعقوب الوقماري:

الوثيقة رقم 01:

الحمد لله تعالى صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

ليعلم الواقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي قدره وشأنه من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الناحية الغربية وخصوصا (.....²) أننا أنعمنا على الشيخ البركة سيدي محمد بن المرسلي وسيدي (أحمد³) بن علي وسيدي محمد بن فاطمة وسيدي بن شهرة وجميع إخوانهم من أولاد سيدي عثمان الوقماري وجددنا لهم على مقتضى الأوامر التي بأيديهم للباي لار بتحريرهم ورعيهم وإكرامهم بحيث لا تهتك لهم حرمة ولا يهضم لهم جانب ولا يقاس بما يقاس به غيرهم ولا يطالبون بشيء من المغارم المخزنية والوظائف السلطانية قلت أو جلت من بذرة ومؤونة

¹-انظر:

- أبو راس الناصر: الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط بمكتبة الشيخ بوكعبر بلقرد، اللوحة 70.

- الزباني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 253.

²- مقدار ثلاث كلمات غير واضحة المعنى.

³-اسم غير واضح اجتهدنا في قراءته.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

عشور ولا يكلفون بقيمته درهم واحد، كل ذلك منا لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الكريم إنعاما تاما شاملا عاما.

فحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه ولا يتعداه فمن بدل أو غير فالله حسبه ومثواه وولي الإنتقام منه والسلام

(وقع¹) بأمر عبد الله شعبان باي بن عوان صاحب الناحية الغربية والمحلة المنصورة بالله بتاريخ أواسط جمادى الثاني 1089هـ².

الوثيقة رقم 02:

ليعلم الواقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي شأنه وقدره من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الأحوال في الناحية الغربية سدد الله الجميع ووفق الكل إلى صالح القول وحسن الصنيع أما بعد:

فإن حامله السادات الأخيار العلماء الأبرار السيد محمد بن فاطمة والسيد بن شهرة أولاد الشيخ البركة سيدي محمد (بن يعقوب) ثم³ الواقماري نفعا الله ببركاته أنعمنا عليهم بتحريرهم ورعيهم وإكرامهم وحفظ جنابهم من غير أن تهتك لهم حرمة ولا يهضم لهم جناب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم ولا يصلهم أحد بإذاية ولا بمكروه **ولا يكلفون بشيء من أنواع التكليف مثل المغرم المخزني و(الوضيف⁴) السلطاني ولا يطالبون ببذرة ولا مؤونة ولا عشور ولا يُبدع أحدٌ فيهم بدعة.**

إنعاما تاما مطلقا شاملا عاما من غير معارض لهم في ذلك ولا منازع ولا مراجع ولا (مراقب) فحسب الواقف عليه العمل بما فيه ولا يتعداه فمن بدل أو غير فالله حسبه كلامنا لهم لوجه الله ومراعات للعلم الشريف والسلام.

¹ - كلمة غير واضحة اجتهدنا في قراءتها.

² - الموافق لحوالي 03 أوت 1678م.

³ - مصحح من هامش الوثيقة.

⁴ - الصواب " الوظيف".

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

وكتب بأمر العظماء البركات شعبان باي بن عبد الله صانه الله بتاريخ أوائل رمضان من عام 1101 هـ¹.

الوثيقة رقم 03 :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي شأنه وقدره من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الأحوال في الناحية الغربية سدد الله الجميع ووفق الكل إلى صالح القول وحسن الصنيع أما بعد

فإن حامله السادات الأخيار العلماء الأبرار السيد محمد بن فاطمة والسيد بن شهرة أولاد السيد البركة سيدي محمد بن يعقوب ثم الواقماري نفعا الله ببركته أنعمنا عليهم بتحريرهم ورعيهم وإكرامهم وحفظ جنابهم من غير أن تهتك لهم حرمة ولا يهضم لهم جناب ولا يقاس بما يقاس غيرهم ولا يصلهم أحد بأذية ولا بمكروه ولا تكلفون بشيء من أنواع التكليف مثل المغرم المخزني والوظائف السلطانية ولا يطلبون بمؤونة ولا عشور ولا يبذل أحد فيهم بدعة.

فحسب الواقف عليه العمل (.....)²

بأمر المعظم أبي الحسن علي باي العليج صاحب (الناحية) الغربية بتاريخ ذي القعدة عام (1103)³.

المتعلقة ببيت بشير بوجرة:

تحت طابع الباي مصطفى 1149 هـ⁴:

¹ - الموافق حوالي 7 جوان 1690م.

² - مقدار كلمة غير واضحة المعنى.

³ - التاريخ غير واضح بشكل جيد فاجتهدنا في قراءته، ويوافق حوالي جويلية 1692م.

⁴ - هو الباي مصطفى الأحمر المسراتي تولى حسب محمد بن يوسف الزياني سنة 1147 هـ ، ومات مقتولا بالسم ودفن بمستغانم. انظر:

- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص255.

الحمد لله وصلي الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

ليعلم الواقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح ... النافذ أمره العلي قدره وشأنه من القواد والعمال وسائر المتصرفين في الأحوال بالناحية الغربية وتلمسان، وأنا أنعمنا على حامله المعظم المحترم الخير السيد عبد القادر الشريف ابن العربي وكافة أخوته الشرفاء أهل الوادي رفعنا عنهم **جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية قَلَّتْ أم جلت من مؤنة الزرع والدهان والكبش** وغير ذلك من سائر المطالب التي تلزم غيرهم، وأبقيناهم ببلادهم على الحرمة الكاملة والمبرة الشاملة خلفا عن سلف بحيث لا سبيل لأحد عليهم بوجه ولا حال قاصدين بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم وأصل العمل كله لله.

فعلى الواقف عليه من أخواننا باي كان والقواد وغيرهم أن يعملوا بما فيه ولا يتعداه ومن بدل وغير فالله حسبه ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام.

بأمر عبد الله المتوكل علي الله السيد مصطفى باي الولاية الغربية وتلمسان بن الخليفة بتاريخ أواسط ربيع الثاني 1149¹ انتهى حرفيا.

تحت طابع الباي حسن²:

الحمد لله ما في الرسم أمامه وقفنا عليه وارتضيناها وصوغناه وأمضينا به العمل بما اقتضاه أن يعمل بما فيه ولا يتعداه **وحررناهم من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية** أواسط المحرم فاتح عام 1233³.

كتب بأمر المعظم السيد حسن

¹ - الموافق لـ 1736/08/21م.

² - هو الباي حسن آخر بابايات وهران.

³ - الموافق لـ 1817/11/23م.

أنواع الضرائب على ضوء نصوص الظهائر:

على ضوء ما ورد في هذه الظهائر يمكن أن نقسم الضرائب التي كانت مفروضة على سكان الجزائر إلى قسمين:

المغرم المخزني: يذكر الأستاذ سعيدوني، أنها كانت تفرض على المناطق الخارجة عن السلطة الفعلية للبايلك بالصحراء والهضاب العليا والمناطق الجبلية، تسدد نقدا أو عينا وغالبا ما تؤخذ في شكل مواشي ومواد غذائية لتوفرها لدى الناس¹.

الوظائف السلطانية: حسب ما ورد في الظهائر فهذه الضرائب تأخذ أشكال عديدة وهي: بذرة، مؤونة، عشور.

العشور: حسب الأستاذ سعيدوني، هي التي كانت تفرض على المناطق الداخلة تحت نفوذ السلطة²، حيث يؤخذ عشر المحصول ثم أخضعت لمساحة الأرض المزروعة بغض النظر عن كمية الإنتاج³.

أما **المؤونة** فيظهر أنها بمثابة الخراج الذي تنص عليه أحكام الشريعة الإسلامية، وقد ترد بمسميات مختلفة كالمعونة واللزمة⁴.

البذرة فهي الضرائب المفروضة على القبائل الرحل، والتي استقرت بشكل نهائي في البايك⁵.

يشرف على جمع هذه الضرائب قايد العشور، انطلاقا من المساحة المحروثة، وكم من يوم يستغرق الثورين من أجل حرثها⁶.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الموسوعة التاريخية للشباب 1984، ص 95.

² - نفسه، ص 95.

³ - ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001، ص 325.

⁴ - نصر الدين سعيدوني: موظفوا الدولة المرجع السابق، ص 97.

⁵ - Paul Bernard, les anciens impôts de l'Afrique du nord, éditions des tablettes paris 1926, p59.

⁶ - MOULOUD GAID, l'Algérie sous les turcs, éditions mimouni, Alger, 1991, p186.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

تحديد قيمة هذه الضرائب كان يخضع لإرادة البايات والقياد، الأمر الذي جعلها تتضخم مرات عديدة، ويجعل منها أداة للإستغلال من دون أن ينعكس ذلك إيجابا على خزينة الدولة، ما جعل في بعض الأحيان ميزانية البايات أكبر من ميزانية الداي¹، وحسب الباحث بول برنار paul bernard، فإن قيمة هذه الضرائب هي²:

- 800 زياتي.
- 300 كيل قمح.
- 80 قلة دهان.
- 70 حصانا أو حمارا.
- 03 أحصنة للركوب من أجمل الأحصنة.

أصول هذه الضرائب يعود إلى ما كان معمولاً به في الفترة الإسلامية السابقة للوجود العثماني في الجزائر³، يظهر من خلال هذه النصوص أنها كانت مفروضة على جميع القبائل فهي ملزمة بدفعها، ويتم من طرف البايات أو الدايات استثناء بعض الأسر والشخصيات سواء لكونها شريفة النسب أو لكونها شخصيات علمية لها تأثير بالغ في العامة.

فهذه الضرائب هي أداة من الأدوات الاقتصادية التي استعملتها الإدارة العثمانية من أجل إحكام سيطرتها على الجزائر، وتحصيل أكبر قدر ممكن من الجبايات والضرائب، خاصة بعد تراجع المداخل البحرية، نتج عنها تقسيم المجتمع الجزائري إلى ثلاث فئات⁴، قبائل المخزن المعفية من الضرائب، قبائل الرعية المطالبة بدفع التكاليف الأمر الذي قد يدفعها لإعلان العصيان والتمرد أحيانا، والقبائل المستقلة.

¹ -IB.ID, p187.

² - Paul Bernard, OP.Cit, p60.

³ -ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية، المرجع السابق، ص 333.

⁴ -انظر: بليروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016، ص295.

الضرائب المحلية:

وهي الضرائب المفروضة في المدينة والتي يشرف عليها الخزانجي، بمساعدة خوجات كخوجة الرحبة، وخوجة الملح، من بين هذه الضرائب¹:

- ضريبة عينية على القمح الذي يعرض للبيع بالسوق.
- ضريبة على الزيت عينية.
- ضريبة على الفحم.
- ضريبة على الميزان.
- ضريبة على احتكار بيع الملح.
- ضريبة على بيع جلود الحيوانات
- ضريبة على بائعات الهوى
- ضريبة على أصحاب الحرف
- ضريبة على كل تاجر يدخل لمدينة من أحد أبوابها

المبحث الرابع: مؤسسة الديوانة.

تعتبر هذه المؤسسة من بين أهم المؤسسات التي ساهمت في تحريك النظام المالي في الجزائر، ويظهر أن وجودها بالمنطقة قديم، إذ تشير بعض الدراسات أن السلطة الزيانية كان لها مكتب ديوانة قرب المرسى الكبير بوهرا، كما تؤكد بعض المعاهدات بين الجزائر وفرنسا مثل معاهدة دو تورفيل de tourville الموقعة يوم 25 أفريل 1684م، على وجود ديوانة في الموانئ الجزائرية².

على رأس الديوانة، خوجة القمرق، يشرف على مجموعة من الضباط، ومحاسب مالي، ومجموعة من العمال، وكل سفينة عليها أن تدفع 20 بيستا أو 40 بالنسبة لغير الأتراك

¹ - Paul Bernard, Op.Cit, P69.

² - Ib.Id, P140.

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري

أو المسلمين لكي تدخل المرفأ، والمبلغ يتضاعف بالنسبة للدول التي تعرف حالة نزاع مع الإيالة¹.

¹ - Paul Bernard, Op.Cit, P140

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذه الأطروحة الموسومة بـ "اقتصاد بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأجنبية في القرنين 17 و18م"، توصلنا إلى النتائج التالية وهي إجابة عن الإشكالية التي سبق طرحها في المقدمة:

واجه العثمانيون صعوبات في تثبيت حكمهم في بايلك الغرب، نظرا لطابعه السياسي والعسكري المختلف عن باقي المقاطعات، بسبب تواجد الإسبان بوهران والمرسى الكبير، وأطماع السعديين والعلويين في المنطقة.

عانى بايلك الغرب، من موجات متكررة للأوبئة والمجاعات، مما أثر سلبا على الجانب الديموغرافي والاقتصادي للمقاطعة.

ساهمت العناصر الوافدة على بايلك الغرب، كالأندلسيين واليهود، في رقي الجانب الإقتصادي، سواء في الفلاحة، أو الصناعة، أو التجارة، كما كانت لهم بصمة خاصة في الحياة الثقافية.

انتشر اليهود في بايلك الغرب الجزائري، في مدن معسكر، وهران، تلمسان مستغانم، وندرومة...، وقد مارسوا حرفة صناعة الحليّ، وبعض من المسلمين تعلّموا الحرفة على يد اليهود، مثل الكراغلة، والعرب المسلمين الذين كانوا يصنعون النحاس ويقومون بتشليله بالذهب، وهناك فئة قليلة من السكان في الريف اعتمدوا صناعة الحليّ بتكريس جزء من وقتهم لهذه الصناعة لأجل الأعراس والمناسبات الدينية.

شهد بايلك الغرب الجزائري خلال فترة القرنين 17 و18م، تنوعا ملفتا في الأنشطة الاقتصادية من زراعة، و تربية مواشي، وصناعة وتجارة، أدت إلى خلق ديناميكية اقتصادية ايجابية من حيث تنوع الإنتاج، والوسائل والأساليب، بحيث كان كل نشاط عاملا لقيام آخر في إطار مجهود اقتصادي تكاملي.

الخاتمة

كانت موارد الريف الاقتصادية المختلفة المصدر الأول و الأساسي والثابت للخرينة، منذ أن أصبحت الجزائر اىالة عثمانية، ولم تكن مصدرا كماليا أو هامشيا حتى في ظل انتعاش الخرينة بفضل موارد غنائم البحر والجهاد البحري، في حين

تأكدت أهميتها فقط بعد تراجع الموارد البحرية، بحكم أن الجباية تعتبر مطلبا شرعيا وقانونيا والتزاما اجتماعيا بين الحاكم والمحكوم، في جميع الأنظمة السياسية.

يعتبر النشاط الزراعي المحور الأساسي في الاقتصاد، بحيث كان القطاع الأول الذي يوفر الغذاء لسكانة البايك، وكانت بقية القطاعات خادمة لهذا القطاع من حيث توفير الأدوات الإنتاجية، من محاريث ودواب حرث، وتخصيب التربة من خلال ممارسة نشاط الرعي.

مثل إنتاج الحبوب المحصول الاستراتيجي سواء للسلطة، أو لسكانة الأرياف، بحيث كان هذا المنتج هو المؤشر الأول على غنى قبيلة من القبائل والتي تستطيع بفضلها أن تمارس نفوذها على بقية القبائل الأخرى، والتي كانت بحاجة إلى التموين بهذه المادة الأساسية، كما مثل للسلطة المورد الأول لخرينة الدولة، بحيث احتكرت تصديره وعملت على توجيه القطاع الزراعي لإنتاج الحبوب فقط .

تنوع و ثراء المحاصيل بسبب تنوع المناخ وتنوع أقاليم التربة، بحيث نجد ثلاث اقاليم إنتاجية في الجزائر، إقليم الحبوب والذي تمثله السهول التلية خاصة وكان ينتج الحبوب بشكل رئيسي، أما الاقليم الثاني فهو إقليم الزيتون، والذي يمثل المرتفعات والجبال، التي اشتهرت بإنتاج الزيتون، بالإضافة الى ممارسة البستنة وزراعة الخضر والأشجار المثمرة.

إن أكبر مؤشر على قوة الاقتصاد خلال القرن 17م، يكشف عنه مؤشر جد هام، ألا وهو كمية الحبوب التي تنتجها الأرياف، بحيث أننا نجد أنها كمية وفيرة إلى حد كبير جدا، وتوجه لأربعة أغراض غالبا، جزء منها للاستهلاك المعاشي فيدخره الفلاحون في مطاميرهم، ويوجه نصيب آخر للمعاملات التجارية، حيث يوجه اما لسكان الجبال الذين لا ينتجون الا كمية قليلة من الحبوب، واما إلى نجوع الصحراء التي تقدم للمنطقة التلية للاكتيال والتسوق،

الخاتمة

كما كان قسط وفير من هذه المادة تم جبايته من قبل السلطة، والتي كانت بدورها تخزنه في مطامير ومخازن البايك، وتقوم بتصدير كميات كبيرة منه، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة في العمل والإنتاج.

كان نشاط تربية المواشي من الأنشطة الرئيسية والضرورية في اقتصاد باييك الغرب، حيث انه كان يمثل أحيانا نشاطا ضروريا لقيام النشاط الزراعي، ولم يكن مجرد نشاط تكميلي أو مساعد، بحيث كانت الأراضي الزراعية بحاجة الى تخصيب التربة، من خلال رعي القطعان في الحقول المحصودة، أو البورية، بالإضافة إلى حاجة الفلاحين للثيران، ودواب الحرث، التي يوفرها قطاع تربية المواشي .

مثلت موارد الإنتاج الفلاحي من جلود وأشعار وأوبار، بالإضافة إلى الموارد الغابية، أهم عامل لقيام صناعات متعددة كالصناعة النسيجية، الدباغة، الصباغة والنجارة، في حين ظل نشاط التعدين يمارس على نطاق ضيق، وذلك بسبب عدم الاستغلال الجيد للثروات المنجمية من حديد ونحاس وغيرهما، في حين ازدهرت صناعة البارود والأسلحة التي فرضتها الحاجة الى مواجهة الاعتداءات الأوروبية المتكررة، أو المواجهات الداخلية بين القبائل مع بعضهما البعض أو مع السلطة.

كان باييك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، يضم سلالات نادرة من الحيوانات كالخيول، والأغنام، وشتلات أصيلة ونادرة خاصة من القمح كالزناتي والبليوني.

تعتبر الاسواق الموسمية المرتبطة بالحصاد أهم مظهر من مظاهر الحراك الاقتصادي في باييك الغرب، بحيث كانت هذه الأسواق تشهد اكبر حركة للحبوب في موسم الصيف كما كانت تعكس مظهرا من مظاهر التكامل بين التل الحبوبى والجنوب الجريدي، أو بين الشمال والجنوب، كما اعتبرت هذه الأسواق فرصة تجدد كل سنة، من أجل تأكيد على تبعية الصحراء للمنطقة التالية، والتي كانت تستغلها السلطة العثمانية في فرض سلطتها على قبائل البدو الرحل.

يكتسب أي سوق أسبوعي في بايلك الغرب، أهميته من كمية الحبوب التي تعرض فيه طيلة أيام السنة، غير أن الحبوب نادرا ما كانت تعرض في الأسواق الأسبوعية في غير موسم الحصاد، لأن الفلاحين يتوجسون خيفة من أي انتكاسة تصيب محاصيلهم بسبب قحط أو جراد، لذلك يقومون بادخارها وتوفيرها كاحتياط لسنوات الجفاف والندرة، فإذا تحققوا من نجاح الموسم فإنهم حينها يعرضونها بعد انقضاء موسم الحصاد، حيث تأتي القبائل الجنوبية للاكتيال فتصادف وفرة في الحبوب ورخصا في الأسعار، ومن هنا تتأكد لنا عمارة الأسواق وحيويتها يناسبها موسم الصيف بالدرجة الأولى.

كان لانتشار أفكار التصوف والميل لحياة الزهد والعزلة، أثر جزئي في تراجع فعالية سكان الريف وتقهقر المحاصيل وضياع الثروة ورأس المال، غير أن الكثير من رجال التصوف كانوا يرون الزهد لا يتنافى مع كسب المعاش واتخاذ الأسباب، حيث نجد ثلة منهم كانوا سببا في تأسيس الأسواق الأسبوعية، والصلح بين الاعراش المتنازعة على الماء والحدود، بالإضافة إلى انتداب مريديهم للعمل في الأراضي والبساتين الوقفية.

كان للمرأة دور بارز في الحياة الإقتصادية، حيث أننا نجدها تساهم بالنصيب الأوفر في سائر الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية، فقد كانت تساهم في رعاية الأغنام، ومواسم الحصاد، بالإضافة إلى اتخاذها لخيمتها ورشة عمل في النسيج، وصناعة أدوات الخيمة، وملابس العائلة، أما في القطاع التجاري، فنجدها تقيم أسواقا خاصة بالنساء بالقرب من الأضرحة، وكذا مشاركتها في مختلف المبادلات التي تكون في إطار القوافل، حيث كانت تغتنم فرصة مرور قافلة الحج للخروج ومباشرتها البيع والشراء بنفسها.

عرفت الجزائر في العهد العثماني، خاصة بايلك الغرب الذي هو موضوع دراستنا، عدة صناعات وحرف متنوعة، وذات جودة معروفة على مستوى المنطقة المغاربية، وفي الحوض الغربي للمتوسط، وكان التكامل بين الريف والمدينة بارزا في هذه الفترة، ك شراء المادة الأولية وبيع المنتجات الحرفية الجاهزة، ورغم هذا النشاط، فقد تذبذبت الصناعة الحرفية خاصة في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، نتيجة متغيرات اجتماعية، واقتصادية،

وأمنية، وقد ركزنا على حرف بعينها، وهذا لا يعني أنّه لا توجد حرف أخرى عرفها بايلك الغرب.

مارست السلطة نفوذها ووجودها على بايلك الغرب، بكل صرامة وجدية بحيث لم تتخلى عن توفير مواردها لخزينة الدولة، من جباية و ضرائب مختلفة، غير أنها كانت تخفف عن الفلاحين التزاماتهم الجبائية إما بالإعفاء، أو التأجيل في أغلب الأحوال، وتساعدتهم أحيانا أخرى بالبذور والحبوب، في سنوات القحط والمجاعة غير أنه في حالات متكررة نجد تعسفا من قبل السلطة، الأمر الذي نجده بصورة أو بأخرى في شتى الأنظمة عبر مختلف العصور.

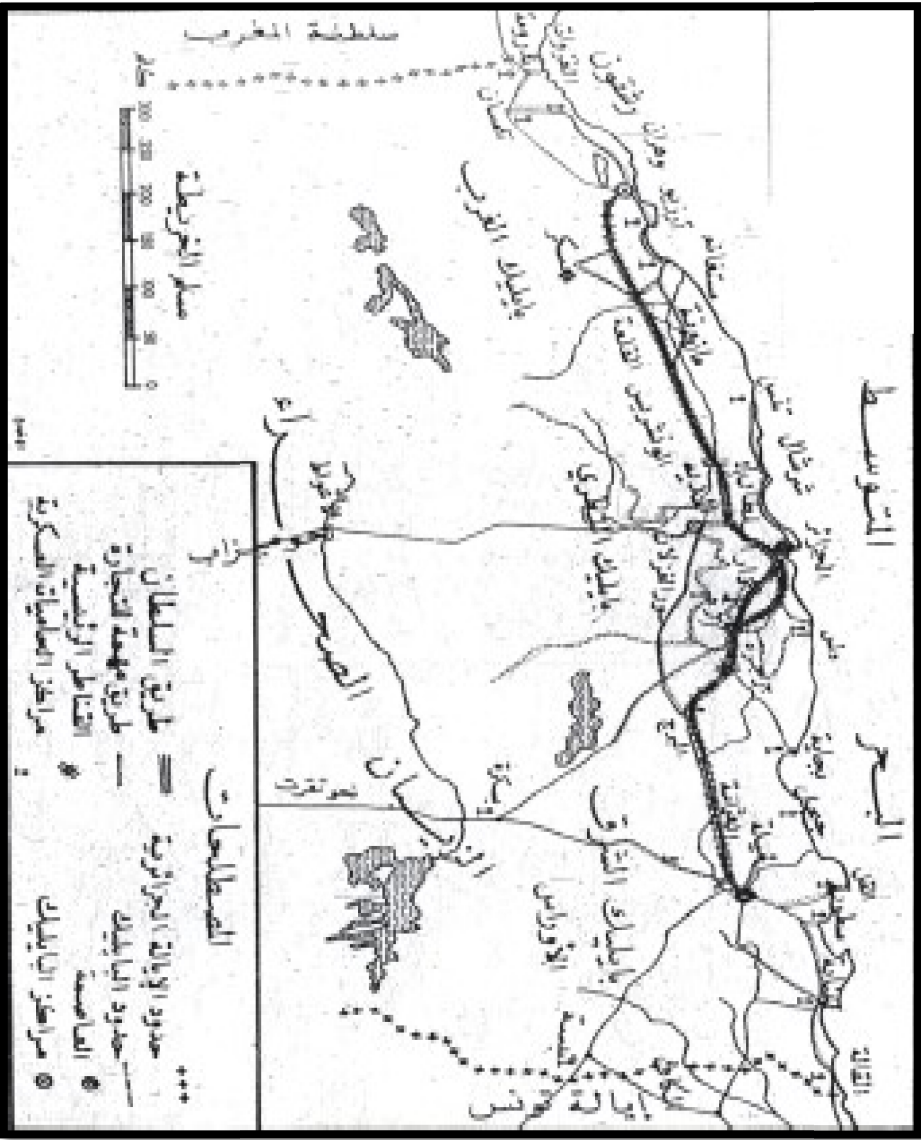
تعتبر محاولات الإصلاح والنهوض بالوضع الإقتصادي في بايلك الغرب الجزائري، والتي تزعمها بعض الدايات والبايات، خاصة خلال القرن 18م، محاولات رائدة في العالم العربي والإسلامي، حيث نجد أن محاولة الباي محمد الكبير، سابقة لمحاولة محمد علي باشا بمصر، غير أن الظروف والملابسات المحيطة بهما أدت إلى عدم اكتمال هذه التجارب ونضجها، خاصة وأن الذين خلفوهم في المناصب، لم يكونوا في مستوى طموحاتهم ومشاريعهم.

الملاحق

الملحق رقم 01: خارطة تبين التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني¹.



¹ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 291.



¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر... المرجع السابق، ص262.

الملحق رقم 03 : نماذج من العملة الإسبانية المتداولة في بايلك الغرب الجزائري¹.



الملحق رقم 04 : صورة لعملة الربع سلطاني ذهبي ضرب بالجزائر سنة 1168هـ².



الملحق رقم 05 : صورة لعملة الربع بوجو من فضة ضرب بالجزائر سنة 1237هـ³.



¹ - فهمية رزقي، سكة الفترة العثمانية من خلال متحف سيرتا - قسنطينة -، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير في التراث و الدراسات الأثرية، قسم التاريخ و الآثار جامعة منتوري، 2011، صص 255-260.

² - Farrugia de Candia, 1941, *Monnaie Algérienne du Musée du Bardo*, In R.T., N° 45, P151.

³ - فهمية رزقي، المرجع السابق، ص 115.

الملحق رقم 06: خارطة استغلال الأراضي الزراعية ونوعية الملكيات بالجزائر في العهد

العثماني¹.



¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 62.

الملحق رقم 07: اللوحة الأولى والأخيرة من مخطوط قانون الأسواق¹.



¹ - المصدر مجهول، كتاب قانون الجزائر على الأسواق وغيرهم، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 1378، الصفحة الأولى والأخيرة.

الملحق رقم 08: نماذج من الأواني النحاسية المصنوعة في تلمسان خلال الفترة العثمانية¹.



قادر من النحاس الأحمر



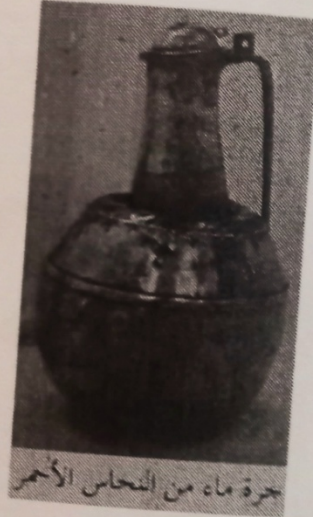
طنجرة من النحاس الأحمر



دلو مخبض من النحاس الأحمر



طبق وغطاء من النحاس الأصفر



جرة ماء من النحاس الأحمر

¹ - بن مخلوف رضا، المرجع السابق، ص 165.

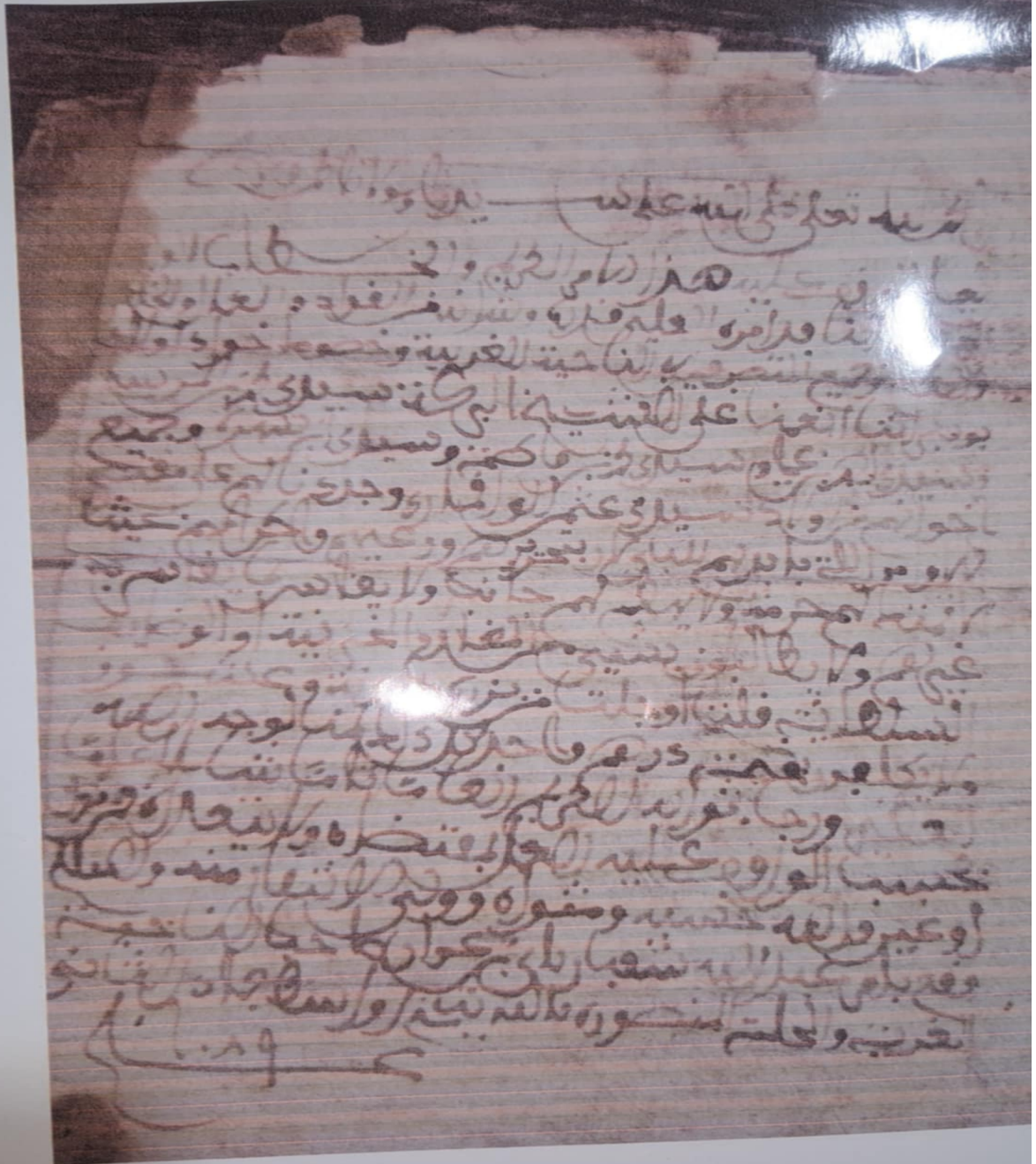
الملحق رقم 09: قفطان جزائري بمتحف مراكش المغربي¹.



¹ - نصيرة قشيوش، المرجع السابق، ص130.

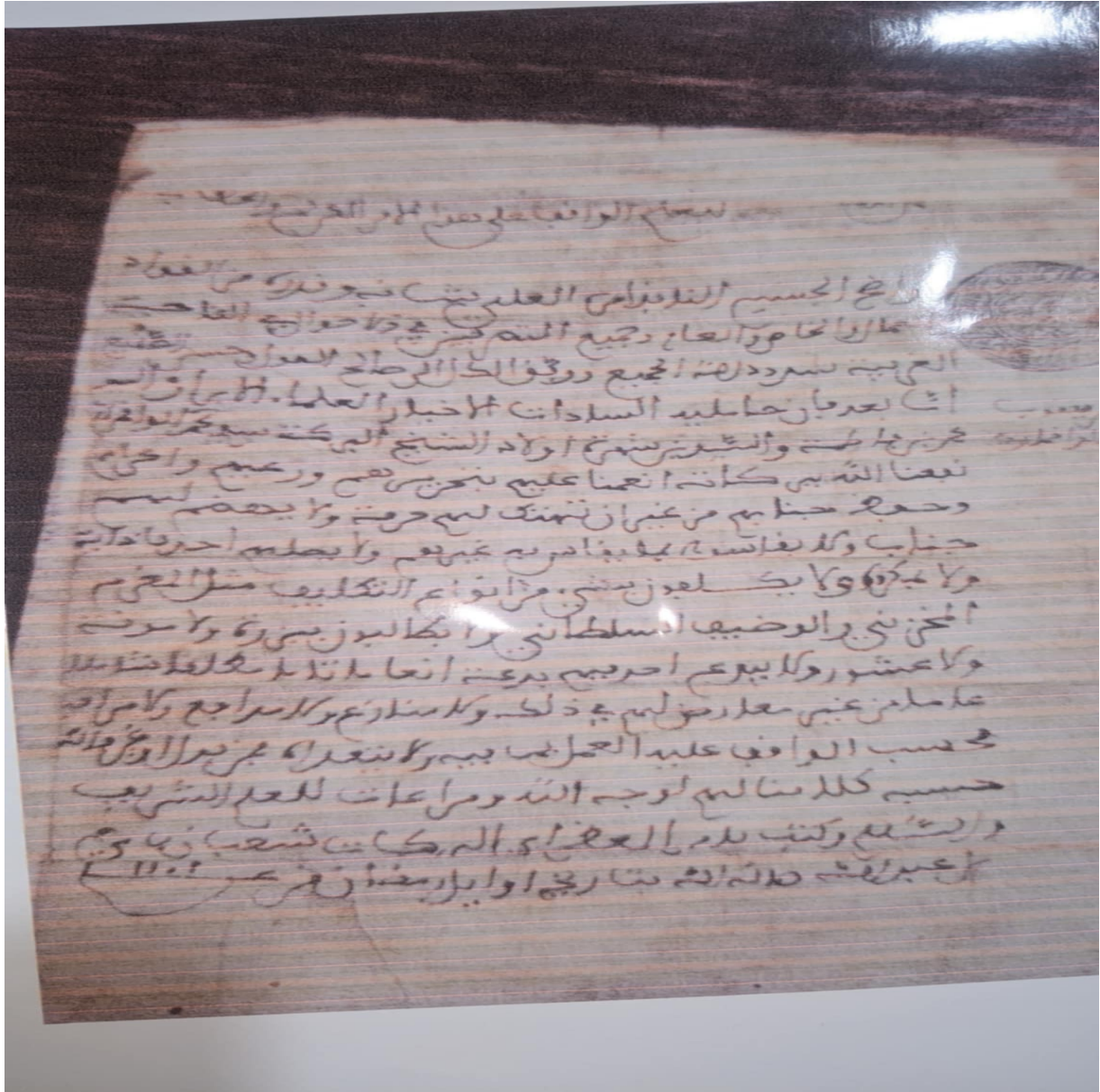
الملحق رقم 10: ظهير متعلق ببيت محمد بن يعقوب الوقماري¹

G_20231025_200330.jpg



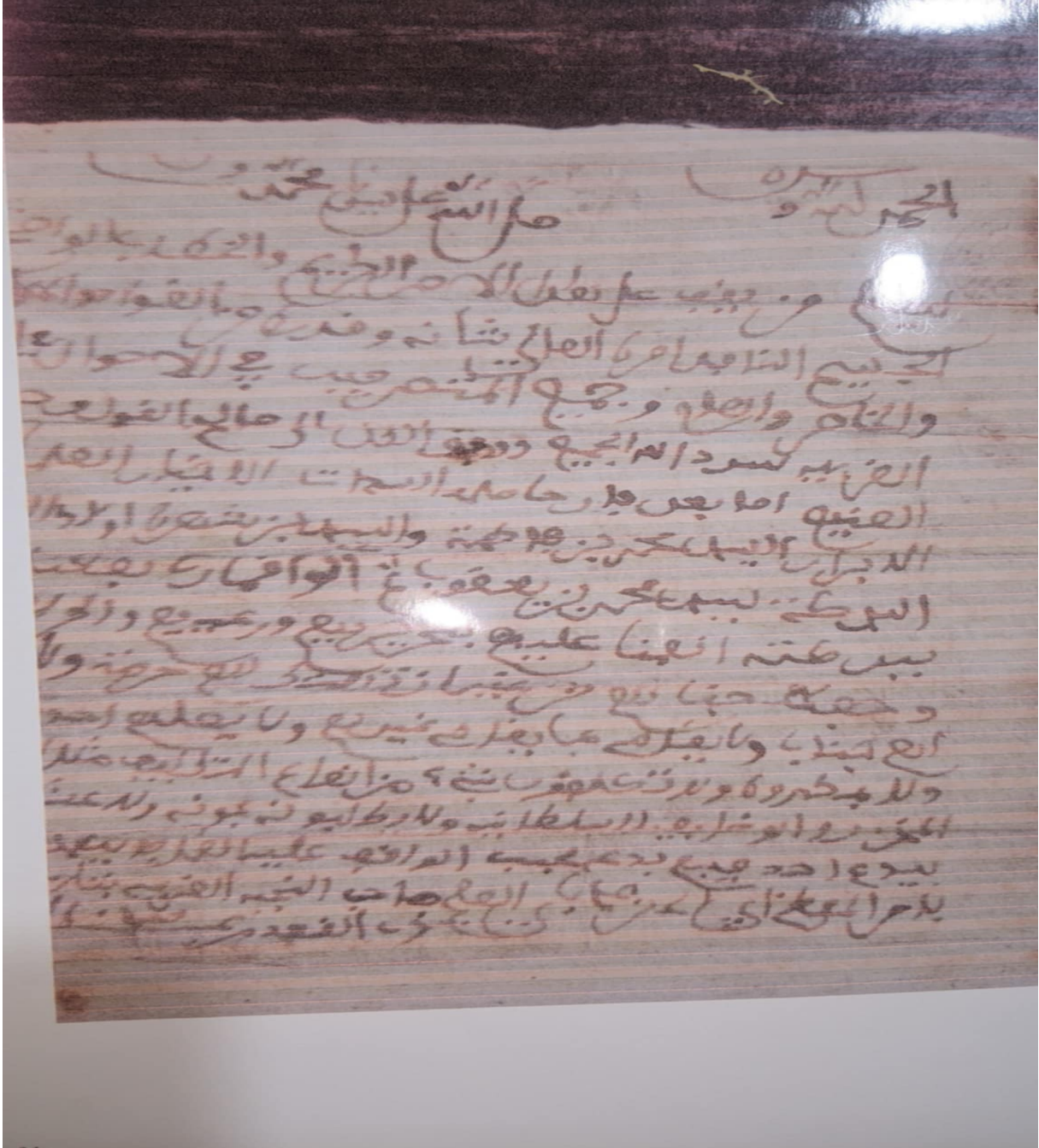
¹ - خزانة الشيخ الجيلالي سي زيان، بلدية عين فراح معسكر.

الملحق رقم 11: ظهور متعلق ببيت محمد بن يعقوب الوقماري¹.



¹ -خزانة الشيخ الجليلي سي زيان، بلدية عين فراح معسكر.

الملحق رقم 12: ظهر متعلق ببيت محمد بن يعقوب الوقماري¹.



¹ -خزانة الشيخ الجيلالي سي زيان، بلدية عين فراح معسكر.

الملحق رقم 13: تعيين الحدود بين بلاد الشرفاء والقطارنية وتحلايت ومهاجة من قبائل بايلك الغرب¹.



¹ - خزانة بيت بويجرة.

بسم الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله (ختم القاضي)

" لما ورد علينا طابع أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين المؤيد بالله المجاهد في سبيل الله السيد محمد باي آمنه الله، أمرنا فيه بالخروج إلى بيان الحد بين الشرفاء وتحلايت، وبينهم وبين القطارنية.

فاجتمعت الشرفاء منهم الفقيه السيد البشير بن عبد القادر والسيد محمد والسيد محمد والسيد أحمد بن عبد الله والسيد محمد بن الدايج والسيد عبد القادر أخوه والسيد ابن يحيى بن البشير وأخواه السيد محمد والسيد أحمد وسي محمد بن بغدادوسي محمد بن علي والسيد الطاهر بن النجادي والسيد محمد بن إبراهيم والسيد الهاشمي بن البوعناني والفقيه السيد الحاج أبو زيان بن عبد الرحمن والسيد محمد بن المختار والسيد أبو زيان بن الطاهر والسيد البشير بن العربي وسي البشير بن دحو والسيد أحمد بن دحو والسيد أبو زيان بن الخضر والسيد أبو زيان بن الدايج والسيد عبد القادر بن أحمد والسيد عبد القادر بن الشريف والسيد عبد القادر بن إبراهيم وسي ابن يحيى بن علي والسيد محمد بن الداني والسيد أحمد الخراز وسي ابن افریحة لقب عقاد وسي الحبيب بالعربي.

ومن جماعة تحلايت عبد القادر بن عماره الوكيل وداود بن حموا ومحمد بن السايح ومحمد القرمي وابن رزق الله وغيرهم

فاتفق رأي الجميع على أن الحد الفاصل بين الفريقين من أرض أرض المخزن والأرض التي باعها السيد محمد باي لجميع الشرفاء المسطورين قريبا ابتداءه قنطره بني عبد الوادي وخذ ریح الجبل الغربي إلى قبر الجاهل واذهب على رسلک إلى جاهل آخر مرورا مستقيما وخذ الريح إلى الطريق الجادة واهبط مع صد الحجر الهابط إلى جهة البحر الواصل إلى شعبة مهتارة واصعد مع مسيل الماء إلى أن تصل إلى الكدية الكبيرة التي برأسها الجاهل وبجانباها القبلي بياض الكبير، وخذ الريح الكائن فوق الطريق دائرا معه حيث دار إلى المحل الضيق المتصل بالوادي الكبير ويقال لها ضيف ابن زعزوع وذلك المحل هو الحد بين الشرفاء والقطارنية أولاد أبي الرحيل وفي هذا الحد المذكور ما هو فاصل وحد بين الشرفاء وامهاجة.

والذي حضر من مهاجة الفقيه السيد العربي بن عبد القادر والسيد الفريخ بن المصطفى والحاج ابلاحه.

فالجهة القبيلة للشرفاء ماعدا ما هو محوز بيد مهاجة قبل هذا الشراء.

ومن المحل الضيق المتصل بالوادي السائل اذهب إلى جهة المشرق وخذ الريح إلى أن تتصل بجبل شرققراق وذلك الجبل بعينه هو الحد بين الشرفاء المذكورين والقطارنية المستوطنين بتشتوين دون ما بيد سيدي البشير بن عبد القادر مما هو بأرض القطارنية.

وخذ الجبل المذكور إلى الشعبة البتراء واهبط معها إلى النهر واهبط إلى مقبرة سيدي يوسف، واطلع إلى رأس الجبل المسمى بحمودة وخذ الريح إلى القنطرة المبتدأ بها.

ومن حضر من القطارينة المفاتيح منهم الخلوفي بن نكروف وعلي بوزيان ولد ابوسماحة ومحمد بوحتره وغيرهم.

حضره مفتي الإسلام السيد الحاج محمد بوراس والفقهاء السيد محمد بن عبد القادر والعدل الفقيه السيد عبد القادر بن الموفق ومحمد بن سعده وعدة بن الرازم، وكل واحد من أصحاب الحدود شاهد على صاحبه

بتاريخ تاسع يوم من رمضان عام 1207¹ سبعة وألف ومائتين.

وكتب شاهدا به محمد العربي بن عامر لطف الله به في الدارين ورحم أبويه والمسلمين بمنه أمين.

الحمد لله

ما نسب إلي من الحضور للرسم المسطور على الوجه المذكور حق وصدق.

وكتب محمد أبو راس أمناه الله أمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

ما نسب إلينا من الحضور على ما وقع بالرسم المذكور حق وقول صدق.

وكتب محمد بن عبد القادر اللعباني وفقه الله أمين

¹ الموافق لـ 19 أفريل 1793م.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- مخطوطات ووثائق أرشيفية:

- أ.م.و.ج، المجموعة 1903، الملف رقم 01، الرسالة رقم 44.
- أ.م.و.ج، المجموعة 1903، الملف رقم 74.
- أ.م.و.ج، المجموعة 3205، الملف رقم 03، الرسالة رقم 51.
- أ.م.و.ج، المجموعة 3206، الملف رقم 01، الرسالة رقم 07.
- أ.م.و.ج، المجموعة 3206، الملف رقم 01، الرسالة رقم 51.
- أ.م.و.ج، المجموعة 3206، الملف رقم 03، الرسالة رقم 51.
- أبو راس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط بخزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، اللوحة 70.
- الدحاوي ابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، م.م.و.ج، رقم 3322، ج1، ورقة 15 ظهر.
- مجموعة من الظواهر تخص بيت محمد بن يعقوب الوقماري، خزانة الشيخ الجيلالي سي زيان، بلدية عين فراح معسكر.
- المزيلى الراشدي محمد الجوزي بن محمد، فتح الرحمن في شرح عقد الجمان، مخطوط بخزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، معسكر.
- ميكرو فيلم: سجل البايك رقم 25.

2- المصادر باللغة العربية:

- ابن أبي الضياف أحمد، الباب السادس من إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان "دولة أحمد باي" تحقيق أحمد بن عبد السلام، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية، تونس، 1971.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج1، دار الفكر، بيروت، 2010.
- ابن خوجة محمد بن مصطفى، مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1902.
- أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غالم، منشورات CRASC، وهران، 2008.
- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم وتعليق، المهدي بوعبدلي، م.و.ف.م، الجزائر، 2007.
- أحميدة عميراي، الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- البكري أبو عبد الله، المعرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبية، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- التسولي أبو الحسن علي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، دراسة وتحقيق، عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

- ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007.
- الجزائري محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد ابن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981.
- الجزائري محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الزיאني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تحقيق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- الزיאني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

قائمة المصادر والمراجع

- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، 2007.
- الشقراني الراشدي أحمد بن عبد الرحمان، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2014.
- العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد، الرحلة المغربية، تحقيق وتعليق محمد الفاسي، إصدارات وزارة الدولة المكلفة بشؤون الثقافة والتعليم الأهلي، الرباط، 1968.
- القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، قصي محب الدين الخطيب، ط5، المطبعة السلفية، القاهرة، 1396 هـ.
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج13، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963-1970.
- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1915.
- القيرواني ابن أبي زيد، الرسالة، وبهامشها الشرح المسمى تقريب المعاني لعبد المجيد الشرنوبلي، ط4، د.ط، د.م، 1323 هـ.
- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي آخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984.
- المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر إسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.
- مسلم بن عبد القادر، خاتمة تاريخ بايات وهران المتأخرة أو أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات مكتبة دار الحياة، دت.

قائمة المصادر والمراجع

- الوزان الحسن بن محمد، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ويليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر 1816-1824، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 3- المراجع باللغة العربية:
 - أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لأكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب: رابح اسطنبولي، المنصف عاشور، مراد تفاحي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
 - بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.
 - بزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرن التاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1992.
 - بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016.
 - بن أشنهو عبد اللطيف، تكوين التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين 1830-1962، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
 - بن مخلوف رضا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك الغرب تلمسان أنموذجاً، كوهينور للنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2024.
 - بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
 - بوغوفالة وذان، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2009.

قائمة المصادر والمراجع

- بويجرة بشير أحمد البدوي، كتاب نسبنا الشريف وشواهد الملوكية والإجازات، قام على خدمته تقي الدين بوكعبر، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، 2024.
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، مؤسسة هنداوي، مصر، د.ت.
- جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاعي حضاري، منشورات جمعية الظهرة، د.ت.
- جون بول وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة وتعريب: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- حفناوي بعلي، آفاق الفكر التاريخي في الخطاب الجزائري المعاصر، ط1، دار الأيام، عمان (الأردن)، 2020.
- الخالدي عبد السلام العمراني، الجواهر الباهرة في النسب الشريف، دار الكتب العلمية، 2012.
- دلي ولفرد جوزيف، العمارة العربية بمصر في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي، تر محمود أحمد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان "1830-1855م"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- رينهات دوزي، الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، بغداد جامعة الدول العربية، الرباط.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

قائمة المصادر والمراجع

- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر خلال العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية – الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.
- سمير أمين، التطور اللامتكافئ، ترجمة: برهان غليون، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1985.
- شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2010.
- الطيبي محمد، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي: دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات، ط1، دار ابن النديم، الجزائر، 2009.

قائمة المصادر والمراجع

- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط3، 2011.
- عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.
- العبيدي آسيا ثامر هادي، آل البيت العلوي في المغرب وأثرهم في الحياة العامة حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2019.
- العوامر إبراهيم بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.
- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الدولة الجزائرية وثورة أول نوفمبر 1994، الجزائر، 2007.
- فيلالي كمال، البيلك نظام حكم في الجزائر العثمانية، من خلال كتاب ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، دار الرشاد، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014.
- قشيوش نصيرة، القفطان الجزائري عبر العصور والحضارات، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل.
- القطان مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، ط4، دار المريح للنشر، الرياض، 1988.
- قنان جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790-1835)، الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1999.
- كارل موريس شريل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1998.
- المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1948.
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
 - مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، الجزائر، دار القصبة للنشر، ج.1، 2009 .
 - مقييس بشير، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
 - يديدا كالفون ستيلمان، تاريخ الأزياء العربية منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث، تر محمد جوهر، ط2، دار الثقافة والسيادة، أبو ظبي.
- 4- رسائل وأطاريح:**
- بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران 1، (2007-2008).
 - بلحية بهية، صناعة الفخار وأبعادها الفنية والثقافية بمنطقة ندرومة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، (2001-2002).
 - بن العيفاوي علي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2013.
 - بن صحراوي كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار لجامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2012/2013.
 - بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث. 2016-2017.
 - بودربالة نور الدين، العائلات النافذة في بايلك الغرب 1792-1830م مقاربة اجتماعية وسياسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحوض الغربي للمتوسط تاريخ وحضارة. جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر. 2018-2019.

قائمة المصادر والمراجع

- دباب بومدين، بايلك الغرب خلال القرن 18 ميلادي دراسة سياسيو واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليااس، سيدي بلعباس، 2016-2017.
- دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر 1206-1282هـ/1792-1865م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2008.
- دحماني توفيق، النظام الضريبي ببيلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003/2004.
- دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792-1830)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الجزائر، (2019-2020).
- دكاني نجيب، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 16هـ/16م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- رزقي فهيمة، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سیرتا-قسنطينة-دراسة أثرية فنية، رسالة لنيل الماجستير في (التراث والدراسات الأثرية)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010.
- سلطنة عابد، التراتبية الاجتماعية ببيلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر (1832-1847) مقارنة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية (أغاليك مجاهر، فليته، أغاليك الشرق أنموذجا). أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2010-2011.
- سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010.

- عليو محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين 1701-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر مصطفى اسطبولي، 2008.
 - مشرفي جميلة، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، تخصص تاريخ الحوض الغربي للمتوسط: تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطبولي، معسكر، 2017-2018.
 - هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة معسكر، 2020-2021.
 - الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.
- 5- مقالات باللغة العربية:**
- بلبروات بن عتو، "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليااس، العدد 1، 2009.
 - بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير-باي وهران 1779-1797"، عصور، ع3، جوان 2003.
 - بوركبة محمد، "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عامر بن عثمان القلعي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد الأول، 2003.
 - بوعزيز يحي، مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا من خلال مراسلات الداوي محمد عثمان باشا 1780-1787، مجلة التاريخ، العدد 18، 1985.
 - التميمي عبد المالك خلف، ملاحم الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قُبَيْل الاستعمار الغربي، المجلة التاريخية المغربية، ع 29-30، 1980.
 - دحماني توفيق، "دراسة اجتماعية لتيهت في أواخر العهد العثماني"، دفاتر السياسة والقانون، ع07، جوان 2012.

قائمة المصادر والمراجع

- ديفل سميحة، صناعة الحلي بقسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد: 11، ديسمبر 2016.
- ديفل سميحة، صناعة الخشب خلال العهد العثماني، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشر، العدد الأربعون، جوان 2018.
- سعيدوني ناصر الدين، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي)"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م.
- سعيدوني ناصر الدين، "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، مجلة الأصالة، ع. 32، 1976.
- سعيدوني ناصر الدين، وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عنها، المجلة التاريخية المغربية، ع 07-08، 1977.
- شريفة طيان ساحد، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني في القرنين 18 و19م من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية الجزائر، دراسات تراثية، العدد 01، مجلد 06، 2012.
- شلابي رفيق، ودان بوغفالة، الحرف والصناعات في مدينة تلمسان وضواحيها خلال العهد العثماني (1555-1830م)، مجلة دراسات وأبحاث، العدد: 13، جامعة الجلفة، 1 جانفي، 2021.
- الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد: 4، جوان 2013.
- الطاهر خالد، مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 04، 2017.
- فارس العيد، الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مجلة الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 5، جوان 2017.

قائمة المصادر والمراجع

- كعوان فارس، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا- الدنوش- البايك كنماذج، مجلة مدارات تاريخية، م1، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، أفريل 2019، الجزائر.

- الواعر صبرينة، "الغزو الاسباني للمدن والموانئ الجزائرية وهران والمرسى الكبير أنموذجا 1505-1792"، مجلة البحوث التاريخية، ع 1، مارس 2022، مج 4.

6- المعاجم والقواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، ط1، ج08، دار إحياء التراث العربي.
- أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، 2011.
- رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم محمد فهمي حجازي، راجع المادة عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، 2002.
- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، ط2، ج4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1952.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مجدي فتحي السيد، ج2، المكتبة التوفيقية مصر.

7-المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

- Addi (L.), De L'Algérie pré – Coloniale à L'Algérie Coloniale , E.N.L. , Alger, 1985.
- Albert Devoulx, recueil de notes historique sue l'administration de l'ancienne régence d'Alger , imprimerie du gouvernement, Alger, 1952.

- André Nouschi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 essai d'histoire économique et sociale, P.U.F, paris, 1961.
- Aramburu, Oran et l'ouest Algérie au 18 ème siècle, d'après le rapport d'Aaramburu, présentation et traduction de Mohamed ElKorso, Alger, Mikel de Epalza, Bibliothèque national, 1978.
- Bargès (A.), Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, EURL Kafila, Alger.
- Bel (A.) et Ricard (P.), le travail de la laine à Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1913.
- Belhamissi (M.), Histoire de Mazouna, S.N.E.D, Alger, 1981.
- Bernard (p.), Les anciens impôts de l'Afrique du nord, préface de M.Auguste Terrier, Ed des Tablettes, Paris, 1925.
- BERNARD CAPORAL, Oran capitale du beylik de l'ouest 1792-1831, édition alpha, Alger ,2012.
- BERNARD, caporal, Oran capitale du beylik de l'ouest 1792-1831, Edition alpha, Alger, 2012. Raymond André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, SindBad, Paris, 1985.
- Bonnet (L.), l'industrie du tapis à la Kalaa des Beni Rached (Oran), Jules Carbonel, Alger, 1920.
- Bonzem (L.), Du régime fiscal Algérien, these, Paris, 1899.
- Chatellier ville et Tribus du Maroc Rabat et sa région en 1890, Djebala Angers, V4, 1902.

- Clamageran (J-J.), L'Algérie, impression de voyage, 3^eéd, Felix Alcan, Paris, 1884.
- Coste (H.), Les impôts, Achour, Hockor dans le département de Coustantine, A.Jourdan, Alger, 1911.
- de Haedo (D.), Topographie et Histoire générale d'Alger, tr : Dr Monnerau et (A). Berbrugger, Alger, 1870.
- De la veronne (Ch.), relation entre Oran et Tlemcen dans la première moitié du XVI siècle, orientaliste paul guathner , paris.
- Desfontaine L.R, fragment d'un voyage dans les régences de Tunisie et Alger fait de 1783 à 1786, Paris, Dureau de la male, 1838.
- Desfontaines (L.R.), fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783 à 1786, librairie de Gide, paris, 1838.
- Diego de Haédo, de la captivité à Alger, traduction Moliner Voidle, Alge, typographie Adolphe Jourdain, 1911.
- Djaghloul (A.), la formation sociale Algérienne à la veille de la colonisation, la pensée, Paris, février, 1976.
- Djillali Sari, les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, Nédroma, Mazouna, Kalaa, S.N.E.D, Alger.
- Dozy (A.), dictionnaires détaille des noms des vêtements chez les Arabes, jean Müller, Amsterdam, 1845.
- Dr Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduite l'anglais par j.mac Carthy, Tunisie, édition Bouslama, 1830.

- ELIE DE PRIMAUDAIE, le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française, cha.lahure et cie, paris, 1861.
- Emerit(M.), Les Saint- Simoniens en Algérie, E. Impert, Alger, 1941.
- Ernest Mercier, Histoire de L'Afrique septentrionale depuis les temps les plus recules jusqu'a la conquête française 1830, ed, Ernest Leroux, Paris, t3.
- Eudel (P.), Dictionnaire des Bijoux de l'Afrique du Nord, E.Leroux, Paris, 1906.
- Eudel (P.), l'Orfèvrerie Algérienne et Tunisienne, Adolphe Jourdan, Alger, 1902.
- EUGENE PLANTET, correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, volume 2, edition Bouslama, Tunisie, 1981.
- Fernand Braudel, La méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II, routes ports et Trafics, tome1, Amand colin, Paris, 1951.
- Gallissot (R.), Essai de définition du mode de production de l'Algérie précoloniale, C.E.R.M , 1967.
- Gorguos, Histoire d'un Bey de Mascara et de l'Oranie, Mohamed Ben Osman dit Mohamed El Kabir, Edition grand Alger livres, V3, Alger, 2006.
- Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir, Revue Africaine, Vol N01, 1856.

- Henri leonfey, histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, Oran typographie, Adolphe Pierre éditeur.
- HENRI-DELMAS DE GRAMMONT, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830 (présenté: Lemnouar merouche), édition bouchene, Paris, 2001.
- Jean- Joseph Bargès (A.), Ancienne capitale royaume de ce nom, EURL Kafilc, Alger, 2011.
- Joseph de Stomayor y Valenzuela (L.), Brève relation de l'expérience de juifs d'Oran en 1669, tr : jean frédéric schaub, ed, Bouchène, Paris.
- Laugier De Tassy, Histoire de Royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date.
- Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son politique, et commerce, Préface, noel laveau, André Nousché, Ed.Loysel, paris, 1992.
- LEMNOUAR,MEROUCHE, recherches sur l'Algérie a l'époque ottomane ,monnaies, prix et revenus 1520-1830, Edif, Alger, 2000.
- LEON FEY, histoire d'oran avant, pendant et apres la domination espagnole, édition adolphe perrier, oran, 1858.
- Lespès (R.), Oran étude de géographie et histoire urbaine, librairie félex Alcan, Paris.
- LOUIS CARA DEL AGUILA , les espagnols en afrique du nord, relations politiques et commerciales avec l'algerie 1786-1830, thèse

de doctorat 3eme cycle dactylographiée, étude ibériques, bordeaux 3.

- LUCETTE VALENSI, le maghreb avant la prise d'Alger 1790-1830, flammation, France, 1969.
- Marçais (G.), le costume musulman d'Alger, librairie palou, Paris.
- méréad boudia (A.), la formation sociale algérienne précoloniale : essai d'analyse théorique, office publication universitaire, Alger.
- Mercier (E.), Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les Temps les plus reculés Jusqu'à la conquete Française (1830), T03 , E. Leroux, Paris, 1891 .
- Mohammed Ben Cheneb, Mots Turks et Persans conservés dans le parler Algériens, Ancienne maison Bastide-Jourdan Juler Carbonel, Alger, 1922.
- Moulay Belhamissi, Histoire de Mostaganem, centre national des études historiques, Alger, 1976.
- MOULOUD GAID, l'Algérie sous les turcs, éditions, mimouni Alger, 1991.
- Norbet, Bel Ange, les juifs de Mostaganem, édition harmattan, Paris, 1990.
- Oriel (j.), les Juifs au Sahara Touat au moyen âge, CNRS Edition, Paris, 1994.
- Paul bernard, les anciens impôts de l'afrique du nord, editions des tablettes, paris, 1926.
- PAUL MASSON, l'agence nationale d'Afrique 1794-1801, hachette, paris, 1921.

- Paul Masson, histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque 1560-1793, Hachette, Paris, 1909.
- Pierre Ricard, la menuiserie mauresque dans les monuments arabe de Tlemcen, typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1915.
- RenardThomassy, le maroc et ses caravanes, relation de la France avec cette empire, firminididot, Paris, 1845.
- René Basset, Nédromah et le Traras, E.leroux, Paris, 1901.
- Ricard (P.), l'artisanat indigène en Oranie, la fouque, Oran, 1940.
- Robe (E.) De L'impot Foncier en Algérie, Bastide, Alger, 1871 .
- ROBERT TINTHOIN, mers-el kebir, librairie fouque, oran, 1952.
- ROBERT, tintouin, colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1830 a 1885, Librairie Fouqué, Oran, 1947.
- ROZET(M.), voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupe par l'armée français en Afrique, 3 Volume, Arthus Bertrand, paris, 1833.
- Saidouni Nacerddine, l'Algérois rural à la fin de l'époque Ottoman 1791-1830.Beyrouth, Dar ElGherb al islam, 2001.
- Saidouni Nacereddine, la vie rurale dans l'algérois de 1791 a 1830, thèse pour le doctorat d'état –lettres et Sciences humaines, université d'Aix Marseille, 1988.
- SIR GODFREY FISHER, légende barbaresque guerre, commerce et piraterie en Afrique du nord de 1415-1830, Traduit et annoté farida hellal, O.P.U ,Alger , 1991.

- Tecqueville (Alexis de.), Voyage en Angleterre, Irlande , Suisse et Algérie , Texte établi et annoté par , J-P.Mayer et André Jardin, T05, Vol 02, 3^{ème} éd, Gallimard, Paris, 1952.
- Thomas Show, Voyage dans la Régence d'Alger, Marlin, Paris, 1830.
- Tinthoin Robert, L'Oranie sa Géographie, son Histoire, ses Centre Vitaux, Oran, Fouqué, 1952.
- Venture de Paradis, Alger au 18^{ème} siècle (1785-1790) ; mémoires, notes et observations d'un diplomate-espion, présentation par Abderrahmane Rebahi, Alger, édition grand Alger livre, 2006.
- Venture de Paradis, Alger aux XVIII siècle, typographie adolphe jourdan , Alger, 1898.
- Venture De Paradis, Tunis et Alger au 18 siècle, mémoire et observation rassemble par joseph cuoq, édition sindbad, Paris, 1951.
- Venture De Paradis, Tunis et Alger au 18 siècle, mémoire et observation rassemble par joseph cuoq, édition sindbad, Paris, 1951.
- VENTURE, de paradis, Tunis et Alger au 18eme siècle, mémoires et observations rassembles et présentes par Joseph coédition sindibad, paris, 1983.
- Victor-Eugene, Ardouin Du Mazât. Etat des algériennes. L'Algérie politique et économique à travers la province d'Oran. Lettres sur

- l'insurrection dans le Sud Oranais, Paris, Imprimerie Lambert, 1882.
- Walsin Esterhazy, la Domination Turque dans l'ancienne Régence d'Alger, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840
 - Walsin Esterhazy, notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Perrier, Oran. 1849.
 - XAVIER YACONO, l'histoire de l'Algérie de la fin de la régence turque à l'insurrection de 1954, l'atlanthrope, Paris, 1993.
 - Xavier Yacono, La Régence d'Alger en 1830 d'après des commissions de 1833-1834, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée. Ne 2, 1966.
 - Yacono(X.), Les bureaux arabes et évolution du genre de vie indigènes dans l'ouest du tell Algérien (Dahra, chelif, Ouarensis, sersou), T01, éd. Larose, Paris, 1953.

8-المقالات باللغة الفرنسية:

- Urbain (I.), (Notice sur l'ancienne province de Tetterie) in T.S.E.F.t (1843-44), Paris, 1845
- ANDRIAN BERBRUGGER, « la régence d'alger sous le consulat et l'empire » in R.A, n°15, 1871.
- BACHE (E.L), «la propriété arabe en Algérie avant 1830», in R.A.C, T 3, 1860.
- Benchenab (M), Origine du mot Chachiya, R.A, N°51, 1907.
- Benchenab, Un contrat de mariage Algérois du début du 18 siècle, Extraits des annales de l'institut d'études orientales, T3, Alger, 1956.

- Berbrugger,"prise de Mers-El-Kebir", revue afrivaine, A. jordanelibrairie-éditeur, 1865, v9.
- Bodin (M.), « note sur l'origine du nom de "Mogataze." », in **B.S.G.O**, T34, Oran, 1923.
- Brunschvig (R.), Léon l'Africain et l'embouchure du Chelif, R.A, N°79, 1936.
- Cazenave(j),«les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville 1509-1792»,in R.A , n°71, 1930.
- De cardaillac (F.), Monographie d'arrondissement de Tlemcen, B.S.G.A.O, N°8, 1888.
- Destaing (E.), fêtes et coutumes saisonnières chez les Béni Snous, R.A, N° 50, 1906.
- ERKUMENT KURAN, « la lettre du dernier dey d'alger au grand vizir de l'empire ottoman», in R.A,N° 96.
- Frétigne (C), le métier, analyse des transformation des modes du travail, Recherche et Fondation, n°57, Paris, 2008.
- GORGUOS, « notice sur le bey mohammed el kebir» in R.A, n°01, 1856.
- ISMET TERKI HASSAINE, «oran au 18 siècle: du désarroi a la clairvoyance politique de l'Espagne» ,in Insaniyat, n° 23-24, 2009.
- JEAN CAZENAVE , « les presides espagnols d'afrique, leur organisation au 18 siècle», in R.A, n°LXIII, 1922.
- Janier (E.), les industries indigènes de la région de Traras, R.A, N°88, 1944.

- JEAN CAZENAVE , « les présides espagnols d'Afrique, leur organisation au 18 siècle», in R.A, n°LXIII, 1922.
- Joan Despois, La répartition de la population en Algérie Annales. Economies Sociétés, Civilisations, 15^e année, X 5, 1960.
- JUAN BAUTISTA VILAR , « relaciones comerciales hispano-argelinas en el periodo 1791-1814» IN hispania , n° 26.
- Lespes(R.), « Quelques documents sur la Corporation Mozabite d'Alger dans les premiers temps de la Conquete (1830-1833).», in R.A, n 66 , Alger , 1925
- Marçais (G.), Tlemcen ville d'Art et Histoire, R.A, N°79, 1936.
- Marcel Bodin, «notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader el mecherfi, in R. A, n°LXV, 1924.
- Mercier (E.), « La propriété indigène en Mag'reb », in , R. S. A. C, 23^e Vol, Constantine , 1898.
- Ministère de la guerre, « Des Impôts et Revenus de la Régence », in T. S. E. F., 1838.
- Noel (C.), Documents pour servir à l'histoire des Hamyan et de la région qu'ils occupent actuellement, In B.S.G.O., T35 , Oran , 1915.
- PAUL MASSON, « a la veille d'une conquête concessions et compagnies d'Afrique 1800-1830», in B.G.H.D, n°02, 1909. ..

- ISMET TERKI HASSAINE, « la politique commerciale espagnole dans l'algerie ottomane 1787-1830 », in cahiers CRASC, n°09, 2005.
- Rene Lespes, Oran ville et port avant l'occupation française, in R.A, no LXXV, 1934.
- Ricard Prosper, L'artisanat indigène en oranie, quelques aperçus sur cette branche de l'économie algérienne, in B.S.G.A.O, 1939.
- Robert Tinthoin, « la plaine de relizane avant l'irrigation », in B.S.G.A.O, n°73, 1950.
- Roland Villot, Arzew sous l'occupation espagnol et la domination turque, in B.S.G.A.O, no74, 1951.
- Tinthoin (R.), le tapis végétal du Tell Oranie se modifie par l'homme, R.A, N°79, 1936.
- Valérie Assan, les juifs en Algérie avancée récente de la recherche, Hespéris Tamuda, LI(3), Rabat, 2016.
- Valléjo (J.), « Contribution du vieil Oran » trad. Par commandant Pellecat, in B.S.G.O., Oran, 1962.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة أ.

الفصل التمهيدي: بايلك الغرب: إطاره العام ووضعها السياسي.

- المبحث الأول: أصل التسمية والإطار الجغرافي. 1
- المبحث الثاني: إدارة البايلك وتنظيم المجتمع. 2
- المبحث الثالث: حواضر بايلك الغرب. 8
- المبحث الرابع: بايات الغرب الجزائري خلال القرنين 17 و18م. 15
- المبحث الخامس: التركيبة القبلية للبايلك الغربي ودورها في تدعيم السلطة المركزية. 20
- المبحث السادس: النفوذ الإسباني في بايلك الغرب: وهران والمرسى الكبير. 23

الفصل الأول: الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في بايلك الغرب الجزائري.

- المبحث الأول: أنواع الأراضي الزراعية: 27
- أ- أراضي البايلك 28
- ب- أراضي القبائل: 29
- ت- أراضي العزل: 29
- المبحث الثاني: الثروة الزراعية. 30
- أ- الفلاحة في بايلك الغرب: مميزات وخصائص (طبيعة التربة والتساقط): 30
- ب- أهم سهول بايلك الغرب: 34
- ت- أساليب الاستغلال الزراعي: 36
- ث- أسباب انكماش النشاط الزراعي في بايلك الغرب: 36
- ج- الوسائل التي كان يعتمد عليها الفلاح: 44
- ح- سياسة السلطة العثمانية الهادفة إلى التحكم في زراعة الحبوب وتوجيهها إلى التصدير: 46
- المبحث الثالث: الثروة الحيوانية. 49

الفصل الثاني: الحرف والحرفيون في بايلك الغرب الجزائري.

- المبحث الأول: تعريف الحرفة. 55
- المبحث الثاني: ثنائية المدينة والريف: التعاون والتكامل. 56
- المبحث الثالث: أهم الحرف في بايلك الغرب الجزائري. 63

فهرس المحتويات

أ- صناعة النسيج:	63
ب- صناعة الجلود:	72
ت- صناعة الفخّار:	73
ث- صناعة الخشب:	73
ج- صناعة الحلّي:	74
ح- صناعة النحاس:	78
المبحث الرابع: نمط الإنتاج السائد في الجزائر:	80
المبحث الخامس: أسباب انكماش الصناعات الحرفية:	86

الفصل الثالث: النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: التجارة الداخلية:	87
1- الطرق والمسالك:	87
2- الأسواق في بايلك الغرب:	90
3- المكايل والأوزان المستعملة في الأسواق:	96
المبحث الثاني: التجارة الخارجية:	98
1- الطرق الرئيسية الكبرى:	99
2- نطاقات التعامل التجاري لبايلك الغرب الجزائري:	102
التجارة الخارجية لبايلك الغرب من خلال وصف بعض الرحالة الأوروبيين:	116

الفصل الرابع: النظام المالي والضريبي في بايلك الغرب الجزائري.

المبحث الأول: العملات المتداولة:	123
العملة المحلية:	123
النقود الذهبية المضروبة بالجزائر:	125
النقود الفضية المضروبة بالجزائر:	126
النقود النحاسية المضروبة بالجزائر:	127
العملة الإسبانية:	128
أثر العملات الإسبانية على العملة المحلية في بايلك الغرب:	129
المبحث الثاني: الضرائب وأنواعها في بايلك الغرب:	129

فهرس المحتويات

129	الضرائب التي تدفعها القبائل لاسبان المحتلين:
134	الضرائب والرسوم العثمانية:
155	المبحث الثالث: الضرائب من خلال الظهائر: دراسة تحليلية.
164	المبحث الرابع: مؤسسة الديوانة.
166	الخاتمة
172	الملاحق:
186	قائمة المصادر والمراجع: